وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة – الجزائر



مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

ثورَاتُ المُوَلَّدِين عَلَى الإِمَارَة الأُمَويَة فِي الأَندَلُسْ وَآثارُهَا

(275-300هـ/888-912م)

إعداد الطالب:

-سالم كربوعة

إشراف الدكتور:

-عبد العزيز شهبي

السنة الجامعية

2010/2009

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة – الجزائر

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

ثورَاتُ المُوَلَّدِين عَلَى الإِمَارَة الأُمَويَة في الأندَلُسْ وَآثارُهَا

(275-300هـ/888-912م)

لجنة المنـــاقشة:

أ.د. محمد الأمين بلغيث :..........رئيســـــا

د.عبد العزيز شهبي :..................عضوا مقررا

د.مبارك بوطـــارن :................عضوا مناقشا

د.بشـــــار قويدر :..................عضوا مناقشا

إعداد الطالب:

-سالم كربوعة

إشراف الدكتور:

-عبد العزيز شهبي

السنة الجامعية

2010/2009

بسم الله الرحمن الرحيم

«...وقُل اعمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُون وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُون...»

سُورَةُ التَّوبَةِ: الآيَة

105

إهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وها نحـــن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع

نهدي هذا العمل :

إلى منارة العلم الإمام المصطفى إلى سيد الخلق وحبيب الحق...إلى رسولنا الكريم "محمد صلى الله عليه وسلم"

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء...إلى من حاكت سعادتي من خيوط منسوجة من قلبها...إلى بسمة الحياة وسر الوجود...إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم لجراحي...إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة

إلى من سعى وتعب لأنعم بالراحة...إلى الذي لم يبخل علي بشيء مـــن أجـــل دفعي إلى طريق النجاح...إلى والدي العزيز أطال الله في عُمره

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي...إلى إخوتي وأخـــواتي

إلى من علمونا وصاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح...إلى أساتذتنا الكرام

إلى كل من وسعهم قلبي و لم تسعهم هاته الورقة...

شُكــر وعِرفان

الفضل لله عز وجل الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضـــع،أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور عبد العزيز شهبي الذي ساعدني كـــثيرا بتوجيهاته ونصائحه العلمية المستمرة كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا ومد لنا يد العون وزودنا بالمعلومات اللازمة لإتمـــام هـــذا البحث

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الذين أشرفوا على تدريسنا في السنة النظرية بالمدرسة العليا للأساتذة ونـــتمنى لهـــم التوفيـــق والسداد.

المقدمة

مُـــقـــــدمــة

شهدت الأندلس بعـــد وفاة الأمير عبد الرحمان الثاني المعروف بالأوسط سنة 238 هـــ/852 م فترة مُضطربة تمزقت فيها وحدة الأندلس ، و قام المُنشقّون في كل مكـــان على حكـــومة قرطبة ، و لم يكن الأُمراء الذين تولوا الحُكم في هذه الفترة التي امتدت أكثر من ستين عاما يُضاهون في كفـــاءتهم الأمراء الأوائل ، وإن كان بعضُهم يمتاز بمواهب لا بأس بها في الإدارة و القيادة ولكـــن ظروف ذلـــك العصر لم تكن عادية ، و بالتالي فالأندلس في هذا الوقت الصعب بحاجة إلى رجال أفـــــذاذ وحكـــام صارمين يُمكنهم التحكم في الأوضاع مهما بلغت خُطُورتها ، ومن هُنا فإنه من غير المنصـــــف تحميل أُمراء هذه الفترة وهم على التوالي محمد بن عبد الرحمان ، و ولديه المنذر وعبد الله مـــسؤولية الانهيـــار السياسي والاضطراب الذي ميز هذه الحقبة ، فقد كانت البنية الاجتماعية في الأندلس غـــير منـــسجمة لأنها تتألف من طوائف وأجناس مُختلفة تتنافر مصالحها مع بعضها البعض ، ولا تجمعها سوى قـــُـوة السلطة المركزية في قرطبة ، وهذه الفئات كما سنُبين في الفصل الأول تتألف من الإســـبان نـــصـــارى كانوا أو يهودا،إضافة إلى العرب و البربر ، كما أن هناك عناصر أخرى أثبتت مكانتها في الأندلس مثل الموالي و الصقالبة و المُستعربين و المولدين هاته الفئة الأخيرة التي اخترناها محـــورا لبحثنا هذا .

لم يكن الانسجام سائدا بين هاته الطوائف ، فالخِلافات بين القبائل العربية كانت ما تزال تعمل عملها في الفُرقة ،وكذلك البربر الذين كان عددهم يُعادل أو يفُوق عدد العرب . كان يساورهم طموح شديد وتُنازعهم مشاعر قوية للسيطرة أو على الأقل المشاركة في الحكم .

كانت قُوة و صرامة الأُمراء الأمويين الأوائل هي العامل الوحيد البارز الذي جمـــع بـــين هـــذه الأجناس ، وجعلها تعيش في وئام مع بعضها ولكن ما إن غابت هذه القوة حتى بدأت هذه العنـــــاصر بالتحـــــرك و الوُثوب على سلطان قرطبة، وساعدها على ذلك طبيعة البلاد الجُغرافية الـــتي امتـــازت بوُعُورة جبالهـــا ومسالكها ، مما سهل حركة التمرد و العِصيان و الالتجاء إلى المناطق المنيعة ، كمـــا زاد من هذه الحـــالة أيضا وقواها العلاقة العِدائية التي كانت سائِدة بين الإمـــارة الأمويـــة و الممالـــك النصرانية في الشمـــــال الإسباني و التي كانت تساعد في إذكاء روح التنافر و الخـــلاف بـــين هـــذه الأجناس ، و حضِها على شـــق عصا الطاعة خدمة لمطامعها التوسعية على حِساب الأراضي الواقعـــة تحت حُكم دولة الإسلام في الأندلس ، فظهرت في هذه الفترة جماعات عديدة خرجت علـــى الـــسلطة واستقلت في النواحي التي كانت تستقر فيها ، ونـــذكر على الخصوص عنصرالمولدين الذي كان أبـــرز

العناصر التي ثارت على الإمارة الأموية في نهاية القرن الثالث الهجـــري ، وعلى هـــذا النحـــو اخترنـــا الفتـــرة التي شمـــلت حكم الأمير عبد الله لتكون موضوعا لبحثنا هذا . والذي عنوناه بـــ : "ثـــورات المولدين على الأمارة الأموية في الأندلس وآثارها(275 /300هـــ /888- 912 م)"

أهمية الموضوع ودوافع اختيارنا له :

تطرق العديد من الباحثين في حقل الدراسات الأندلسية ، خاصة في مقدمات كتبهم ومقـــالاتهم إلى نقطة هامة ، وهي قولهم بأن البحث في التاريخ السياسي للأندلس الإسلامية قد انتهى ويجب تجاوزه وفي مقابل هذا يرون ضرورة تركيز الدراسات التاريخية حول الجوانب الحضارية والابتعاد قدر المستطاع عن سرد أحداث الماضي الأليم ، وفي هذا السياق نرى أنه من الواجب علينا ، استقصاء ومعالجة هـــذا التاريخ من جميع جوانبه ، خاصة السياسية منها ، للاطلاع على الأخطاء و الهفوات التي وقـــع فيهـــا المسلمون ، والتي أدت إلى ضعفهم وتفككهم ، ولذلك أضحوا لقمة سائغة أمام أعدائهم من الصليبين وأوشابهم ، وما أحوجنا اليوم إلى الكتابات التي توضح هذا السبيل، وإلا فما هو الدور الحقيقي للكتابة التاريخية ؟ . و من هذا المنطلق كانت رغبتنا في معالجة هذا الموضوع ، وكان وراء ذلـــك جملـــة مـــن الدوافع نذكر منها:

1 – لقد كانت مطالعتنا الأولية لكتاب : " المقتبس في رجال الأندلس " القسم الثالث ،لابـــن حيـــان القُرطبي المُتوفي سنة (469هـــ/1076م) ، و الـــذي حققـــه الأب الراهـــب " مِلـــشُور أُنطُونيـــا " Le . P . Melchor Antuna ،كانت أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار الموضوع ، إذ وفي الأيـــام الأُولى لمُحاولاتنا المتكررة لاختيار عنوان يكون موضوعا لبحثنا ، وقـــع اختيارنا علـــى هذا الموضوع ، فابن حيان أرخ لفترة مظلمة من تاريخ مسلمي الأندلس ، حيث شهدت هذه الفترة ثورة العديد مـــن عناصر المجتمع الأندلسي على حُكم الأمويين في قرطبة والذي أصابه الوهن ، فكان من بين أهم العناصر التي ثارت في وجه السلطة الأموية: العرب و البربر و المولدون ، ونحن اخترنا هذه الفئة الأخيرة للتعرف عليها والإلمام بتاريخها في الأندلس ، فحاولنا قدر المُستطاع تتبُع آثارها ، قصد التعريف بها ولاشـــك أن حركة التمرد والثورة التي كانت أهم سِمات هذه الفئة خلال القرون الثلاثة الأولى لتاريخ الأنـــدلس ، كان لها أسباب ونتائج ، وقد حاولنا الكشف عنها في حيثيات حديثنا عن هاته الفئة والثـــورات الـــتي قامت بها ، وكان موضُوعها الفصل الثالث .

2 – إبراز المعالم التاريخية لهذه الفترة ذات الحوادث السياسية المتشابِكة، والتي تحتاج إلى تفحُص حقائقها وتحقيق مُعمق في أحداثها مع ربطها ببعضها البعض ومقارنتها ، وهذا بغرض التوصل إلى حقـــائق ذات فائدة.

3 – ومن جهة أُخرى فإن أي موضوع مهما كانت طبيعته سياسية أو اقتصادية أو اجتماعيـــة , إن لم تكن له نتائج توصل إليها الباحث فإنه لا فائدة من هذا الموضوع , و بِكل أمانة عِلمية فقد حاولنـــا أن يكون هذا العمل المُتواضع ذا صِبغة تحليلية استقصائية , لا سردا لأحداث الماضي و حسب , و كـــم كانت العملية صعبة خلال بحثنا عـــن أهم النتائج التي أفرزتها ثورات المولدين , و لا ندعي أننا بلغنـــا المُراد , فالعمل يُعتبر كبداية لعمل أكبر , و ما هذا إلا مقدمة لإثارة موضوع شائِك لطالما تهـــرّب منـــه الباحثون نظرا لِتعدُد و كثرة شخصياته و تداخل أحداثه .

4 – الكشف عن الكيفية التي جابه بها الأمير عبد الله سيل الفتنة الجارفة التي ميزت هـــذه الفتـــرة , و كيف استطاع أن يحافظ على إرث أجداده .

5 – كما أننا بهذا البحث أردنا أن نتعرف على الغرض الحقيقي الذي دفع بالمولدين إلى الثورة , و بمعنى آخر . هل كانت الثورات ذات طابع عدائي أم أنها كانت تهدف إلى تغيير جذري في المستوى المعيـــشي لكثير من العائلات المُولدية التي كان لها شأن في وقت مضى مثل أسرة " بنو قسي " و " بنو الجليقي " و " بنو حفصون " ... , أم أنها كانت ذات طابع سِياسي هدفها القضاء على الحكم الأموي , و إقامـــة إمارات و كيانات مستقلة .

6 – إضافة إلى هذا أردنا أن نُعرِّف بأهم شخصية مُولدية ثارت في وجه النِظام الأموي , و ذاع صِيتها آنذاك و هي شخصية " عمر بن حفصون " الذي استطاع زعزعة النظام الأموي و الوقـــوف في وجـــه الإمارة لما يربوا عن ثلث قرن من الزمان , كما أردنا تحديد موقع ابن حفصون من النُعوت المُشينة الـــتي أطلقها عليه المؤرخون .

7 – و الدافع الآخر لاختيار الموضوع هو محاولة تتبع المواقف المُختلفة من حركة التمرد , خاصة موقف الممالك المسيحية في الشمال , التي ما فتئت تتربص الدوائر للقضاء على الحكم الإسلامي في الأندلس و إعادتها إلى سالف عهد القوط .

الإطار الزماني والمكاني للبحث:

يُغطي البحث من الناحية المكانية بلاد الأندلس ، أما من الناحية الزمانية فالبحث يعالج فترة تعد من أحلك فترات التاريخ الإسلامي في الأندلس،وتمثل فترة حكم الأمير عبد الله بن محمد ،فقد خــصص إبن حيان في موسوعته " المقتبس من أنباء أهل الأندلس " قسما يشمل أصعب مرحلة مرت بهـــا هـــذه الدولة وهي عصر الأمير عبد الله بن محمد (275- 300 هـ/888- 912م) ،ويعتبر هذا العهــد الذي شهد أعنف الإقتتالات بين جيوش الإمارة من جهة وزعماء المولدين من جهة أخـــرى أصـــعب مرحلة جابهت أسرة الأمويين ، حيث كاد يُقضى عليها في هذه الفترة .

المنهج المُتبع في كتابة البحث :

لقد حرصنا على أن تكون أفكار هذا البحث المتواضع مترابطة قدر المستطاع ، متبعين في ذلـــك المنهج التحليلي الاستقصائي الاستنباطي للأحداث التاريخية ، وبمعنى أدق فقد قمنا بجمع المادة التاريخيـــة من المصادر الأصلية ، ثم مقارنتها ببعضها البعض واستخراج الأفكار المهمة التي تخدم أهداف الدراســة وتُحقق أغراضها ، وهذا بالاستعانة بالمراجع الحديثة إن وقع إبهام في بعض النصوص التاريخيـــة ،وكـــم كانت المهمة صعبة خاصة وأن أحداث هذا الموضوع متداخلة و الشخصيات كثيرة ، فكان علينا وضع بعض التعقيبات لتوضيح أفكار سابقة ، وحرصنا في المقابل على أن تكون الفصول مترابطة ومكملـــة لبعضها البعض.

الإشكالية :

خلال مطالعتنا لمختلف المصادر و المراجع الخاصة بتاريخ الأندلس والتي حملت معلومات هامـــة عن الموضوع ، صادفتنا إشكاليات مُتعددة الجوانب والتساؤلات وهي كالآتي :

- هل كان للتكوين الطائفي للمجتمع الأندلسي دور في حدوث هذه الثورات؟ .
- كيف استطاع المُولدون مُجابهة سلطان قرطبة والإطاحة بجيوشه في مختلف المعارك التي قامت بـــين الطرفين؟ .
- هل كان للظروف السياسية المُتردية التي سبقت عصر الأمير عبد الله دور في إضعاف قوة الأمارة الأموية ؟.
- من هُم أهم زُعماء المُولدين الذين استطاعوا الوقوف في وجه الأمارة خلال عصر الأمير عبد الله؟.
- ماهي الأساليب التي إنتهجتها الأمارة للإطاحة بمختلف المتمردين؟ .

– هل يمكن إعتبار ثورة المولدين إنتفاضة ضد الهيمنة العربية أو ثورة من أجل تحسين الأوضـــاع الاقتصادية و الاجتماعية المختلفة؟.

– ماهي أهم النتائج التي ترتبت عن ثورات المولدين ضد الأمارة؟ .

هذه الإشكالات و التساؤلات سنُجيب عنها في ثنايا البحث ، وبعضها سنجيب عنه في الخاتمة العامة للموضوع . و سنركز عليها بالتحليل من خِلال تتبعنا لمجريات الأحداث التي سنتطرق إليها بالتفصيل في فصول هذا البحث

الصعوبات التي واجهتنا في البحث :

لا يكاد يخلو موضوع من المواضيع من الصعوبات التي تواجه الباحث فمنها ما يتعلق بالجوانـــب العلمية ومنها ما تعلق بالجوانب المادية ، ولكي لانكثر من التشكي نقتصر على ذكر أهم الصعوبات .

– تشعُب موضوعات البحث ، بحيث أنه بالإمكان جعل كل مبحث من مباحث الفـــصول المختلفـــة موضوعا مستقلا بنفسه ، الأمر الذي جعل الاختصار أمرا صعبا جدا ، لأن الاختصار يُخل بمعنى وغرض بعض أفكار البحث .

– عدم التمكن من اللغة الأجنبية خاصة اللغة الإسبانية التي يجب أن يتسلح بها كل باحـــث ودارس في مجال تاريخ الأندلس ، وكان علي في هذا الحال اللجوء إلى الاستعانة ببعض المتخصصين في هذا المجال .

– صُعوبة الحُصول على المصادر والمراجع التاريخية المهمة ، سواء كانت بالعربية أو الأجنبية ، هذا مـــا دفعنا إلى التنقل إلى بعض المكتبات الجامعية خارج تراب العاصمة مثل وهران وقسنطينة و الاســتعانة ببعض المكتبات الشخصية .

خُـــــــطة البحـــث :

جاء البحث في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، أما المقدمة فقد تضمنت لمحة موجزة عن الموضوع وأهميته والأسباب التي دفعتنا لاختياره إضافة إلى المنهج المتبع ، وأهم الإشكالات التي أجبنـــا عنـــها ضمن البحث كما تضمنت أيضا الصُعوبات التي واجهتنا خلال البحث ،إضافة إلى هيكله ولمحـــــة موجزة عن أهم المصادر التي اعتمدناها .

أما الفصل الأول فقد تضمن أهم العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي وأردنا من خلاله التعريـــف بهذه الفئات ، وهي على الترتيب النصارى واليهود والعرب والبربر والموالي والــصقالبة والمـــــولدين وعـــليه ركزنا على التعريف بهاته الفئة الأخيرة والتي كانت موضوع البحث .

والفصل الثاني تناولنا فيه أهم الأوضاع السياسية التي سبقت عصر الأمير عبد الله أي خلال الفترة الممتدة بين (238-275هـــ/852- 888م) ، وتكمن أهمية هذا الفصل في أنه يُعتـــبر حلـــــــقة وصل بين الأوضاع التي شهدها عصر الأمير عبد الله والأوضاع التي ميزت فترة حكم أبيه محمد بن عبد الرحمان وابنه المنذر ، كما تضمن الفصل الثاني بعض الأوضاع الأخرى التي كان لها تأثير على المـــدى البعيد مثل ثورة أهل طليطلة ، وتمردات المولدين في شمال الأندلس ،وثورة عمر بن حفصون .

و يعتبر الفصل الثالث محور البحث ،حيث تطرقنا فيه لأهم زُعماء المولدين الذين ثاروا ضد إمارة قرطبة وحدُوده الزمانية شملت فتـــرة حكـــم الأمـــير عبـــد الله بأكملـــها أي مـــن ســـنة (275-300هـــ/888- 912م) وأهم الزعماء الذين تطرقنا إلى ثوراتهم هم عمر بن حفصون في الجنـــوب الأندلسي وعبد الرحمان بن مروان الجليقي في غرب الأندلس ...

أما الفصل الرابع و هو أهم الفصول و يعتبر بمثابة زبدة الموضوع إن صح التعبير فتطرقنا فيه إلى أهم النتائج التي خلفتها هذه الثورات فكان منها النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية .

ملاحظات حول أهم مصادر البحث :

لا يمكن لأي باحث أن يقدم صورة واقعية عن الموضوع الذي يبحث فيه إلا إذا توافرت لديـــه مجموعة المصادر التاريخية التي تتضمن المعلومات والحقائق الكافية لكتابة بحثه .

و في بحثنا هذا استعملنا عددا لا بأس به من مصادر التاريخ الإسلامي وكُتب الأدب والجغرافيـــا إضافة إلى بعض الكتب الفقهية ، من دون أن ننسى كتب التراجم التي اعتمدنا عليها بشكل كـــبير في التعريف ببعض الشخصيات السياسية والدينية ، إضافة إلى أنها كانـــت تحمـــل في طياتهـــا معلومـــات غـــــزيرة تتفاوت أهميتها بالنسبة لموضوع البحث .

و يأتي في طليعة هذه المـــصـــادر كتـــاب المُقتـــبس لابـــن حيـــان القُـــرطبي المتـــوفى ســـنة 469هـــ/1076م ، وكان الاعتماد عليه كبيرا إذ شمل استعمالنا له كافة فصول البحث خاصة القطعة الثانية التي حققها الدكتور محمود علي مكي وهي بعنوان " المقتبس من أنباء أهل الأنـــدلس " وتـــشمل كامل فترة الأمير عبد الرحمان الأوسط وجزءا من عهد ابنه محمد وتتوقف عند سنة(267هـــ /880م) ولقـــد استفدنا منها كثيرا لأنها زودتنا بالمعلومات التي كان موضوعها الفصل الثـــاني المتعلـــق بـــأهم الأوضاع السياسية التي سبقت عصر الأمير عبد الله .

إضافة إلى القطعة الثالثة التي قام بتحقيقها الراهب " ملشور أنطونيا " وهي بعنوان " المقتـــبس في تاريخ رجال الأندلس " وقد وضعها ابن حيان خِصيصا لفترة الأمير عبد الله وهي مُرتبة ترتيبـــا حوليـــا حسب السنوات ، وتحمل معلومات دقيقة عن عصر هذا الأمير خاصة فيما يتعلق بأهم المتمردين الـــذين ثاروا ضد الأمير عبد الله سواء كانوا عربا أو بربرا أو مولدين و غيرهم ، وتعود أهمية كتاب ابن حيـــان إلى أنه روى عن مؤلفات تعتبر مفقودة مثل : مؤلفات عيسى و أبيه أحمد بن محمد الرازي , و عيـــسى هذا له تواريخ مشهورة أوردها ابن حـــزم في رسائله عن الأندلس و التي تضمنت أخبارا عـــن الثـــوار المولدين أمثال : عمر بن حفصون و عبد الرحمان بن مروان الجليقي و غيرهم , كما أفادتنا هذه القطعة في الفصل الرابع الخاص بالنتائج . فقد تضمنت أخبارا كثيرة حول هذا الجانب .

كما اعتمدنا على الجُزء الثاني من كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغـــرب " لابـــن عذاري الُمراكشي المتوفى بعد سنة (712هــ/ 1312م) ويبدأ تاريخ هذا الجزء من فتح الأنـــدلس حتى وفاة المنصور بن أبي عامر سنة (392هــ/ 1001م) وقد اعتنى بتحقيق هذا الجزء كـــل مـــن "جورج .س. كولان" و"ليفي بروفنصال" ، ورافقتنا كتابات ابن عذاري من أول البحـــث إلى آخـــره حيث أفـــادنا بذكـــر أخبار المتمردين المولدين وعلاقاتهم بنصارى الشمال، إضافة إلى أنه نقل أخبـــارا عن ابن حيان وغيره ، ونسبها إليهم مما يدل على أمانته العلمية .

و من بين المصادر الُمهمة التي اعتمدنا عليها أيضا كتاب " نصوص عن الأندلس " لأحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدِلائي (393- 478هــ/1002 – 1085 م) وهو عبـــارة عـــن جـــزء صغير من موسوعة تاريخية وجغرافية كبيرة ألفها "العُذري" حول تاريخ المغرب والمشرق ، وهي مفقُودة ، ويُعتبر هذا الجزء الذي حققه عبد العزيز الأهواني "السفر السابع" ، من بقايا الأجـــزاء الـــتي تطرقت إلى تاريخ وجغرافية الثغر الأعلى الأندلسي ، وهذه الموسوعة تحمل عنوان " ترصـــيع الأخبـــار وتنويع الآثار ، والبُستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك " ، وتكمن أهمية هذا الكتاب في تفرُده بأخبار الثغر الأعلى الأندلسي ، حيث استفدنا منه كثيرا خاصة فيما تعلق بثورات المولدين في هاته المنطقة ، إضافة إلى التعريف ببعض مدن وقرى هذا الجانب من الأندلس .

كما استفدنا من كتاب " تاريخ افتتاح الأندلس " لأبي بكر بن عمر بن عبد العزيز " المعـــروف بإبن القوطية " (ت)977/367م) ، حيث تضمن تواريخ مختلفة من بداية فتح الأندلس حتى نهاية عصر

الأمير عبد الله (300هـ /912م) خاصة فيما تعلق بأخبار عمر بن حفصون الثائر المولـدي كمـا تضمن معلومات قيمة حول بعـض الثوار الآخـرين أمثال " عبد الرحمان بن مروان الجليقي وديسم بن إسحاق وغيرهم ... إضافة إلى معلومات هامة حول الأمير عبد الله وبلاطه في قرطبة .

و تُعتبر كتب التراجم ذات أهمية كبيرة للباحث في مجال التاريخ لأنها – على غـرار أهميتـها في التعريف بمختلف الشخصيات البارزة لأي موضوع – تمدنا بأخبار تاريخية ربما لا يذكر لها وجـود في المصادر التاريخية ، ومن بين مصادر التراجم التي اعتمدنا عليها كتاب " تاريخ علماء الأنـدلس لابـن الفرضي (ت) 403هـ/1012م ويتكون هذا المصدر من ثلاثة أجزاء وعني بتحقيقه السـيد عـزت العطار الحسيني كما اعتمدنا على كتاب " جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس" للحُميـدي (ت) 488هـ/1095م وقد عني بتحقيقه إبراهيم الأبياري، إضافة إلى الطبعة التي عنيت بتحقيقها " الـدار المصرية للتأليف والترجمة " ، وهذان المصدران غنيان بالشخصيات التي ذكرناها في البحث .

إضافة إلى هذا استعملنا مصدرين آخرين لا يقِلان أهمية عن سابقيهما ،الأول هو كتاب " قـضاة قرطبة " لأبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني (ت) 367هـ/971م وقد عني بتحقيقه السيد عزت العطار الحسيني ، وتضمن هذا المصدر معلومات قيمة بخصوص العلماء والقضاة والشعراء والكتاب والأهمية الأخرى لهذا الكتاب تكمن في وصفه للأوضاع السياسية والقضائية لعصر الأمير محمد بن عبـد الرحمان و ابنيه المنذر وعبد الله ، والمصدر الثاني هو كتاب "الحلة السيراء" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر القضاعي المعروف "بابن الأبار" (595-658هـ/1199-1260م) ويُعد هذا المصدر من أغزر كتب التراجم التي أمدتنا بسيل من المعلومات القيمة حول شخصيات البحث ،ويضم جزءان قـام بتحقيقهما الدكتور : حسين مؤنس ، ومن دون شك فإن من يؤلف أو يهتم بحقل الدراسات الأندلسية لا يستغني عن هذا الكتاب الذي يتضمن تواريخ مناحي شتى أدبية كانت أو سياسية أو تاريخية .

و اعتمدنا في هذا البحث على كتب الأنساب ومنها : كتاب "جمهرة أنـساب العـرب " لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (384- 456هـ/994-1064م) ويعتبر من أوسع كُتب الأنساب وأحفلها وأدقها من حيث المعلومات وقـــد عنى إبن حزم في كتابه هذا بذكر أنساب العرب وأيامهم في المشرق ، إضافة إلى أنساب العرب الوافدين إلى الأندلس خلال فترة الفـتح وأهـم فروعهم وبطونهم ومناطق استقرارهم كما تضمن معلومات تاريخية مهمة عن أنساب أهم الأُسر المُولدية

كبني قسي " و"بني حفصون" و"بني شبراط" و"بني الطويل " ، وكان اعتمادنا على هذا المصدر بـــشكل كبير في الفصل الأول . و تكمن الأهمية الأخرى لهذا المصدر في أن ابن حزم تطرق فيه إلى معلومـــات دقيقة حول العلاقات التي كانت تربط بين مختلف الطوائف المكونة للمجتمع الأندلسي ، إضـــافة إلى أن ابن حزم لم يقتصر على ذكر الأنساب ذكرا سرديا جافا بل أعطانا معلومات وحقائق تاريخية هامـــة في ثنايا حديثه عن عناصر المجتمع الأندلسي .

كما كان للكُتب الجغرافية أهمية كبيرة في هذا البحث ، حيث اعتمدنا على مجموعة كبيرة نذكر منها كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " للشريف الإدريسي (ت560هــ/1164م) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي البغدادي (ت626هــ/1228م) وكتاب " صورة الأرض " لابن حوقل، على أن أهم هذه المصادر كان كتاب " الروض المعطار في خبر الأقطار " لمحمد بن عبـــد المـــنعم الحمـــيري (ت900هــ/1494م) وقد عني بتحقيقه الدكتور " إحسان عباس " . وقد أفادتنا هذه المصادر بدون استثناء في التعريف بأهم الكُور والمُدن والقُرى والحُصون ،كما حوت في طياقما معلومات تاريخية عـــن الفترة التي كان موضوعها هذا البحث .

و نظرا للأحداث التي شهدتها فترة الدراسة وما نتج عنها من أضرار كان لها بالغ الأثر على نواح شتى فقد كان لهذا انعكاسه في كتب الفقه ، ويتمثل ذلك في مواقف العلماء من الفتنة التي شهدها عصر الأمير عبد الله وقد أفادتنا المصادر الفقهية في توضيح هذه المواقف ، ونذكر من هذه المـــصادر كتـــاب "المعيار المُعرب والجامع المُغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب " لأبي العباس أحمد بن يحـــي الونشرسي المتوفى سنة (914هــ/1508م) ، ونذكر على سبيل المثال مواقف العلماء من مسألة بيـــع الأحرار الذين أصبحوا يُباعون ويُشترون جراء فتنة ابن حفصون ،وكذا مواقف العلمـــاء مـــن الـــسلع المسروقة التي شاع انتشارها في الأسواق بسبب هذه الفتنة ، إلى غيرها من المسائل التي تطرق إليها هذا المصدر.

و تعد كتب الأدب من الكتب المهمة التي تحمل في طياقما أخبارا تاريخية و أدبية ذات أهمية بالغة، و في هذا السياق إعتمدنا على كتاب " العقد الفريد " للفقيه و الأديب أحمد بن محمد بـــن عبـــد ربـــه الأندلسي (328/246 هــ/ 860-939م) , و إضافة إلى أهمية العقد التاريخية و الأدبية فقد كان ابن عبد ربه على صلة وثيقة بأُمراء فترة الدراسة و هم محمد بن عبد الرحمان و ولديه المنذر و عبـــد الله لذا كان ابن عبـــد ربه أدرى من غيره بأحداث الفتنة التي ميّزت هذه الحقبة , و اعتمادنا الأساسي على

هذا الكتاب كان الجانب الأدبي , و تمثل ذلك في مُختلف الأشعار التي خلدها هذا الأديب بمناسبة الانتصارات الساحقة التي حققها الأمير عبد الله على زعماء المولدين و أبرزهم عمر بن حفصون , و قد جعلناها كعنصر مستقل تضمنه الفصل الرابع .

و حتى لا تكون الدراسة أُحادية المصادر تم الرجوع إلى بعض المراجع العربية و الأجنبية و المقالات العربية و المترجمة و الموسوعات و ذلك للاستفادة منها في تحليل بعض الآراء و المواقف , و كان من أهم هذه المراجع كتاب " الإسلام السري في المغرب العربي للدكتور المغربي " إبراهيم القادري بوتشيش "، و كتاب " دولة الإسلام في الأندلس " " لمحمد عبد الله عنان "، و كتاب " فجر الأندلس" " لحسين مؤنس " و كتاب " الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري " " لمحمد بن إبراهيم أبا الخيل " .كما اعتمدنا على بعض المؤلفات الأجنبية أهمها كتاب: histoire de L'Espagne Musulmane"،أو تاريخ إسبانيا الإسلامية للمُستشرق الفرنسي "Levi Provençal" خاصة الجزء الأول ،و قد شمل استعمالنا له كامل فصول البحث ، وفائدة هذا الكتاب تكمن بتفرده بمعلومات هامة عن تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية حكم الأمير عبد الله افتقدتها بعض المراجع العربية مما يدل على سعة إطلاع المؤلف، إضافة إلى بعض المؤلفات الأجنبية الأخرى والتي لا تقل أهمية عن المؤلف السابق .

لقد حاولنا قدر المُستطاع بذل كل ما في وُسعنا لِيظهر هذا العمل بهاته الصورة، والله وحده يعلم كم عانينا فيه من جهد ومشقة،وإذا كان في عملنا شيء من النقص أو التقصير فإننا نلتمس سعة الصدر والتوجيه فيما عسى أن يكون مثارا للنقد، والله نسال أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد والهدى والرشاد إنه نعم المولى ونعم النصير .

وفي الأخير أتقدم بالشُكر الجزيل والامتنان العميق للدكتور "عبد العزيز شهبي" الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل المتواضع ، ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته المستمرة ،كما أتمنى دوام الصحة والعافية له ولبقية الأساتذة .

الفصـــل الأول:عناصر المجتمع الأندلسي

أولا: أهل الذمة.

1-النصارى.

2-اليهود.

ثانيا:العناصر المسلمة.

1- العرب.

2- البربر.

3- الموالي.

4- الصقالبة.

5- المُسالمة والمُولدون.

عناصر المجتمع الأندلسي

تألف المجتمع الأندلسي من عدة عناصر تنوعت أُصولها البشرية وثقافاتها ومعتقداتها الدينية،فنجـــد فيه السكان السابقين الذين استوطنوا الأندلس قبل الفتح الإسلامي ، وهؤلاء أطلق عليهم المسلمون فيما بعد عجم الأندلس، وتكونت أغلبيتهم من الأسبان ومنهم المسيحيون و اليهود وهؤلاء منهم من بقـــي على دينه وأصبحوا أهل ذمة عليهم دفع الجزية.

إضافة إلى عناصر أُخرى وفدت إلى الأندلس بعد الفتح الإسلامي فكان منهم العرب الذين قـــدموا من المشرق والبربر الوافدون من المغرب بعد فتحه من طرف المسلمين،ومع مرور الوقت ظهرت عناصر أُخرى انضمت إلى المجتمع الأندلسي فكان منهم الموالي و "الصقالبة" المجلوبُون من بُلدان عديدة كأرقـــاء سواء للعمل في الجُيوش أو البُيوت وأُطلق على الفئة الأخيرة اسم "الخِسيان".

ورغم هذا التنوع الاجتماعي الذي طبع الأندلس بعد الفتح كان لزاما على هاته العناصر أن تتصل يبعضها البعض سواء عن طريق الزواج أو الجِوار أو التعامل في إِطار التجارة وغيرها،الأمر الذي أدى إلى ظهور فئة جديدة أطلق عليها المؤرخون العرب اسم "المولدين" وهي التي نتجت عن تـــزاوج الفـــاتحين العرب و البربر من الإسبان أهالي البلاد ، و سنأتي على التعريف بهذه الفئة في عنصر لاحق.

و على الرغم من الاختلاف العرقي والديني بين هاته العناصر،إلا أن رابطة الدين الإسلامي وحدت إفراد المُجتمع الأندلسي وكان لها الدور القوي في توحيد كلمة المسلمين في السنوات الأُولى من الفـــتح وجعلت الإسبان يُقبلون على الدخول في الإسلام أفرادا وجماعات ،ويقبلون بتزويج بناتهم من المسلمين.

وقد أدى التفاعل بين مختلف هاته العناصر إلى تكوين شخصية للأندلس متميزة عن سائر الأقطـــار الأخرى بحيث كان لكل عنصر من هاته العناصر دوره في صنع تلك الحضارة التي لم ينطفـــئ شـــعاعها بأفول نجم المسلمين في الأندلس، بل ظلت قرونا عديدة ومازال بعض شواهِدها إلى الآن.

ومن جانب آخر لا يمكن أن نُنكر ما حدث من صراع بين هاته العناصر،وقد كان هذا الصراع في أغلبه من أجل السُلطة ،فالمجتمع الأندلسي بعد الفتح لم يكن مُجتمعا بسيطا فقد كان الاختلاف بين هاته الجماعات مظهرا من مظاهر التفكك و الاضمحلال. ومهما يكن من أمر فان الفتن والاضـــطرابات و الحروب بين هاته العناصر قد ظهرت مبكِرا خاصة بعد قيام الإمارة الأموية على يد الأمير عبد الرحمـــان بن معاوية الملقب بالداخل وذلك سنة (138هـــ-756م)،وسنتطرق إلى هـــذا الأمـــر في الفـــصول اللاحقة.

أولا: أهل الذمة

1-النصارى:

مثل النصارى نسبة كبيرة من سُكان الأندلس قبل فتحها من طرف المسلمين،حيث شمل تواجدهم أغلب مدن الأندلس،والنصارى بطبيعة الحال هم الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن و البقاع المفتوحة حيث كانوا يُشكلون جماعات كبيرة في القواعد الرئيسية مثل قُرطبة[1] واشبيلية"[2] و"طُليطلة"[3] ويتمتعون في ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلي ويُطبقون شرائعهم القُوطية القديمة، ولهم قضاؤهم الخاص ولهم كنائسهم يزاولون فيها شرائعهم الدينية بكل حرية،وكانوا فوق ذلك يتمتعون في بعض الأحيان بنفـــوذ قوي حيث احتل البعض منهم مناصب هامة في الحكومة والجيش، وقد أنشأت الـــسلطة في الأنـــدلس _اعترافا منها بأهمية الأقليات النصرانية_ منصب "القومس"[4] ليكون مرجعهم الرئيـــسي في شـــؤونهم الروحية،وكان "القومس" من الشخصيات ذات النفوذ القوي،وكان له في معظم الأحيان مكانة خاصـــة لدى الأمير أو الخليفة إذ كان مُستشاره في كل ما يتعلق بشؤون النصارى وأحوالهم[5]

---

[1] قرطبة Cordoba:قاعدة الأندلس وأُم مدائنها و مُستقر خلافة الأمويين بها...و هي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعـــضا وبـــين المدينة والمدينة سور حاجز وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وطولها من شرقيها إلى غربيها ثلاثة أميال وهي في سفح جبل مُطل عليها يسمى جبل العروس...،أنظر:محمد بن عبد المنعم الحُميري،الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق:إحـــسان عباس،ط2،مكتبة لبنان،بيروت،1984م،ص456،أُنظر كذلك،شهاب الـــدين يـــاقُوت الحمـــوي ، معجـــم البلـــدان،مج4،دار صادر،بيروت،1397هـــ-1977م،ص324وما بعدها.

[2] اشبيلية Sevilla:مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة ويُقال أن الـــذي بناها يوليش القيصر...وهي كبيرة عامرة لها أسوار حـــصينة ...، وخلقهـــا كـــثير وأهلـــها مياســـير...،أُنظـــر: الحميري،نفـــس المصدر،ص58وما بعدها،انظر كذلك:ياقوت الحموي،نفس المصدر،مج1،ص195.

[3] طليطلة Toledo:مدينة كبيرة ذات خصائص محمُودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة...وهي من أجل المُـــدن قـــدرا وأعظمها خطرا...وبينها وبين قرطبة ســـبعة أيـــام للفـــارس...،أُنظـــر:يـــاقوت الحمـــوي،نفس المـــصدر،مج4،ص 39،أُنظـــر كذلك:الحميري،نفس المصدر،ص395.

[4] القُومس: Comes كلمة لطينية والقومس في الأصل مُرافق للملك ونديمه، ثم صارت هذه الكلمة في أيام القُوط والإفرنج خاصة بولاة الكور(النواحي)، ومنها أُشتق اللفظ الاسبانيConde ،واللفظ الفرنسيComte وجمعها قوامسة...،أُنظر:أبو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(384هـــ-456هـــ)،جمهرة انساب العـــرب،ج2،تحقيـــق: عبـــد الـــسلام هـــارون،ط5،دار المعارف،القاهرة،1982م،ص467 ،هامش(2)

[5] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج1،تحقيق: محمد عبد الله عنان،ط2،مكتبة الخانجي،القـــاهرة،1393هــــــ-1973م،ص:106،هامش(2).

ويبدو أن مدينة"ماردة"[1] حوت الكثير من النصارى على حسب ما أشار إليه ياقوت الحمـــوي في معجمه، إذ ذكر أنها من أعمال قرطبة، وقال أنها« إحدى القواعد التي تخيرتها الملوك للسُكنى من القياصرة والرُوم»[2]. كما استوطن النصارى قلعة " بُبشتر"[3]التي تحصن بها "عمر بن حفصُون" الثائر المُولـــدي في أواخر عصر الإمارة.

وقد كان للنصارى رغبة كبيرة في الاستيطان في الأراضي الخصبة والضياع الكبيرة في شتى نواحي الأندلس، حيث أشار ابن حوقل إلى هذا بقوله:«...وفي الأندلس غير ضيعة فيها الأُلوف من النـــاس لم تُمدن، وهم على دين النصرانية روم، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ بعضهم إلى حـــصن فطـــال جهادهم لأنهم في غاية العُتُو و التمرد ،وإذا خلعوا "ربقة" الطاعة صعُب ردهم إلا باستئصالهم وذلـــك شيء يصعب ويطول...»[4] .

كما أن ظروف الفتح الإسلامي للأندلس ساعدت في حالات عديدة على نزع الملكية الإقطاعية من كبار الفلاحين القدامى،وبذلك وجد عدد من الفلاحين الذين كانوا مضطهدين ـقبل الفتح ـمكانا لهم من دون صعوبة في ظل الحُكم الإسلامي[5]،وهذا باستغلال جزء وفير من الأراضي غير المزروعـــة،الأمر الذي أدى إلى إعطاء دفعة جديدة للاقتصاد الأندلسي

ومن جهة أخرى لم يُعان النصارى في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس أي شكل من أشكال التمييز والاضطهاد على عكس ما تداولته الكثير من المراجع الأجنبية،فقد تمتع هؤلاء بكامل حريتـــهم الدينيـــة والدنيوية،و أُعتبروا أهل كتاب عليهم دفع الجزية في ظل حماية الدولة الإسلامية لهم،فمن شـــاء دخـــل الإسلام ومن شاء بقي على دينه. وبخصوص معاملة المسلمين للنصارى في الأندلس،فقد كانت على أعلى

[1] ماردة Merida:مدينة قديمة ،بينها و بين قرطبة خمسة أيام...،مؤلف مجهول،ذكر بلاد الأندلس ،ج1، تحقيـــق: لـــويس مولينـــا ،مدريد، 1983م، ص56.

[2] ياقوت الحموي،المصدر السابق،مج5،ص38

[3] بُبشترBobastro: حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا، وهو حصن على صخرة صماء منقطعة لها بابان...وحصن ببشتر كان قاعدة العجم ،كثير الديارات و الكنائس والدواميس...،أنظر: الحميري، المصدر السابق،ص79

[4] أبو القاسم بن حوقل النصيبي.كتاب: صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت، 1979م،ص106

[5] بدُور شلميطا،صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي،ترجمة:مصطفى الرقي،مجلة الحضارة العربية في الأندلس،ج2،ط1،تحريـــر:ســـلمى الخضراء الجيوسي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1998م،ص1053

مستوياتها،حيث ذكر الذهبي أنه يوم وفاة الفقيه "عبيد الله بن يحيى الليثي"[1]شُوهد نفر من اليهود ومــن النصارى من جملة الباكين عليه، وهذا دليل على سماحة الإسلام والمسلمين مع نصارى الأندلس.

ولقد تعدى الأمر ببني أمية في الأندلس إلى أن استعملوا النصارى في خدمتهم في قصورهم،مما جعل المسلمين في المشرق يعيبون عليهم ذلك[2]، ومنهم "ربيع بن زيد" الذي استعمله الأمــير الحكــم بــن هشام(186-206هــ-796-822م)،ويبدو أنه كان يحتل مرتبة موظف كبير في بلاطه حيث يذكر ابن الخطيب قوله:«...أن الناس أنكروا عليه أمورا منها:إطلاق يد ربيع "القومس" متــولي المعاهــدين بالأندلس من النصارى، وكان حظيا في رجاله سوغه افتراض المعاون والمغارم على المسلمين...»[3].

وقد حذا حذو الأمير الحكم بن هشام أبناؤه وأحفاده من بعده،فقد استعمل الأمير محمد بن عبــد الرحمان(238-273هــ-852-886م) كاتبا نصرانيا اسمه"قومس بن انتنيان"،ولاه الأمــير محمــد الكتابة بعد وفاة كاتبه "عبد الله بن أُمية بن يزيد سنة246هـــ- 860م،وقد احتفظ بديانته زمنا،حيث يذكر ابن حيان أن الأمير محمد قال:«...لو أن قومسا أسلم ما أردنا بدلا منه...»[4] .

ولقد بلغت الدرجة بالنصارى في الأندلس إلى أن تأثروا بأسلوب حياة العرب وثقافتهم ، وتأثروا بمختلف العلوم العربية فأقبلوا عليها ينهلون منها حتى تفوقوا في بعض الأحيان على العرب أنفسهم.ويبدو أن طائفة من مسيحيي الأندلس برعت في مجال الثقافة و اللغة العربية،ولكنها بقيت على ديانتهاالأصــلية

---

[1]عُبيد الله بن يحيى الليثي:من أهل قرطبة يكنى أبو مروان، روى عن أبيه و لم يُسمع بالأندلس من غيره، رحل تاجرا و حاجا ودخــل بغداد وسمع من مجالسها،ودخل مصر وشهد مجالسها،وكان رجلا عاقلا كريما،عظيم المال والجاه،مُقدما في المــشاورة،توفي في شــهر رمضان سنة ثمان وتسعين ومائتين...أُنظر:أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأُزدي المعروف –بابن الفرضي(ت403هــ)،تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس،ج1،تحقيق:السيد عزت العطار الحسيني ،ط2 ،مطبعة المدني .القــاهرة،1408هـــــ-1988م ،ص 292 ، أُنظر كذلك:أبو عبد الله محمد بن نصر فتوح بن عبد الله الحميدي(ت488هــ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ،ج 2، تحقيق:إبراهيم الابياري،ط3،دار الكتاب المصري ، القاهرة،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1410هــ-1989م،ص425،ترجمة رقم 581 ، ولكن الحميدي ذكر أن وفاته كانت سنة297هــ .

[2] محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول:القسم الأول، من الفتح إلى بداية عهد الناصر،ط3،دار سحنون للنشر والتوزيع ،1411هــ-1990م،ص316

[3] لسان الدين ابن الخطيب السلماني، تاريخ إسبانيا الإسلامية، أو كتاب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام تحقيق :ليفي بروفنسال،ط2،دار المكشوف،بيروت 1956م ،ص15

[4] أبُو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان،المُقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الثانية، تحقيق:محمود علي مكي،دار الكتاب العربي ،بيروت،ص142، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني(ت361هــ)،قضاة قرطبة وعلماء افريقية، تحقيق:السيد عزت العطار الحسيني ،ط2،مكتبة الخانجي،القاهرة،1415هــ- 1994م،ص ص: 110-112.

المسيحية وأُطلق على هؤلاء اسم "المُستعربين"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن عنصر المستعربين لم تبرز إلا خلال النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، أي بعد قيام الإمارة الأموية سنة138هـــ-756م ،وذلك راجع إلى أن عصر الولاة كان العمل الرئيسي فيه للعرب حربيا خالصا،وبعد استقرار الأمور للأمير عبد الرحمان الداخل(138-172هـــــ-756-787م).بدأ هناك نوع من النشاط العلمي والذي تأثرت به هاته الفئة،بحيث أن الظُروف الـــسياسية في الوقت السابق لم تكن تسمح للنصارى بالتعمق في الثقافة العربية.

ومن خلال المعلومات التي حملتها بعض مصادر التاريخ الأندلسي حول هذا الموضوع- الذي يطول التفصيل فيه-تأكد أن اهتمام النصارى المستعربين بالشؤون العربية،وبخاصة العلمية منها،كان له ردة فعل قوية في انتشار حقد النصارى الآخرين على المسلمين ،واستخدموا كل ما هو متاح لهم لسد الطريق أمام إخوانهم فلجأ النصارى إلى مهاجمة الإسلام والمسلمين وسب "الرسول صلى الله عليه وسلم" أمام المـــلأ أو ما يعرف بحركة الاستشهاد[2] ،على أن الفترة التي نشطت فيها هاته الفئة بشكل رهيب هي فترة الأمير عبد الرحمان الثاني(206-238هـــ/822-852م).

ولكن من خلال معاملة المسلمين للنصارى بالحُسنى ،يجعلنا نستغرب لقيام هؤلاء بهاته الأعمال،رغم أن المسلمين سمحوا لهم بإقامة شعائرهم الدينية في كنائسهم بكل حرية وهذا بشهادة أحد مؤرخي الغرب وهو "ليون بول" بقوله:"...وكان من المحزن المستدر للرحمة حقا أن ترى رجالا يقـــذفون بـــأرواحهم وأرواح غيرهم في سبيل حلم كاذب.."[3]. ومثل هذه الشهادات قلما نجـــدها في مؤلفـــات المـــؤرخين الغربيين خاصة إذا تعلق الأمر بتاريخ الأندلس، ومن جانب آخر حدث أن تأثر المسلمون بعادات وتقاليد

[1] المستعربُون:هم نصارى الأسبان الذين كانوا يُعاشرون المسلمين ويتكلمون العربيـــة،مع احتفـــاظهم بدينـــهم ولـــذلك عرفـــوا بالمستعربين.وكان العرب يسمونهم "عجم الذمة"،وكانوا يؤلفون جمهرة سكان البلاد في السنوات الأولى التي تلت الفتح، السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس:من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة،ط 2، المكتبة الانجلو مصرية ، مصر ،1986 م ص130.

[2] حول هذا الموضوع بالتفصيل ،انظر:إبراهيم بيضون،الدولة العربية في إسبانيا،من الفتح حتى سقوط الخلافة(92-422هـــ-711-1031م) ،ط2،دار النهضة العربية،.بيروت،1980م،ص ص252-259 ،أيضا: كارل بروكلمان،تاريخ الـــشعوب الإســـلامية تعريب : نبيه أمين فارس،منير البعلبكي،ط5،دار العلم للملايين،بيروت،1968م،ص290 .

[3] ستانلي ليون بول،قصة العرب في اسبانيا،ترجمة:علي الجارم بك،مطبعة المعارف، مصر،(د ت ن.)،ص76.

النصارى وأعيادهم الدينية، ومن هذه الاعياد "عيد العنصرة"[1]الذي يحتفل به نصارى الأندلس في شهـــر جويلية من كل سنة،وقد تصدى عُلماء الأندلس لهذه الظاهرة ومنهم الفقيه "يحي بن يحي الليثي"[2] الذي توفي في عهد الأمير عبد الرحمان الثاني ، وقد أورد الوُنشريسي في معياره فتوى لـــ"يحي بـــن يحـــي الليثي" في هذا الصدد بقوله :«وكذلك إجراء الخيل والمباراة في العنصرة لا يجُوز و كذلك مـــا يفعلـــه النساء من وشي بُيوتهن يوم العنصرة...» [3].

ولقد أدى التمازج الكبير بين العرب و الإسبان عن طريق التزاوج والجيرة وغيرها، إلى تزاوج اللغة العربية مع اللغة الاسبانية ونتج عن هذا اللغة اللطينية،وقد أطلق عليها عرب الأندلس"اللغة الأعجميـــة" وجاءت كنتيجة لازدواجية اللغتين العربية والرُومنسية هذه الأخيرة المشتقة مـــن اللغـــة الاتينيـــة الأُم [4] فوُجدت بعض الألفاظ العربية في اللغة الاسبانية والعكس صحيح.

وكمثال على ذلك كان القاضي سعيد بن سُليمان الغافقي[5]يجيد التحدث بالأعجمية، إذ تخاطب بها يوما مع بعض العجم بعد خروجه من المسجد[6]،وبخصوص الحرية الدينية للنصارى ،فقد ترك المسلمون لهـــم حُرية ممارسة شعائرهم الدينية في مختلف كنائسهم دون مُضايقة أو تمييز ديني، ونـــذكر على سبيل المثال

[1] يوم العنصرة:أو "سان خوان" الذي يحتفل به في اسبانيا في24يونيو(جويلية) ،وهو يُقابل "عيد النيروز" في الشرق الذي يُحتفل به في شهر سبتمبر، ومُشاركة المسلمين للمسيحيين في هذه الأعياد يعود إلى نظرة الاحترام التي يكنها المسلمون لهم...،أنظر: احمد مختـــار العبادي ، الأعياد في مملكة غرناطة،مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد،مج15،وزارة التعليم العالي،مدريد،1970،ص140.

[2] يحي بن يحي الليثي:...به انتشر مذهب الإمام مالك،كان مكينا، عفيفا متنزها عن الولايات جلت رُتبته عن القـــضاء عنـــد ولاة الأمر...قيل أنه توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين...،أنظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحمد بن أبي بكر بـــن خلكـــان(608-681ه) ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،مج6، تحقيق:إحسان عباس،دار صادر،بيروت،1968م،ص143وما بعدها، أيضا: أبـــو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966، ص382، ترجمة رقم:909.

[3] أبو العباس أحمد بن يحي الوُنشريسي(ت914هـــ)،المعيار المُعرب والجامع المُغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج11 تخريج: جماعة من الفقهاء،بإشراف :محمد حجي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1401هـــ-1981م ،ص151.

[4] أحمد مُختار العبادي،صُور من التسامح الديني والتعاون المُشترك بين المسلمين والمسيحيين في العصور الوُسطى،مجلة المعهد المـــصري للدراسات الإسلامية،مج26،منشورات المعهد المصري،مدريد،1993،ص12 .

[5] سعيد بن سُليمان الغافقي:هو أبُو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب،أصله من مدينة غافق،وُلي قضاء ماردة وقرطبة،وكان من القضاة الأربعة الذين انتشر بهم العدل في آفاق الأرض، الخشني. مصدر سابق،ص92، وذكر ابن حيان أن الأمير عبد الرحمـــان الأوســـط إستقضاه سنة 234هـــ ، إبن حيان ،مصدر سابق ، تحقيق:محمود علي مكي، ص ص51-52.

[6] الخشني، مصدر سابق، ص96.

كنيسة بُبشتر" التي أُنشئت خصيصا لِعُمر بن حفصون بمناسبة ارتداده عن الإســلام واعتناقــه الديانــة النصرانية[1]، وكان هذا العمل من بين الإجراءات التي اتخذها ابن حفصون ضد الإمارة الأُموية لتقوية مركزه بين أتباعه وحلفائه في الشمال الأندلسي ، وسنتطرق إلى هذا الموضوع في الفُصول اللاحِقة

2-اليهود:

شكل اليهود عنصرا هاما من عناصر المُجتمع قبل وبعد الفتح الإسلامي لــشبه الجزيــرة الأيبيريــة ويبدومن خلال أخبارهم في مختلف مصادر التاريخ الأندلسي،أنهم كــانوا مــضطهدين قبــل مجــيء المسلمين،وأن الفضل الكبير يعود للفاتحين المُسلمين في تخليصهم من ظلم القوط،وفي هذا المقــام أشــار المستشرق الفرنسي"ليفي بروفنصال" إلى أن اليهود كانوا منبُوذين من قبل المجتمع القُوطي الذي ما فتــئ يطاردهم في كل مكان حيث أصدر ضدهم عُقوبات قاسية جراء الخدمة المجانية الــتي قــدمها هــؤلاء للفاتحين العرب قبل فتحهم للأندلس[2].

و كان اليهود ينتشرون في مُعظم أرجاء الأندلس، حيث عمل المسلمون خلال فترة الفتح على تجميع اليهود في قصبات المدن وبخصوص هذا يذكر المقري في معرض حديثه عن فتح موسى بن نصير[3] لمدينــة اشبيلية قوله:«...فامتنعت أشهرا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العُلوج عنها إلى مدينة" باجــة"[4] فضــم يهودها إلى القــصبة[5]...».ونفس الشيء ذكــره صاحب أخبارمجموعة عنــد فتح المــسلمين

---

[1] مانويل جُوميث مُورينو،الفن الإسلامي في اسبانيا،ترجمة: لطفي عبد البديع ، السيد عبد العزيز سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1977م ، ص422.

[2] Lévi Provençal, histoire de L'Espagne Musulmane Tome1 la conquête et l'Emirate , Hispano-Umaiyade ,(710-912), Maisonneuve et Larose ,Paris, 1999 p6

[3] مُوسى بن نصير:أبو عبد الرحمان موسى بن نصير اللخمي بالولاء ،صاحب فتح الأندلس،كان من التابعين، روى عن تميم الــداري رضي الله عنه، وكان عاقلا كريما شُجاعا ورعا تقيا لله...،ابن خلكان. مصدر سابق ،مج5 ،ص 318، وذكر الحميــدي انــه ولي افريقية والمغرب سنة تسع و سبعين هجرية...، الحميدي، مصدر سابق، ص538 ،ترجمة رقم:793.

[4] باجة Beja:وهي أقدم مدن الأندلس بُنيانا وأولها اختطاطا ،واليها انتهى "يوليش جاشر" وهو أول من تسمى قيصر ،وهو من سماها باجة وتفسير باجة في كلام العجم"الصُلح"... ،،أنظر: الحميري، مصدر سابق،ص75.

[5] أحمد بن مُحمد المقري التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،مج1،تحقيق :إحسان عبــاس ،دار صــادر ، بــيروت 1408هــ-1988م ، ص269 ، و القصبة :يعرفها ابن منظور بقوله:"وقصبة البلد مدينته، وقيل معظمه،وقصبة السواد : مدينتها ، والقصبة :جوف الحصن، يبنى فيه بناء هو أوسطه، وقصبة البلاد:مدينتها، والقصبة:القرية، وقصبة القرية:وسطها،أنظر:ابن منظور،لسان العرب،تحقيق:عبد الله علي الكبير وآخرون،(ب د ط)،دار المعارف،القاهرة،(د ت ن)،ص3641.

مدينــــــــــــة"البيرة"[1]بقوله:«...ومضى الجيش الذي توجه إلى رية ففتحها ونجى عُلُوجها إلى جـــبال مُمتنعة، ومضى ليلحق بالجيش المتوجه إلى البيرة فحصروا مدينتها فافتتحت،فألفو بها يومئـــذ يهـــودا. وكانوا إذا ألفو اليهود ببلدة ضموهم إلى قصبة البلد وتركو معهم من المسلمين طائفة...»[2].

ويبدو على حسب ما نعتقد أن المسلمين قصدوا من ضم اليهود إلى قصبات المدن هو مـــنعهم مـــن القيام بأي عمل انتقامي ضد الفاتحين، ويذكر بعض مُؤرخي الأندلس أن من عمل المسلمين الرئيسي هو ضم اليهود إلى قصبات المدن متى فتحو مدينة ،حيث يذكر "ابن الخطيب" في هـــذا الـــصدد قولـــه : «...وصار لهم ذلك سنة متبعة متى وجدو بمدينة يهودا.ضموهم إلى قصبتها.وجعلوا معهم طائفة مـــن المسلمين يُسدُونها...»[3].

وتذكر المصادر التي بين أيدينا أن اليهود كانت لهم أحياء خاصة بهم يقطنونها ومقابر يـــدفنون بهـــا موتاهم، فمن خلال قراءتنا لرواية أوردها المُؤرخ "ابن بشكوال"[4] في معرض حديثه عن وفاة الفقيه "عبد الرحمان بن عثمان القشيري"،والتي تؤكد على درجة الحرية التي كان يعيش اليهود في ظلها مع الحكـــم الإسلامي في الأندلس، ومفاد الرواية أن هذا الفقيه توفي في«... ذي الحجة في ســـنة خمـــس وتـــسعين وثلثمائة.ودفن في مقبرة حلال،بينها وبين مقبرة اليهود الطريق السالك بجوفي قرطبة...». كمـــا كـــان لليهود" أرباض"[5] خاصة بهم في مُختلف المدن الأندلـــسية ،ومنـــها الـــربض الـــذي ذكـــره المقـــري بقوله:«...ذكر ابن بشكوال أن عدد أرباض قرطبة عند انتهائها في التوسيع والعمارة،واحد وعـــشرون ربضا...وأما الشمالية:ربض اليهود...»[6].

---

[1] البيرة Elvira: من كور الأندلس جليلة القدر...وعبد الرحمان بن معاوية هو الذي أسسها...وحولها انهار كثيرة ،وكانت حاضرة البيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة، ومن البيرة إلى غرناطة ستة أميال...، الحُميري، مصدر سابق،ص29- 30.

[2] مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أُمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق: إبراهيم الابياري،ط2 دار الكتاب المصري ،القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1410هـــ-1989م ، ص21 وما بعدها .

[3] لسان الدين ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج1،ص101 .

[4] إبن بشكوال خلف بن عبد الملك الخزرجي (494—578هـ-1101-1138م) ،الصلة،ج2، تحقيق:إبراهيم الابيـــاري،ط1 دار الكتاب المصري،القاهرة ،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1410هـــ-1989م،ص 462، رقم الترجمة:682.

[5] الربض :و الربض ما حول المدينة ،وقيل هو الفضاء حول المدينة،وربض المدينة بضم الراء والباء أساسها،وبفتحها: ما حولها...، أنظر ابن منظور، مصدر سابق، ص1559.

[6] المقري، مصدر سابق، مج1، ص465-466.

وقد حملت العديد من أبواب المدن في الأندلس أسماء اليهود ،مما يدل على أنهم تركزوا في جميع أنحائها ،فقد ذكر ابن حيان وهو يصف الحكم المستنصر[1] ابن الخليفة عبد الرحمان الناصر،وهو يتحدث إلى بعض عماله عن مقبرة كثر فيها الدفن حتى ضاقت «...وكانت طريقه إليهم على مقبرة باب اليهود فأجـــال بصره إليها، وتأمل ما بها من ضيقة لتكاثرالدفن فيها.فعهد بابتياع دور جمة حدها كيما تهدم وتزاد فيها فعمل بذلك...»[2] .

ولكي لا تكون لليهود شرعية في السيطرة على بعض أبواب المدن في الأندلس فقد كانت ردة فعــل المسلمين حاضرة في ذلك الوقت، وفي هذا يذكر المقري أن مسلمي الأندلس استقبحوا تــسمية أهـــم أبواب قرطبة ومنها الباب الشمالي المُسمى باسم اليهود فحول اسمه إلى باب الهدى[3].

وتعد طُليطلة أيضا من المدن الهامة التي تركز فيها قسم كبير من اليهود منذ الفـــتح حيث أشار "ابن عذارى" إلى ذلك حين تحدث عن فتحها على يد طارق بن زياد «...وألفى طارق طليطلة ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة...»[4].

وحوت غرناطة[5] هي الأخرى جمعا كبيرا من اليهود حيث يذكر "الحميري" بأنها«...تعرف بأغرناطة اليهود...لان نازلتها كانوا يهودا»[6]،و يبدو أن اليهود مع مرور الزمن-وكنتيجة لحُريتهم التي أطلق عنانها

---

[1] الحكم المُستنصر:يُلقب بالمستنصر بالله ويكنى أبا العاص ،أُمه أم ولد اسمها مرجان، كان حسن السيرة جامعا للعلوم محبا لها،وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك ،وُلي الخلافة بعد أبيه عبد الرحمان وله إذ وُلي ســبع وأربعــون ســنة... الحميــدي مصدرسابق،طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص13،أُنظر كذلك: ابن الأبار أبو عبد الله بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي،الحلة السيراء،ج1، تحقيق :حسين مؤنس، ط2،دار المعارف ، القاهرة، 1985،ص ص200-205.

[2] ابن حيان. ،المقتبس من أنباء أهل الأندلس ،القطعة الخامسة، ،تحقيق: عبد الرحمان علــي الحجــي.ط1،دار الثقافــة ، بــيروت 1965، ص 92.

[3] المقري،مصدر سابق ، مج 1، ص156.

[4] ابن عذارى المراكشي،البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج2،تحقيق:جورج س كولان و ليفي بروفنسال،ط2،دار الثقافــة بيروت ،1410هـــ-1980م ، ص12.

[5] غرناطة Granada:مدينة بالأندلس وهي من مدن البيرة، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس ،وإنما كانت المدينة المقصودة الــبيرة فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطة...،أنظر: الحميري ،المصدر السابق،ص45.

[6] نفسه، ص45.

المسلمون- تقلدو مناصب هامة في الدولة وتعدى بهم الأمر إلى التدخل في الشؤون الـــسياسية،وعملوا على زرع الفتن بين الدويلات المتناحرة في عهد ملوك الطوائف.وكمثال على ذلك نذكر شخصية "ابن النغريلة"،الذي هاجر إلى غرناطة واعتلى بها مناصب إدارية هامة في عهد بني زيـــري ملـــوك غرناطـــة (403-483هـ/1012-1090م[1].

ويُلاحظ أن بعض المُدن في الأندلس كانت الأغلبية الساحقة من سكانها من اليهود ،وعلى ســـبيل المثال نذكر مدينة "أليسانة" التي وصفها "الإدريسي" بقوله:«أن اليهود يسكنون بجوفها (أي بداخلـــها) حيث لا يُداخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير وهم أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المـــسلمين ولليهود بها حذر وتحصُن ممن قصدهم...»[2]،ومما يؤكد على أن هاته المدينة كانت خاصة باليهود مـــا ذكره ابن حيان وهو يصف حصار عمر بن حفصون لها بقوله «...ومدينة أليسانة يهود الذمة...»[3].

ثانيا : العناصر المسلمة

1-العرب:

يُعتبر العُنصر العربي أهم العناصر التي تألف منها المجتمع الأندلسي ،مع الإشارة إلى أن العرب دخلوا الأندلس أفرادا وجماعات، أي في شكل جيوش عرفت في المصادر العربية بإسم: "الطوالع"،ولا شك أن العرب كانوا قلة في الأيام الأُولى للفتح كما تشير إلى ذلك المصادر التاريخية ، وهذا استنادا إلى الأخبار التي أوردها صاحب أخبار مجموعة أن موسى بن نُصير بعث مولاه طارق بن زياد «...في تسعة آلاف من المسلمين،جُلهم من البربر ليس فيهم عرب إلا قليل...»[4]،ومع مرور الوقت تدفقت جموع المسلمين. خاصة بعدما سمعوا بإخبار الفتح ،وما توفره الأندلس من شُروط العيش المختلفة ، سواء كان ذلك على شكل جماعات أو أفراد.

---

[1] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،القسم الثاني:المجلد الثاني،تحقيق: إحسان عباس،ط1،دار الثقافة بيروت ،1399هـ-1979م،ص562.أُنظر كذلك: المقري،مصدر سابق،مج1،ص322.

[2] الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي،نزهة المُشتاق في اختراق الآفاق،مج2،ط1،دار عالم الكتب بيروت ،1409هـ/1989م،ص:571.

[3] ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس.القسم الثالث،نشر الأب: ملشور أنطونية،مطبعة بُولس كتنر الكُتبي ، باريس ،1937 م ص93.

[4] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة...،ص17.

وتشكلت الحملة التي قادها موسى بن نصير إلى الأندلس، بعد حملة مولاه طارق بن زياد من عدد معتبر من العرب في شهر رمضان من سنة (93هـ-712م) ،وقد روى "المقري" أنه «...لما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد،وما أتيح له من الفتوح حسده وتهيأ إلى المسير إلى الأندلس ،فعسكر وأقبل نحوها ومعه جماعة الناس وأعلامهم،وقيل أنهم كانوا ثمانية عشر ألفا وقيل أكثر..»[1].

وهكذا بدأ انتشار القبائل العربية في كبرى المدن الأندلسية والقرى وغيرها،كمادة مقاتلة في أول الأمر،وما لبثت هذه الطلائع أن تعززت بجموع أخرى من مختلف المناطق التي كانت تحت سيطرة المسلمين ،وتجدُر الإشارة إلى أن تغيُر الولاة في الأندلس،كان بضرورة الحال يقتضي اصطحاب قوة عسكرية لتأمين استلام مقاليد السلطة،مما كان له أثره الكبير في هجرة الكثير من العرب من المشرق والمغرب إلى الأندلس.

وفي حقيقة الأمر إن الحديث عن هجرة القبائل العربية من مختلف المناطق موضوع مستقل بنفسه لا تكفيه هاته الصفحات ،والحديث عن هذا الموضوع يطول ويتشعب،ولكي لا نخرج عن الموضوع نركز فيما يلي على أهم القبائل العربية وبطونها وأهم المناطق التي استقرت بها.

ويمكن في هذا المقام- واستنادا إلى مصادر الأنساب وخاصة كتاب" جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي" - تقسيم القبائل العربية إلى مجموعتين بارزتين:هما:القبائل اليمانية، والقبائل المضرية

أ – القبائل اليمانية وهي :

-بنو عمرو بن عوف بن مالك بن أوس: وهم من الأنصار،وذكر ابن حزم أن سكناهم بمقبرة بني العباس في الجانب الشرقي من قرطبة[2]،إضافة إلى قوم يُعرفون ببني هارون وهم: بني عتر بن عوف بن عمرُو بن عوف بن الخزرج،ومنهم ولد الصحابي: عبادة بن الصامت وكانوا يسكنون قرب باب العطارين من قرطبة[3].

- بنو عبد السلام بن سُري بن هاشم بن عبد السلام بن أبي رواحة :وقد سكنو بالقرب من اشبيلية وجدهم الصحابي الأنصاري " النُعمان بن بشير"[4].

[1] المقري، مصدر سابق،مج1،ص269.

[2] ابن حزم الأندلسي،جمهرة انساب العرب...،ج2 ،ص333.

[3] نفسه،ص354.

[4] نفسه،ص365.

- الأزد: ويبدو أهم كثيرون بالأندلس حيث يذكر المقري "أهم هم الجم الغفير بالأندلس وهم فـــروع كثيرة فمنهم: بنو غسان، وبنو مازن، وبنو الأُزد، اضافة إلى بني القُليعي،وهُم أعيان غرناطة[1].

- بنو مهب بن دوس بن نصر بن زهران: ودارهم بالأندلس في " تُدمير" ومنهم بنو شاهر بن زرعـــة وبنو هارون بن زرعة[2].

- بنو ختعم بن أنمار: ومنهم بالأندلس وعلى الخصوص بألبيرة آل عُطيف بن شُعيب ويتركزون في مدينة شذُونة وهي دار ختعم بالأندلس.

- سبأ : ومنهم بنوبشتغير وبنو بريم وغيرهم واستوطنوا اشبيلية[3]، ومن سبأ بنو الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجُب بن عُريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ودار بني الأشعر " برية"[4]بالأندلس[5].

- بنو سعد العشيرة بن مالك بن أدد: وقد سكنو" بوادي آش" ومنهم بنو الحكم بن سعد العـــشيرة[6].و كانوا على قدر من الجاه كما يذكر إبن حزم

- بنو حمير بن سبأ: ومن حمير بن أبين بن زهير ونسبه طويل جدا ، وعقبهم بالأندلس كثير وبالضـــبط في اشبيلية ، حيث يذكر ابن حزم أن منهم قاضي قرطبة "يحى بن معمر بن عمـــران"[7] وعقبـــه أيظـــا باشبيلية[8].

- بنو الأسلم بن الحافي بن قضاعة: ومن أشهر فروعهم بالأندلس بنو بلي وموضعهم معروف بـــاسمهم بشمالي قرطبة[9].

---

[1] المقري،نفس المصدر،مج1، 292-293.

[2] ابن حزم،جمهرة...،ج2، ص283.

[3] نفسه،ص392 .

[4] رية Reyyo:كورة من كور الأندلس وهي قبلي قرطبة،نزلها جند الأُردن من العرب،وهي كثيرة الخيرات،أُنظر :الحُميري، مصدر سابق،ص279-280.

[5] ابن حزم،نفس المصدر،ص398.

[6] نفسه،ص408 .

[7] يحى بن مُعمر بن عُمران: له رحلة إلى المشرق وكان في مذهبه زاهدا فاضلا،استقضاه الأمير عبد الرحمان وكان إذا أُشكل عليه أمر بعث إلى مصر يستفتي قُضاقا...،أنظر: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين النباهي المالقي الأندلسي،تاريخ قضاة الأندلس،أو كتاب : المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء و الفُتيا،تحقيق:لجنة إحياء التراث العربي،ط5،دار الآفاق الجديدة،بيروت،1403هـــ-1983م ، ص 44-45.

[8] ابن حزم،نفس المصدر،ص408.

[9] نفسُه،ص443.

– حضرموت : وقد روى المقري ان فروع الحضرميين بالأندلس كثيرة بقوله «...ومنهم الحضرمـــيون بمرسية[1] وغرناطة وبطليوس وقرطـــبة»[2] ،ومن حضرموت أســـرة بني خلدون الشهيرة التي ينتمي إليها المؤرخ المغربي الشهير"عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي"، ويذكر ابن حزم أن ســـكن هاتـــه الأســـرة باشبيلية[3].

ب– القبائل المضرية:

وهي القبائل القُرشية التي تُعد من أقوى وأهم القبائل التي سكنت الأندلس،خاصة بعد نجاح عبـــد الرحمان بن معاوية في إقامة دولته،حيث اجتمع له شتات الأُسر الأموية من كل مكان،وقد ساعده هـــذا الأمر على تقوية مركزه هناك،واعتمادا على ابن حزم يمكن ذكر أهم القبائل المضرية كالتالي .

– بنوأبي العاص بن أمية: ومنهم بالأندلس بنو الشوحية ،وهم أهل شرف وحال،وينتسبون إلى عثمان بن مروان بن إبان،وقد ولي "شنتبرية "من قِبل الأمير عبد الرحمان بن معاوية[4].

– بنو الوليد بن عبد الملك: ومنهم كما ذكر ابن حزم بالأندلس أسرتان معروفتان،أُســـرة الحفـــصيين نسبة إلى حفص بن عُمر عبد الملك ،وأُسرة الحبيبيين نسبة إلى حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك ،وقد استقرت كلتا الأسرتين" بقرطبة ورية"،ولهما بها عقب كثير[5].

– بنو المغيرة الاشبيليون: وهم ولـــد المؤمن بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك[6] ، ومن خلال ما أورده إبن حزم فقد كانت هاته القبيلة تمثل الكثرة الغالة على سائر القبائل الأُخرى

– بنو جُري بن عبد العزيز بن مروان:وله عقب بقرطبة،وبنو زبان أخو جري استقر" بلبلة"[7] واليهم كانت تُنسب سويقة الزبانيين بقرطبة[8] .

---

[1] مرسية Murcia: بالأندلس وهي قاعدة تدمير،بناها الأمير عبد الرحمان ابن الحكم واتخذت دار العُمال وقرار القُواد،وهي على نهر كبير،وهي راجية أكثر الدهر...،أُنظر: الحُميري،مصدر سابق،ص539.

[2] المقري،مصدر سابق،مج1،ص298.

[3] ابن حزم، جمهرة...،مج2، ص460.

[4] نفسه ،ص85.

[5] نفسه،ص89.

[6] نفسه،92.

[7] لبلة Niebla: مدينة قديمة في غرب الأندلس،وتُعرف بالحمراء،وفيها آثار للأُول كثيرة...وهي حسنة متوسطة القدر...وبها أسواق وتجارات وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال.أُنظر:الحميري،مصدر سابق،ص507-508.

[8] ابن حزم،نفس المصدر،مج1، ص105.

– بنو عبد الدار بن قُصي: وأهم فروعهم في الأندلس قبيلة "بنو عامر بن وهب"، وقد كان أحد أفراد هذه القبيلة على صلة بالدعوة العباسية حيث بعث إليه الخليفة العباسي "أبُو جعفر المنصور" سجلا ولواء بولاية الأندلس،وقام بسرقسطة[1] ،ولكن يوسف بن عبد الرحمان الفهري آخر ولاة الأنـــدلس'129-138هــ/746-756م) تمكن من القضاء عليه[2] .

– بنو زهرة بن كلاب: ومنهم الزهريون استوطنو باجة وبطليوس[3] كما ذكر ابن حزم[4].

– بنو مُحارب بن فهر: ويذكر ابن حزم أنه من الفهريين بالأندلس خلق كثير ومنهم يوسف بن عبــد الرحمان بن أبي عبيدة الفهري آخر ولاة الأندلس[5].

– بنو ملكان بن كنانة: وحسب ابن حزم فقد كان بنو ملكان ذوو وجاهة وثروة وفيرة بالأنـــدلس، وقد تركزو بمدينة "مرسية" ،ودارهم بالأندلس "بشذُونة" .وولى الأمير عبد الرحمان رجلا منـــهم علـــى "الجزيرة الخضراء"[6] يسمى "الرُماحس بن عبد العزيز بن الرُماحس"[7].

– بنو أسد بن خُزيمة: ومنهم بالأندلس المحدث"عبد الله بن محمد بن عُثمان"[8] ويكـــنى هـــشام أبـــا إسماعيل[9].

---

[1] سرقسطة Zaragoza: وهي في شرق الأندلس،وهي قاعدة من قواعد الأندلس.آهلة،حسنة الديار والمساكن...وهي مـــن أطيـــب البلدان بقعة،وأكثرها ثمرة لكثرة الفواكه ببساتينها...أُنظر: الحميري ،مصدر سابق،ص317.

[2] ابن حزم،جمهرة...،ج1،ص127وما بعدها.

[3] بطليوس Badajoz: وهي بغرب الأندلس،مدينة عظيمة أزلية من قواعد الأندلس،دار علم وأدب وشعر...وهي مدينة خصبة كثيرة الفواكه والزر وع والأنعام...، مؤلف مجهول،تاريخ الأندلس،تحقيق:عبد القادر بوباية،ط1،دار الكتب العلمية، بـــيروت 2007م ،ص102.

[4] ابن حزم،نفس المصدر،ج1،ص132.

[5] نفسه...،ج1،ص178.

[6] الجزيرة الخضراء Algeciras: ويقال لها جزيرة أم حكيم وهي جارية لطارق بن زياد ...وهي على ربوة مشرفة على البحر...وهي طيبة رفيقة بأهلها.جامعة لفائدة البر والبحر...وهي اقرب مدن الأندلس مجازا إلى العدوة... الحميري. مصدر سابق، ص 223.

[7] ابن حزم.نفس المصدر.ص189.

[8] ذكر الحُميدي انه محدث و لم يُفصل في ترجمته،انظر: الحميدي،مصدر سابق، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص252،ترجمـــة رقم532.

[9] ابن حزم،نفس المصدر،ص192.

– بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان: ودارهم كما يذكر ابن حزم "البيرة" ولهم باشبيلية أهل بيــت واحد،وهم بنو عوف بن مرة،وقد عقد لهم الأمير محمد بن عبد الرحمان على اشبيلية وذلــك تعــصبا للمضرية[1].

– بنو عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر: ومنهم كان "سوار بن حمدون بن يحيى الالــبيري"[2] القائم بدعوى العرب بالأندلس، إذ قام عليه المولدون[3].

– هوازن بن منصور: وقبائلهم وفُروعهم بالأ ندلس كثيرة،على حد تعبير ابن حزم، ومنهم بنو جودي الالبيريون[4].

–بنو عوف بن ثقيف: ومنهم "بباجة" بنو مُنذر بن الحارث بن عيشون بن العلاء[5].

– بنو الضباب بن كلاب بن ربيعة: وينتمي إلى هاته القبيلة"الصُميل بن حاتم"[6] أحد الداخلين في طاعة بلج بن بشر والي الأندلس بين سنتي(124-125هــ/742-743م) ،ولقد سادت أسرة الــصميل بالأندلس،وله عقب بها ونزالتهم من "شُوذر" من أعمال "جيان"[7].

– بنو عقيل بن كعب بن ربيعة: ومن أشهر فروعهم بالأندلس: بنو قشير وكان منهم "بلج بن بـــشر بن عياض " الذي كان من ولاة الأندلس،ودار بنو قشير بالأندلس"جيان"[8]ومنهم بالبيرة عددكبير[9].

[1] إبن حزم،جمهرة...،ج1 ،ص ص254-255.

[2] سوار بن حمدون:وهو من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، ثار بناحية البراجلة بكورة البيرة في سنة ست وسبعين ومائتين... وانضوت اليه بيوتات العرب من البيرة ورية وغيرها عندما تميزت الأحزاب...قتل في صدر سنة ست وسبعين ومــائتين،انظر:ابــن الأبار،مصدر سابق،ج1،ص ص147-157.

[3] ابن حزم،تفس المصدر،ص260.

[4] نفسه،ص265.

[5] نفسه،ص267.

[6] الصُميل بن حاتم: بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي أبو جوشن، دخل الأندلس في طاعة بلج بن بشر...كان شجاعا نجدا، جوادا،كريما،إلا انه كان رجلا أُميا لا يقرأ ولا يكتب، وكانت له في قلب الدول وتدبير الحروب أخبار مشهورة...توفي في سجن عبد الرحمان بن معاوية سنة اثنتين وأربعين ومائة...أُنظر ابن الأبار،المصدر السابق،ج1،ص67-68.

[7] ابن حزم،جمهرة...،ج2،ص287.

[8] جيان Jaen: مدينة بشرقي قرطبة كثيرة الخصب رخيصة الأسعار، كثيرة اللحوم والعسل،وبها جنات وبساتين،ومزارع وغــلات القمح والشعير...وهي على سفح جبل عال جدا...أُنظر الحميري،مصدر سابق،ص183-184.

[9] ابن حزم،نفس المصدر،290.

[1]- بنو ربيعة بن نزار بن معد:ومنهم بنو خويلد بن سمعان بن خفاجة ومنهم بنو الحصين بـــن الـــدجن ودارهم "بجيان" و"واد ياش"[2].

- بنو شيبان بن ثعلبة :ومنهم بنو مطروح الذين كانوا بقرطبة وعلى حد تعبير ابن حزم فقد كان لهـــم بالأندلس نباهة وشرف[3].

- بنو عك بن الديث بن عدنان : ودارهم بالأندلس معروفة باسمهم في الجوف في شمال قرطبة ومنهم بنو الأسلم بن القبانة بن غافق ومنهم كان أمير الأندلس"عبد الرحمان بن عبد الله"[4] المعروف "بالغافقي" والذي أُستشهد في معركة بلاط الشهداء سنة(114هـــ-732م)،ويعرفه الضبي بقوله"هو العكي أمير الأندلس، وُليها في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمان القيسي صاحب افريقية وهو مـــن التابعين ،يروي عن عبد الله بن عمر،أُستشهد في قتال الروم بالأندلس،كان رجلا صالحا جميل السيرة في ولايته كثير الغزو للروم"[5].

لقد كان التكاثر العربي في الأندلس من مستلزمات السلطة التي إحتاجت إلى ضخ دائـــم لُمختلـــف العناصر،وبخاصة منها العربية لأن الحروب والثورات الداخلية وما اقتضته من ضرورة جلب عناصر عربية لتعزيز الجيوش ،لدليل على أن الهجرة العربية إلى الأندلس كانت كبيرة، والدليل على ذلـــك الـــسيطرة العربية على زمام الأُمورخاصة خلال القرون الثلاثة الأولى، وقد حاولنا بدورنا من خلال هذا العـــرض الموجز ان نجمع ما توفرلدينا من معلومات عن أهم القبائل العربية ومناطق انتشارها في الأندلس

---

[1] إبن حزم،جمهرة...،ج2،ص292.

[2] وادياش Guadix: في الأصل وادي آش،مدينة بالأندلس قريبة من غرنا طة...وهي كثيرو التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون ...أُنظر :الحميري،مصدر سابق،ص604.

[3] ابن حزم، المصدر السابف،ج2،ص321

[4] نفسه،ص328-329

[5] الضبي، مصدر سابق،ص475،رقم الترجمة:1024،أُنظر كذلك:ابن القوطية،مصدر سابق،ص38-39، المقري ، مصدر سابق مج1،ص235

2- البـــربر[1]:

كان البربر من أسبق العناصر المُسلمة التي دخلت الأندلس ،فقد كان الجيش الفاتح لها بقيادة طارق بن زياد[2] ، حيث يذكر "المقري" أن موسى بن نصير «...جهز مولاه طارق بن زياد في سبعة آلاف من المسلمين، جلهم من البربر في أربعة سفن وحط بجبل طارق المنسوب إليه يوم السبت في شـــعبان ســـنة اثنتين وتسعين...»[3].

وتكاد تتفق المصادر التي بين أيدينا على أن البربر كانوا الأسبق في الدخول إلى الأندلس، ونفس العدد يذكره صاحب أخبار مجموعة بقوله : « فدعا موسى مولى له كان على مقدماته يقال له طـــارق بـــن زياد...فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جُلهم البربر و الموالي ليس فيهم عرب إلا قليل ، فدخل في تلك الأربع سفن ، لا صناعة لهم غيرها ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين...»[4].

على أن "لابن عذاري" رواية تؤكد على أن البربر الذين دخلوا الأندلس كانوا أزيد بكثير على مـــا أوردته المصادر الأُخرى وجاء فيها «...وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفا من البربر، فاجمع طارق على غزو الأندلس بعد أن أخذ إذن ابن نصير...»[5].

وفي هذا المقام يمكن الإشارة إلى أن الحديث عن دخول البربر إلى الأندلس خلال وبعد الفـــتح لا تكفيه هاته الصفحات، وإنما هي إشارات فقط أكدنا من خلالها أن البربر من اسبق العناصر التي دخلت الأندلس قبل العناصر الأخرى .

[1] البربر:اختلف المؤرخون في أصل هذه الكلمة،وهناك آراء كثيرة يطول الحديث عنها،وسوف نكتفي بما قاله المؤرخ ابن خلدون:"ان افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة،لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار،وباسمه زعمو سميت افريقية، لما رأى هذا الجيل من الأعاجم ، وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال: ما أكثر بربرتكم ، فـــسُمو بالبربر، أُنظر:إبن خلدون ،تاريخ ابن خلدون...،مج6،ص117

[2] طارق بن زياد:يروي ابن عذاري انه بربري بقوله:"...فالأكثرون يرون أنه بربري من نفزة وأنه مولى لُموسى بن نصير من سبي البربر ... هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهُو بن ورفجوم بن بترغاسن بن وُلهاص بن يطوفت بن نفزاو..." ،إبن عذاري،مصدر سابق مج2 ،ص5

[3] المقري،مصدر سابق،مج1،ص231

[4] مؤلف مجهول،أخبار مجموعة...،ص17

[5] ابن عذاري، نفس المصدر،مج2،ص6، ابن عبد الحكم،فتوح افريقية والأندلس،تحقيق:عبد الله أنيس الطباع،دار الكتاب اللبنـــاني، بيروت ،1964،ص71.

ويُعتبر "ابن حزم" من أهم المؤرخين الذين اعتمدنا عليهم في التطرق لأهم القبائل البربرية ومنـــاطق استقرارها ، وهي كالتالي:

– زناتة : ومنهم بنو الخروبي وأصلهم من " لقنت"[1] ومنهم أيضا بنو الليث من"شنت فيلـــة"، ومـــن زناتة أيضا بنو عزون الأُمراء "بشنت برية"[2] وينسب إليهم فحص سعيد بالقرب من"شـــوذر"[3] كمـــا يشير إلى ذلك ابن حزم [4]، أما بطون زناتة في منطقة الثغر الأعلى فأهم كثيرون ومنهم بنو هذيل وبنو عبدوس وبنو غزلون وبنو عُميرة من "شاطبة"[5].

– هوارة : ومنهم بنو النبيه وبنو الأخطل من "شذونة"[6] وبنو الفرج من "وادي الحجارة" اظافة إلى فرع آخر وهم بنو قنة[7].

– مكناسة :ومن فروعهم بنو وانسوس،وهم رهط الوزير "سُليمان بن وانسوس"[8] الذي اشتهر بـــالعلم والأدب في عهد الأمير عبد الله بن محمد.

– مغيلة: وقد سكنوا"شذونة" وأهم بطون مغيلة "بنو الياس" ويروي ابن القوطية في هذا المقام أن جد بني الياس أعان الأمير عبد الرحمان بن معاوية في الدخول إلى الأندلس[9].

– مصمُودة :ومنهم بنو طريف من "أشونة"[10] .

---

[1] لقنت Alicante: وهي مدينة صغيرة عامرة وبها سوق ومسجد...ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر...وهي على صغرها تُنشا بها المراكب الصغيرة...،أُنظر: الحميري،مصدر سابق،ص511، الحموي،مصدر سابق،مج5،ص21.

[2] شنت برية Santaver: مدينة قديمة البناء وهي شرق قرطبة مائلة إلى الجوف وبها حُصون كثيرة ومنها إلى طليطلة سبعون مـــيلا ،وشنت برية جمعت كرم الأرض واتساع المزارع...،مؤلف مجهول،تاريخ الاندلس،ص107-108.

[3] شوذر Jodar :قرية تعرف "بغدير الزيت" لكثرة زيتونها وهي كثيرة المياه والبساتين...، الحميري،مصدر السابق،ص351.

[4] ابن حزم،مصدر السابق،ج2،ص499.

[5] شاطبة Jativa:مدينة جليلة متقنة وحصينة...وهي كريمة البقعة كثيرة الثمرة ويعمل بها كاغد "ورق" لا نظير لـــه ، الحمـــيري : مصدر سابق،ص337.

[6] شذونة Sedona:مدينة أزلية كانت من قواعد الأندلس،ذات خصب كثير جدا ومرافق عظيمة المنافع في البر والبحر...جمعت بين خيرات البر والبخر...،مؤلف مجهول،تاريخ الأندلس،ص15 وما بعدها .

[7] ابن حزم،جمهرة...،ج2،ص499.

[8] سُليمان بن وانسوس البربري: مذكور بالعلم والأدب والعقل وعزة النفس وكان صاحب مترلة رفيعة في بلاط الأمير عبد الله بـــن محمد... ، الحميدي،مصدر سابق،طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص226،رقم الترجمة:459.

[9] إبن القوطية،مصدر سابق،ص48.

[10] أشونة Osuna: من كوراستجة بالأندلس بينهما نصف يوم وحصن أشونة كثير الساكن ...، الحميري،نفس المصدر، ص 60.

– صنهاجة : ومنهم بنو الغليظ ،وبنو دراج،وبنو عبد الوهاب وهم من ولد ميمون بن أبي جميل وهو ابن أخت طارق بن زياد ،ويظهر من خلال ما أورده ابن حزم انه كانت لبني عبد الوهاب ثروة وعـــدد وكان منهم كتاب وقراء وفقهاء[1].أما بخصوص المناطق التي استوطنها البربر فهناك دليل علـــى الأهميـــة النسبية لانتشار هؤلاء في كامل انحاء الأندلس ويتمثل ذلك في البصمات التي تركتها القبائل البربريـــة في الجزء الذي دخل الإسلام في وقت مبكر من شبه الجزيرة،حيث نجد العديد من أسماء الأماكن التي تذكر بوجودهم ، مثل الطريق المؤدي من قرطبة إلى حدود الثغر الأدنى، وبخاصة المناطق الواقعة في جهتي نهـــر "وادي آنة" ما بين الوادي الكبير و "وادي دويرو" ، حيث يبرز وجود مناطق وأحواز تحمل أسماء قبائل بربرية مثل مكناسة وهوارة ونفزاوة[2]،وهذا الاستقرار الواسع دليل على الدور الكبير الذي لعبته جماعات البربر في تاريخ الأندلس ،كما أن الأسماء التي حملتها الكثير من مدن وقرى الأندلس دليل آخـــر علـــى انتشار البربر في جميع أنحاء الأندلس

3– الموالي:

تألف الموالي في الأندلس من عدة عناصر بشرية جمعتها رابطة الولاء للعرب،وكان اغلبهم من الوافـــدين من المشرق وأهل المغرب من البربر الذين دخلوا في طاعة العرب وخدمتهم.ويمكن تقـــسيم المـــوالي في الأندلس إلى أربع فئات حسب أصولها :

أ– **الفئة الأولى**: وهم الموالي الذين اعتنقوا الإسلام وقدموا مع العرب من المشرق ،وظهرت هـــذه الفئة مع طالعة "بلج بن بشتر"[3] حيث يذكر "ابن القـــوطية" أن جيش بلج تألف من ألفي مولى وثمانية آلاف عربي[4].

ب – **الفئة الثانية**: الموالي من البربر الذين أسلموا وقدموا مع العرب من المغرب ،وساهمو بقسط كبير في فتح الأندلس ، ويضاف إليهم العائلات البربرية التي كانت في خـــدمة الأمويين في بـــلاطاتهم،ويرى

---

[1] ابن حزم،جمهرة...،ج2،ص502.

[2] بيير غيشار،التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة:من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين،ترجمة مصطفى الرقي،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج2،ط1،تحرير:سلمى الخضراء الجيوسي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1998م،ص968 .

[3] بلج بن بشر القيسي: كان واليا على طنجة ،وما والاها فتكاثرت عليه عساكر خوارج البربر هناك فولى منهزما إلى الأندلس فكان الأمير حينئذ عبد الملك بن قطن فظفر به وقتله، وكان ذلك سنة خمس وعشرين ومائة ... الضبي،مصدر سابق،ج1،ص306،رقم الترجمة :594.

[4] ابن القوطية،مصدر سابق،ص40.

"حسين مؤنس"أن هاته الفئة من البربر أهم مركزا بالنسبة لبني أمية من البربر الآخرين[1].

ج- **الفئة الثالثة:** وهم الموالي من السكان المحليين،الذين اسلموا وأصـــبحوا في خدمـــة العـــرب في الأندلس،ومنهم "قسي قومس" الذي لحق بالشام بعد فتح الأندلس وأسلم على يدي الوليد بن عبد الملك وكان ينتمي إلى ولائه[2]،كما دخل في عداد الموالي بالأندلس عدد كبير من الإســبان الــذين أخلــصوا ولاءهم لبني أمية أمثال:"بنو بارون"،"بنو قارلة"،"بنو غومس"،"بنو مرتين"[3].

وقد أطلق ابن خلدون في مقدمته على هذا النوع من الموالي "موالي الاصطناع" في قولــه«...فـــإذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم،أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا بهم...ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية...»[4].

د- **الفئة الرابعة:** وتضم هذه الفئة موالي من نوع خاص ، فقد سعى الأمويون منذ وطأت أقدامهم أرض الأندلس بقيادة عبد الرحمان الداخل،على الإهتمام بالعُلماء وتقريبهم من بلاطات الحكم،حتى أطلق المؤرخون على هؤلاء "موالي النعمة"[5]وقد أورد ابن الفرضي مجموعة من هؤلاء منهم "خلف بن سليمان بن عمرون البزاز" حيث كان مولى إنعام لبني أمية[6].

ويبدو أنه كان لأُمراء بني أمية عدد كبير من الموالي يعتمدون عليهم في شتى الخدمات، فقد كان للأمـــير عبد الرحمان نفسه مولى يقال له "بدر" ، حيث يذكر المقري في معرض حديثه عن دخـــول عبد الرحمان بن مُعـــاوية للأندلس ذكر عددا كبيرا من الموالي فقال«...وكانت المـــوالي المر وانية المدونة في الأندلس في ذلك الأوان ما بين الأربعمائة والخمسمائة...»[7].

---

[1] حُسين مؤنس،مرجع سابق،ص398.

[2] ابن حزم ، جمهرة...،ج2،ص502.

[3] حُسين يوسف دُويدار،المُجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-422هـ-755-1033م)،ط1،مطبعة الحسين الإســلامية مصر،1414هـ-1994م،ص31.

[4] عبد الرحمان بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق:خليل شحادة وسُهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،1421هـ-2001م،ص169.

[5] "مولى النعمة" لا ينبغي أن يكون رقيقا ثم أُعتق ،بل قد ينعم عليه بالولاء كشارة من شارات الإعزاز والتقدير ، حسين مؤنس،فجر الأندلس،ص405.

[6] خلف بن سُليمان بن سُليمان بن عمرون البزاز:مولى إنعام لبني أمية وأصله صنهاجي من أهل "استجة"...كان نحويا لغويا شاعرا ...ولي قضاء شذُونة والجزيرة ، توفي سنة تسعين وثلاثمائة ، أُنظر:إبن الفرضي،مصدر سابق،ج1،ص163،رقم الترجمة:416.

[7] المقري،مصدر سابق،مج3،ص30.

ويُشير صاحب أخبار مجموعة إلى عدد هائل من الموالي لبني أمية في قرطبة بقوله:«...وتتابع ناس من بني أمية ومواليهم وكثروا،وكانت بقرطبة بيوتات من موالي بني هاشم و بــني فهــر وقبائــل قــريش وغيرهم...»[1].

أما عن أهم المناطق التي استقر فيها الموالي ،نذكر "البيرة " وهــذا إســتنادا إلى قــول الحمــيري بأنه«...نزلها كثير من جند دمشق من العرب وكثير من موالي الإمام عبد الرحمان بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه...»[2]،وقد تعدى الأمر بالموالي في "البيرة" في عهد الأمير عبــد الله بــن محمــد بمحاولة تكوين إمارة مستقلة حيث يقول "ابن حيان" أنهم:«...عند اهتياج الفتنة أيام الأمير عبد الله منذ تميزوا واجتمعوا إلى حصن بكور ليمنعوا أنفسهم واحتاجوا إلى رئيس يضم نــشرهم...»[3] إضــافة إلى مدينة "رية" التي استقر بها عدد لا باس به من الموالي،وهم موالي عبد الملك بن مــروان يعرفــون بــبني السقاء[4].

ولا شك أن المكانة المرموقة التي أولاها بنو أُمية للموالي شجعت عناصر أخرى لأن يكونو في عداد موالي بني أمية ومنهم المولدون ،فقد اشترط الثائر المُولدي "عُمر بن حفصون "على الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمان مقابل إستسلامه أن يكون أولاده موالي إلى جانب موالي الأمير وفي هذا يقول "ابن عبد ربه":«...ثم غزا-أي الأمير المنذر- إلى المارق المُوتر عمر بن حفصون...فلم يجد الفاسق منفذا ولا متنفسا،فأعمل الحيلة والخديعة،وأظهر الإنابة والإجابــة ...وســأل إلحــاق أولاده في الموالي،فأجابــه الأمير...»[5].

وعلى الرغم من المكانة التي إحتلها الموالي في بلاطات الأمويين بإعتبارهم العنصر الأقرب إلى الأمراء والخلفاء إلا أن المصادر التاريخية لم تورد أخبارا مفصلة عن هاته الفئة ، على غرار عناصر قليلة كان لها دور نسبي في تاريخ الأندلس ، وإستنادا إلى كتب التراجم يمكن إعتبار العصر الأموي أكثر العصور الذي شهد نشاط هاته الفئة وتقلد الموالي مناصب هامة في عهد بني أمية ،فقد ذكر "ابن الفرضي" أن الأمير

---

[1] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة...،ص87.

[2] الحميري،مصدر سابق،ص28.

[3] ابن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث،ص32.

[4] ابن الفرضي،مصدر سابق،ج1،ص:40.

[5] أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي،العقد الفريد،ج5، تحقيق :محمد مفيد قميحة،ط1، دار الكتب العلمية ،1404هـ-1983م ،ص238.

محمد بن عبد الرحمان عين قاضيا من الموالي هو "عمر بن عبد الله بن ليث القبعة"[1]،وهو مولى لأبيه الأمير عبدالرحمان،«...وهو أول من ولي قضاء الجماعة من الموالي ،فشق ذلك على العرب وتأثرو منه وتكلموا فيه ،فبلغ ذلك الأمير محمدا رحمه الله فقال: وجدت فيه ما لم أجد فيهم...»[2].

4-الصقالبة:

شكل الصقالبة عددا لا باس به من مجموع سكان الأندلس،خاصة في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله،الذي استكثر من جلب هاته الفئة،وذلك من اجل الاعتماد عليها في شتى الخدمات. وقد اطلق الجغرافيون اسم الصقالبة على مجموعة الشعوب السلافية ،وهم سكان البلاد الممتدة بين بحر قزوين إلى البحر الأدرياتي غربا وهي بلغاريا العظمى- في العصور الوسطى- ،فقد دأبت القبائل الجرمانية على سبي الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب الأندلس[3]،ولم يقتصر هذا الاسم على هؤلاء فقط، بل شمل جميع العبيد المجلوبين من فرنسا وايطاليا ومناطق أُوربية أُخرى، ،كما ذكر ابن حوقل أن اليهود كانو يُخصون البعض من الصقالبة :«...لأنهم عند قربهم منها- أي الأندلس- يخصون ،ويفعل ذلك بهم تجار اليهود...»[4] ،وهذا بقصد استعمالهم في خدمة الحريم في القصور.

وفي أغلب الأحيان كان يُؤتى بالصقالبة أطفالا، ويُربون تربية عسكرية، ويدربون على الخدمة في القصور والانخراط في سلك الجندية ليكونوا في الحرس والجيش[5]، مع الحرص على تربيتهم تربية إسلامية خالصة وتدريبهم على إحترام وخدمة شؤون القصر[6]. ويذكر ابن خلدون أن أول من استكثر من جلب

---

[1] عمر بن عبد الله أبو عبد الله :كان مولى للأمير عبد الرحمان عارفا بفضله وعقله وأدبه ،فقدمه على تجربة وقلده قضاء الجماعة سنة خمسين ومائتين ،أُنظر: الخشني،مصدر سابق،ص101،ترجمة رقم:38.

[2] نفسه،ص101.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي،تاريخ المغرب والأندلس،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،1984م،ص204.

[4] إبن حوقل،مصدر سابق،ص106.

[5] حسين يوسف دويدار،مرجع سابق،ص53.

[6] محمد عبد الله عنان،مرجع سابق،العصر الأول:القسم الأول،ص249.

الصقالبة و المماليك في الأندلس هو الحكم بن هشام[1](180-206هـ/796-822م)،ومــع مــرور الوقت ازداد عددهم، وبلغ حجما كبيرا في عهد النـــاصر لدين الله،وفي هذا الصدد يذكر صاحب ذكر بلاد الأندلس قوله:«...وانتهى عدد الصقالبة الذين يخدمون القصرويحرصونه ويحرصون أبوابه ستة آلاف سبعمائة وستة وثمانين صقلبيا...»،وتضاعف عددهم في عهد الخليفة "الحكم المستنصر" ابن عبد الرحمان الناصر،وتحسنت أوضاعهم المعيشية الى درجة كبيرة فيذكر أن«...عدد الصقالبة بالزهراء ثلاثـــة آلاف خصي وتسعمائة خصيا،وكانت جرايتهم من اللحم في كل يوم دون سائر أهـــل القـــصر:ســـتة آلاف وثمانمائة رطل، سوى الصيد وأصناف الطير والحوت...»[2]. ولا شك أن هذا المستوى المعيشي الذي بلغه الصقالبة كان نتاج الاهتمام الكبير بهم ولأنهم كانوا«...يربـــون منـــذ نعومـــة أظفـــارهم في قـــصر الخلافة،وتبذل العناية في تأهيلهم »[3].

5- المسالمة والمولدون:

لقد كان فتح المسلمين للأندلس سببا أساسيا في حدوث عملية إختلاط وإمتزاج كبيرة بينهم وبين السكان المحليين وغيرهم،مما أدى إلى إختلاط الأنساب والدماء،والعادات والتقاليد،واللغـــة،وكان نتـــاج ذلك أيضا دخول الكثير من الإماء والعبيد وغيرهم في الإسلام.

ولا شك أن الجيوش الإسلامية الفاتحة لم يكن بصحبهم في كثير من الأحيان إلا الخيـــل والـــسلاح فاضطر الكثير منهم إلى مصاهرة أهالي البلاد،والارتباط ببناتهم مما كان له أثره في ظهور جيل جديد بُعيد الفتح أطلق عليه المؤرخون اسم "المولدين" ومما ساعد على تقوية هاته الرابطة هو تعاليم الدين الإسلامي السمحة والتي أدت بالكثير من الإسبان إلى الدخول في الإسلام[4]،وتجدر الاشارة في هـــذا المقـــام إلى أن المولدين شيء والمسالمة شيء آخر

[1] إبن خلدون،تاريخ ابن خلدون...،مج4،ص160.

[2] مؤلف مجهول،ذكر بلاد الأندلس،ج1،ص34.

[3] آنخل جنثالث بالنثيا،تاريخ الفكر الأندلسي،نقله عن الاسبانية:حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1955م، ص ص7-8

[4] محمد محمد زيتون،المسلمون في المغرب والأندلس،دار الكتب،ب د ن،1411ه-1990م،ص186،حسن أحمد محمود،منى حسن محمود،تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة،ط1،القاهرة،دار الفكر،1419ه/1999م،ص97.

أ– المُسالمة

"المُسالمة" أو "الأسالمة":هم جماعة الإسبان الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح الأندلس،وقــد كـــان لسياسة التسامح أثرها الكبير في إسلام عدد هائل من الأسبان،إما بحثا عن مصلحة شخـــصية،أو إيمانـــا صادقا بهذا الدين،والواقع أن العرب لم يتعرضوا لهم بسوء،ولم يفرضوا عليهم الإســـلام قهرا ، بحيث أن الكثير منهم دخل الإسلام بمحض إرادته،وعلى هذا النحو أصبحت العديد من الأسر الاسبانية في عـــداد المجموعة الإسلامية.[1] والذي يبين أن كلا الفئتان تختلفان عن بعضهما هو قول إبن حيان في معرض حديثه عن أحداث سنة 275هـــ/888م:«...وتحزبت المسالمة مع المولدين وتميزت إلـــيهم نـــصارى الذمة، فصاروا جميعهم إلبا على العرب...»[2].وقد شكل هؤلاء تحت حكم الأمراء الأمويين أهم طبقة في امارة قرطبة، وبعد مُضي فترة من الزمن أصبح من الصعب تمييزهم من المسلمين الآخرين، واتضح هـــذا بالأخص في فترة حكم

الأمير عبد الرحمان الثاني، ولكن هذا الاختلاط شهد انحسارا في العهود المتقدمة بسبب العجرفة التي تميز بها العرب على حد تعبير المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنسال"[3]

ب – المولدون:

وهم نتاج تزاوج العرب والبربر بالإسبانيات،أو زواج العرب من البربر والصقلبيات، وبطبيعة الحال كان لذلك سبب رئيسي:وهوان الجيش الفاتح كان من الرجال النازحين من الـــشرق،والذين قطعـــو مسافات بعيدة حتى وصلو إلى الأندلس،فكان طبيعيا أن لا يرحل معهم عدد كبير من النساء،فاضطرتهم الحاجة إلى أن يتزوجوا من الإسبانيات أو البربريات ويستولدوهن،وقد خرج من هذا الازدواج بين عربي وبربرية أو عربي وإسبانية جيل جديد مولد شبيه بما كان في الشرق من تزاوج بين عربي وفارسية[4]. ومن هنا نستنتج أنه حينما استقر الإسلام في قلوب المسالمة ،إتصلوا إتصالا وثيقا بالفاتحين، ســـواء عن طريق

---

[1] السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المسلمين ...،ص127.

[2] ابن حيان ، مصدر السابق،القسم الثالث،ص51.

[3] Lévi, Provençal.l'Espagne Musulmane au X ème siècle,institutions et vie sociale Larose, Paris, 1932.p19

[4] أحمد أمين،ظهر الإسلام،مج2،ج1،الحياة العقلية في الأندلس،ط5،دار الكتاب العربي،بيروت،1388هـــ/1969م،ص2 .

Dominique et Jnine Sourdel.dictionnaire historique de l'Islam.1er édition. presses universitaires.France.Octobre1996.p608

المجاورة أو العشرة ،وحتى المصاهرة ،إذ اختلطت دماء العرب والبربر بدماء أهل البلاد فكان نتاج ذلـــك عنصر جديد وهو عنصر "المولدين"، الذي بدأ يتكاثر مع مرور الزمن وأصبح يمثل الفئة الغالبة من سكان الأندلس خاصة في السنوات الأُولى ، وأول مثال نستشهد به في هذا المقام ما قـــام به والي الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير"[1] الذي يعتبر أول من تزوج من الاسبانيات،حيث تـــزوج مـــن "ايخلونـــا" Egilona أرملة لذريق،والتي تسميها المصادرالعربية "بأم عاصم" وكانت السبب في مقتله،حيث يروي صاحب أخبار مجموعة أنها قالت له:«...إن الملوك إذا لم يُتوجو فلا مُلك لهم،فهل لك أن اعمل لك مما بقي عندي من الجواهر والذهب تاجا،فقال لها: ليس هذا في ديننا...»،وهكذا لم تزل به حتى فعل،فرآه الجنود فهجمو عليه وقتلوه سنة ثمان وتسعين هجرية[2]،وفي نفس السياق يظهر أن زيـــاد بـــن النابغـــة التميمي[3]هو الآخر تزوج من إسبانية،ففي خضم الأحداث التي رواها صاحب أخبار مجموعة عن مقتـــل الوالي عبد العزيز بن موسى،ذكر أنه قبل مقتله«... دخلت عليه امرأة كان قـــد تزوجهـــا زيـــاد بـــن النابغة،وهي من بنات مُلوك القُوط...»[4].

ويعتبر المؤرخ الأندلسي"إبن القوطية" صاحب كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس" من المولدين،وقـــد روى ذلك في كتابه المذكور قصة جدته "صارة القوطية" ابنة الملك "ألمند" حيث«...توجهت بابنيهـــا بمركب إلى الشام حتى نزلت بعسقلان ثم قصدت حتى وقفت بباب هشام بن عبد الملك فأنهت خبرهـــا والعهد المنعقد لأبيها على الوليد،وتظلمت من عمها "أرطباس"،فأوصلها إلى نفسه،ونظرت إلى عبد

---

[1] عبد العزيز بن موسى بن نصير:مولى لخم كان والده قد إستخلفه على الأندلس عند خروجه منها سنة خمس وتسعين،فأقام واليـــا عليها إلى أن كتب سليمان بن عبد الملك إلى الجند هناك فقتلوه،وبعثو برأسه إليه...وقيل أن الجند إجتمعوا على قتله لأُمور نقموهـــا منه، وبلغتهم عنه...، الضبي،مصدر سابق،ج2،ص ص 502 ــ503،ترجمة رقم:1101 .

[2] مؤلف مجهول،أخبار مجموعة...،ص27ــ28،أُنظر كذلك:ابن عذاري،مصدر سابق،ج2،ص ص 23- 24،عبد الرحمان بن عبد الله بن الحكم،فتوح مصر والمغرب،ج1،تحقيق:عبد المُنعم عامر،الأمل للطباعة والنشر،القاهرة،2001م،ص ص285-287
-Lévi. P.histoire….p33

[3] زياد بن النابغة التميمي: من وجوه الجند الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نُصير وهو الذي تولى قتل عبد العزيز بن موسى بـــن نصير أمير الأندلس بعد أبيه ...،أُنظر: الحميدي،مصدر سابق،طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص219،ترجمة رقم:441 .

[4] مؤلف مجهول،أخبار مجموعة...،ص28، سحر السيد عبد العزيز سالم،بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري:أُسرة من المولدين بمرسية في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1989م،ص12 .

الرحمان صبيا بين يديه،وكان عبد الرحمان يحفظ لها ذلك بالأندلس... ،وبعد أن أعاد لها الخليفة هــشام بن عبد الملك أموالها وضياعها من عمها أرطباس،أنكحها من"عيسى بن مُزاحم"فقدم معها هذا الأخــير إلى الأندلس،وقبض ضياعها،وبذلك يعتبر عيسى هذا جد المؤرخ إبن القوطية،ووُلد لعيسى من صــارة ولدان هما:إبــراهيم وإسحاق،ثم توفي عنها في العام الذي دخل فيه عبدالرحمان بن معاوية إلى الأنــدلس فتنافسها "حيوة بن مُلامس الحضرمي"[1] و"عمير بن سعيد اللخمي"،فعني ثعلبة بن عُبيد الجُذامي[2] بعُمير بن سعيد عند عبد الرحمان بن مُعاوية فأنكحه إياها،فولدت له:حبيب بن عُمير جد "بني سيد" و"بــني حجاج" و"بني مسلمة"و"بني حجز الجرز"،وهؤلاء أشراف ولد عُمير باشبيلية...»[3].

كما كان للبربر حض من هذه المصاهرات،حيث يذكر أن القائد البربري "مونوســة" Munuza الذي كان حاكما على إقليم "شرطانية" في الشمال الإسباني، وساهم بقسط كبير في فتح الجنوب الفرنسي مع القائد العربي "عبد الرحمان الغافقي كان قد تزوج من إبنة الــدوق"أُودو" حــاكم إقلــيم "أكيتانيا" وتدعى "لامبجييه"Lampejie أو "مينيين"Minine[4].

ومع مرور الوقت تكاثر المولدون وانتشروا في كامل أنحاء الأندلس،واحتفظ البعض منهم بأسمائهم القديمة،حيث يعدد إبن حيان أهم أُسرهم مثل:بنو ردلف Rodolfo، بنوإنجلين Anjelino وبنُو

[1] حيوة بن المُلامس الحضرمي: وهو من ناقلة حمص،وهو أحد النفر اليمانيين الذين قاموا بأمر عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك،وتعصبو له حتى خلُص له الأمر وفيه يقول الأمير عبد الرحمان:

لا خيرفي الدنيا ولا في نعيمهــــــا   إذا غاب عنها حيوة بن الملامس

أخُو االسيف يقرئ الضيف حقا يراهما   عليه وينفي الضيم عن كل يائس

أُنظر :الحميدي،مصدر سابق،طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص198،ترجمة رقم:390، الضبي،مصدرسابق،ج1،ص338،ترجمة رقم:674 .

[2] ثعلبة بن عُبيد الجُذامي: كان من أُمراء العساكر التي لقيت خوارج البربر بنواحي طنجة فانهزم إلى الأندلس مع يلج بن بشر...فاثارو فيها الفتن حتى قتل واليها عبد الملك بن قطن وزاد الاضطراب إلى أن جاء الوالي أبو الخطار فجمع الكلمة واستظهر على مــن أثــار الفتنة...،أُنظر: الحميدي،نفس المصدر ،ص185،ترجمة رقم:348.

[3] ابن القُوطية،مصدر سابق،ص ص30-32، المقري،مصدر سابق،ج1،ص266-267.

[4] شكيب أرسلان،تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط،منشورات مكتبة الحياة،بيروت(ب ت ن) ص115، حسين مُؤنس،مرجع سابق،ص252،ليفي بروفنسال،حضارة العرب في الأندلس،(ب ط)، ترجمة،ذوقان قرقوط،دار مكتبة الحياة،(ب س ن)،ص81 .

شبرقةSabarico،وبنو الَجريجJorje،وبنُــو لنتــقLongo،وبنُــو القبطرنــة Kabturno،وبنُــو مردنيشMartinez،وبنُوغرسيةGarcia،[1].

لقد أصبح الزواج من الاسبانيات تقليدا شائعا عند أهل الأندلس أُمراؤهم وخُلفاؤهم ،خاصــتهم وعامتهم،ومن الأمثلة على ذلك:زواج أُمراء بني أُمية من نساء البشكنس،والجلالقة،ممن يقعن في أيديــهم سبيا،بسبب الحروب والغزوات المتتابعة[2]،وقد اعتبر بعض الباحثين أن البيت الأموي بيتا مولدا،وان كان هؤلاء الأمراء يعتزون بأصولهم العربية ويتغاضون عن أصولهم الاسبانية[3].

وكان كثير من أمهات الأمراء الأمويين من الاسبانيات اللواتي يقعن أثناء الأسر في الحروب المختلفة،فقد كانت زوجة الأمير عبد الرحمان بن معاوية وأُم ولده الأمير هشام الرضا جارية اسمها "حوراء"[4] ،ولكن ابن عذاري يسميها"جمال"[5] وكانت أم الأميرالحكم بن هشام أم ولداسمها "زخرف"أهداها "قارلة بن بيبين الرومي" إلى الأمير هشام عند مسالمته[6]،أما أم الأمير عبد الرحمان بن الحكم فكانت أيضا أم ولد تدعى "حلاوة"وهي من مُولدات البربر[7].

ومن جهة أخرى تذكر المصادر أن الأمير عبد الرحمان الأوسط كان شديد الهــوى بالنـــساء،كثير الإعجاب بهن،وقيل أنه عشق جارية له إسمها "طروب"،فولع بها وأعطاها حُليا قيمته مائة ألف دينار،ومن قوله فيها:

إذا ما بدت لي شمس النهـــار طــالعة ذكرتني طروبــــا
أنا ابن الهاشمين من غالــــب أشُبُ حرُوبا وأُطفي حروبا

---

[1] أشار ابن حيان إلى ذلك في صفحات متفرقة،إ بن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث،ص:74،70،16...،أُنظر كذلك:السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المسلمين...،ص128

[2] سحر السيد عبد العزيز سالم،الجوانب الايجابية والسلبية في الزواج المُختلط في الأندلس:(دراسة سياســية،أدبية،اجتماعية)،الغــرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ،ط1، تنسيق:محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنــسانية ، الربــاط 1995 م،ص34

[3] حسين مؤنس،فجر الأندلس،ص376وما بعدها

[4] مؤلف مجهول،تاريخ الأندلس،ص169

[5] إبن عذاري،مصدر سابق،ج2،ص61

[6] مؤلف مجهول،تاريخ الأندلس،ص174

[7] نفسه ، ص183

ويعتبر الأمير عبد الرحمان من أكثر الأمراء الأمويين الذين ملكوا الجواري فكان له العديد منهن مثل الشفاء وقلم...الخ[1].

كذلك كانت أم الأمير محمد بن عبد الرحمان أم ولد اسمها" تُهتُز"[2]، وأم المُنذركما يذكر إبن عذاري اسمها"أُثل"،ولدته لسبعة أشهر وذلك سنة(229هـ/842م)[3] ،إضافة إلى الأمير عبد الله بن محمد،والتي كانت أيضا أم ولد،تسميها المصادر "بهار" وقيل "عشار"[4]

وفي نفس السياق دائما يذكر المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنسال" أن العلاقات بين المسلمين في الأندلس والمسيحيين في الغرب تضخمت وتعددت في هاته الفترة، خاصة في مجال المصاهرات التي أصبحت طبيعية بالنسبة لهؤلاء المسلمين الذين أكثروا من التزوج بالمسيحيات[5]، ولعل أقوى النماذج وأطرفها في هذا النوع من المصاهرات ما ذُكر عن الخليفة عبد الرحمان الناصر بن محمد بن الأمير عبد الله، والذي كان حفيدا لسيدة نافارية وكان هو ابن جارية اسبانية وهي أم ولد تسمى"مزنة"[6].

وكانت الوصية على عرش"نافار"تدعى"طوطة"Toda(ت)349هـ/960م) عمة الخليفة الناصر من جهة الأمومة،ويبدو أن هاته القرابة لم تفصل فيها المصادر العربية،باستثناء ماتذكره عن أن جدة الناصر،أي زوجة جده الامير عبد الله تسمى"در"[7].

ويبدو أن "در" أصلها إسباني واسمها الحقيقي"ونقا"Iniga،وهي إبنة فرتون بن غرسية Fortun Garciaحفيد"إنقا أريستا"Iniga Arista الملقب"بالأنقر"،الذي إعتقله الأمير محمد بن عبد الرحمان الأوسط في قرطبة لمدة عشرين سنة[8]،وأن إبنة الأنقر هذا تزوجت زواجها الأول من أمير نافاري ،هو"أثنار بن شانجة"Aznar Sanchez،فأنجبت ونقةIniga منه "طوطة" ملكة نافار، ثم كان زواج

[1] نفسه ، ص183وما بعدها.

[2] الحميدي،مصدر سابق،طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص11، أما ابن عذاري فيذكر أن اسمها "بهير"،إبن عذاري،مصدر سابق ج2،ص93.

[3] ابن عذاري،نفس المصدر،ص112.

[4] نفسه،ص120.

[5] Levi Provençal l'Espagne Musulmane…p35

[6] ابن عذاري ، مصدر سابق ،ص156.

[7] نفسه،ص120.

[8] نفسه، ج2،ص97.

"وُنقة" الثاني من الأمير عبد الله،وبذلك يكون محمد أبو الخليفة الناصر أخا "لطوطة" ملكة نافار من الأم وتكون طوطة عمة الناصر من جهة الأمومة[1].

وقد وفدت الملكة طوطةToda على الخليفة الناصرسنة347هـ/958م مع إبنها "شـانجة بـن ردمير"وولده غرسية بن شانجة وقد احتفل الناصر بقدومهم وعقد لهم الصلح وبعث مع غرسية ملـك جليقية فرقة من جيش المسلمين،فرد عليه ملكها بالمثل[2].

وكذلك كانت أم الحكم المستنصر إبن الخليفة عبد الرحمان الناصر أم ولد اسمها"مرجان"ولدته لسبعة أشهر من يوم حمله[3] إضافة إلى إبنه هشام،والذي كان أيضا من أم ولد إسمها"صُبح"حيث كان الحكـم مولعا بها،وهي ذات حظية عنده[4].

على العكس من ذلك فقد قامت بعض الأسر المسلمة في الأندلس بتزويج بناهم من ملوك وأمراء مسيحيين ،ونذكر على الخصوص أسرة "بني قسي" المولدين أصحاب الثغر الأعلى،حيث زوج موسى بن موسى بن فرتون[5] ابنته"أُورية"Oria من إبن غرسية ملك نبرة ،وكذلك تزوجت "أراكة"بنت عبد الله بن محمد بن لب بن موسى من"فرويلة" بن"أذفونش" ملك "إشتورياش"وأنجبت منه ولديه"أُردون وردمير" .والسبب في عدم تحرُج هذه الأُسرة في هذا النوع من الزواج هو عداء هاته الأسرة للعرب[6].

كذلك تزوجت "جميلة" أخت "محمود بن عبد الجبار المصمودي" الثائر على الأمير عبـد الرحمـان الأوسط ،من أحد قوامسة جليقية،حيث يذكر إبن حيان أنها إعتنقت النصرانية ،وأنجبت منه ولدا أصبح أسقفا لأكبر الكنائس الإسبانية وهي "شنتياقب"[7].

---

[1] عبد الرحمان علي الحجي،أندلسيات،ط1،دار الإرشاد للطباعة والنشر،1388هـ /1969م،ص84،

[2] المقري،مصدر سابق،ج1،ص384.

[3] مؤلف مجهول،تاريخ الأندلس،ص210.

[4] نفسه،ص215.

[5] موسى بن موسى بن فرتون:كان جده قسي قومس الذي لحق بالشام واسلم على يدي الوليد بن عبد الملك،فكان ينتمي الى ولائه أُنظر :إبن حزم،جمهرة...،ج2،ص502

[6] سحر السيد عبد العزيز سالم،بنو خطاب التدميري....،ص19.

[7] ابن حيان، مصدر سابق، تحقيق :محمود علي مكي ،ص674-675

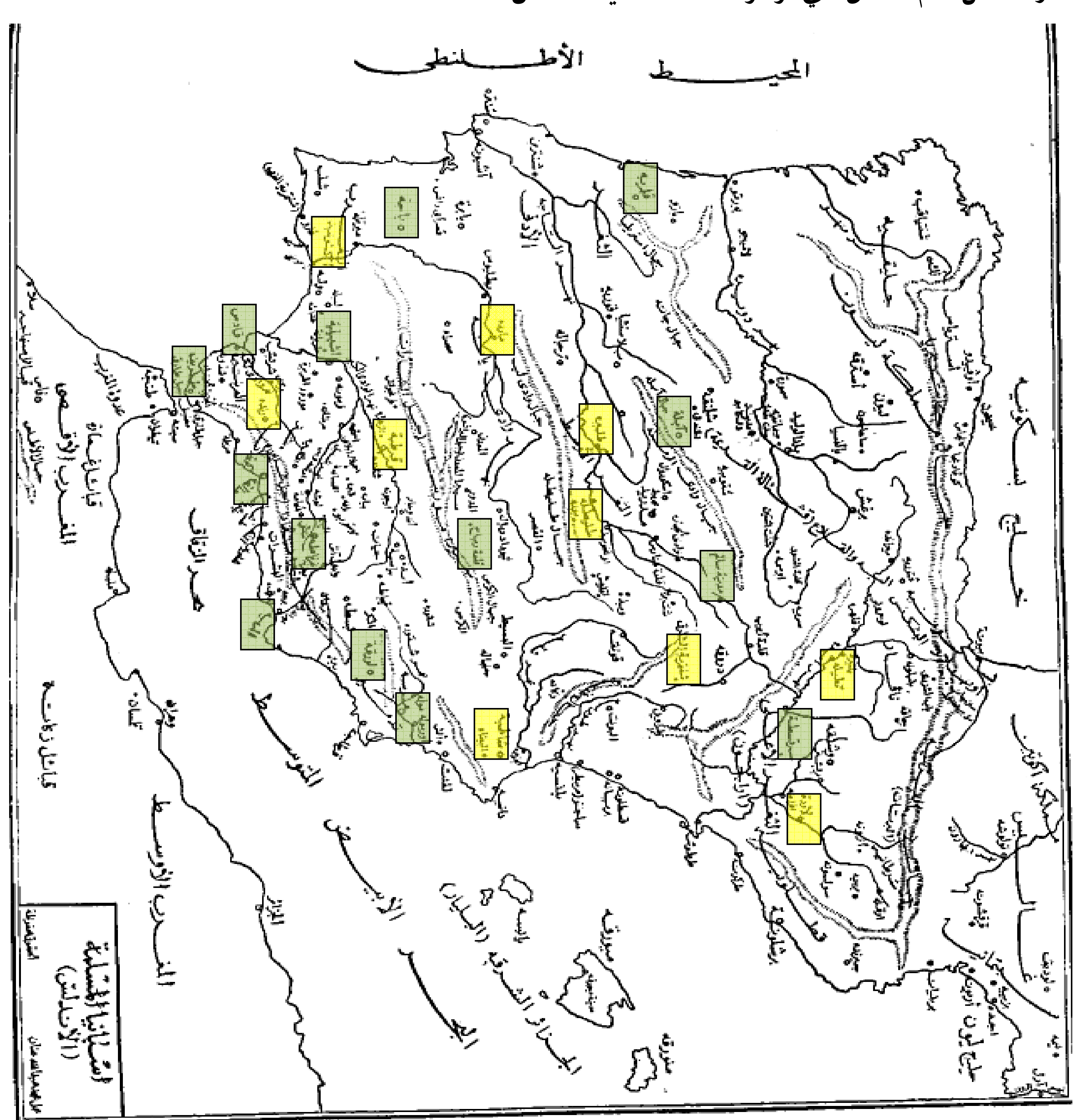
لقد أردنا من خلال هذا الفصل التعريف بأهم العناصر المكــونة للمُجتمع الأندلسي لــكي تتضح الصورة أكثر،إذ أكدنا من خلاله على أن المجتمع الأندلسي بعد الفتح لم يكن مجتمعا بسيط التركيبة حيث تألف من عدة عناصر متباينة في أُصولها الجنسية والثقافية كما أشرنا إلى هذا سابقا،وإن كان هذا التباين والتعدد في وقت من الأوقات مظهرا من مظاهر القوة والثراء،لــكنه كان يحمل في نفس الوقت بُذور وأسباب التفكك والاضمحلال.

وبالرغم من الإختلاط الذي حدث بين العنصر العربي على الخصوص والفئات الأخرى عموما إلا أنه في الواقع ذاته لم يكن إندماجا كليا، حيث لعبت العصبية العربية التي إنتقلت من المشــرق إلى أرض الأندلس دورها في إذكاء نار الفتنة بين مختلف عناصر المجتمع،وعملت عملها في تفتيت وحدة الأندلس عموما،وعلى الرغم من كل ما حدث،إلا أننا نستطيع القول أن إختلاط المسلمين بغيرهم كان له أثــره في إزالة النفرة بين الغالبين والمغلوبين، إظافة إلى مــكاسب مهمة حققها المسلمون للطبقات الكادحــة التي كانــت تعيش تحت ظل الإستعبــاد القوطي،وهذا بدوره يفسر لنا النتائج العُظمى الــتي أســبغها الفتح الإسلامي على الأندلس،بحيث يمكن القول أنه نتــج عن هذا تحولات عميقــة مــست الوضــع السياسي والاقتصادي والعسكري والإداري والديني والإجتماعي الأُسري،إذ أصبح للفئات الأخرى الغير المسلمة من المجتمع الأندلسي نوع من الإحساس بالحرية والكرامة،حتى وإن كان هذا علــى الأقــل في السنوات الأولى من الفتح الإسلامي.

وعلى الرغم من أن المسلمين الفاتحين كانوا السبب الرئيسي في خلــق فئــة جديــدة في المجتمــع الأندلسي،وهي فئة المولدين، عن طريق مصاهرة أهل البلاد،إلا أن هاته الأخيرة تنكرت لمــا يجــري في عروقها من دم عربي وتناست أُصولها،وتعدى بها الأمر إلى أن حملت لواء العــصيان في وجــه الــسلطة الحاكمة،وأرادت القضاء عليها بكل الوسائل،ولجأت إلى التحالف مع العــدو المتــربص بالمــسلمين في الأندلس من كل الجهات،وهذا ما يجعلنا نطرح العديد من التساؤلات عن الأسباب الكامنة وراء هذا ؟.

وبعد أن تعرفنا على أهم العناصر المكونة للشعب الأندلسي نحاول في الفصل الموالي التطرق لأهــم الأوضاع السياسية التي سبقت اعتلاء الأمير عبد الله بن محمد عرش الإمارة الأموية،والتي مهدت وبشكل كبير الطريق للإنزلاقات السياسية التي ميزت تاريخ حكم هــذا الأمــير (275-300هــــ /888-912م)،محاولين التركيز على ثورات المولدين والتي كادت في كثير من الأحيان أن تقضي على الحكــم الأموي في الأندلس.

خارطة تمثل أهم المناطق التي تركز بها السكان في الأندلس:



أهم المناطق التي تركز بها المُولدون.

ملاحظة :هناك مدن كثيرة تركز بها المولدون و لكنهم كانوا قلة بالنسبة لفئات المجتمع الأندلسي الأخرى خاصة العنصر العربي.

الفصـــــل الثاني:أهم الأوضاع السياسية في الأندلس في عهد الأمير محمد و ابنه المنذر (238-275هـ/852-912م)

- أولا:تولي محمد بن عبد الرحمان الإمارة الأموية.
- ثانيا:ثورة أهل طليطلة على الأمير محمد.
- ثالثا:النشاط السياسي للمولدين في شمال الأندلس في عهدي الأميرين محمد بن عبد الرحمان و إبنه المنذر.
- رابعا: الصراع المسيحي الاموي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان .
- خامسا: ثورة عبد الرحمان بن مروان الجُليقي.
- سادسا: بِداية ثورة عمر بن حفصون في الجنوب الأندلسي.

أولا- تولي محمد بن عبد الرحمان الأمارة الأموية :

توفي الأمير عبد الرحمان الأوسط والد الأمير محمد في الثالث من ربيع الآخر سنة 238هـ/ الموافق للثاني والعشرين من سبتمبر سنة 852م عن عمر يناهز الاثنين والستين عاما , وقد ترك الأمـير عبـد الرحمان الإمارة الأُموية زاهرة, فقد حفل عهده بالإنجازات السياسية والحضارية على مر أكثر من ثلاثين سنة قضاها في الحُكم , حيث ازدهرت الأندلس في عهده , و حازت مكانة رفيعة بين الدول الإسلامية آنذاك.

ومع هذا فقد أظهرت حوادث السنين التالية لعصر الأمير عبد الرحمان أن مظهر الرخاء والإزدهار كان خادعا , وأن البناء في الحقيقة هش متداع سريع الانهيار[1] , كان مرده إلى بعض الاضطرابات الـتي أظهرها بعض سكان المدن الأندلسية والذين نقموا لسبب أو لآخر وراحوا يعبرون عن نقمتهم بمناهضة السلطة , مما نتج عنه عدد من الأفراد الطامحين الذين وجدوا في النقمة الشعبية وسيلة تمكنهم من إقامـة دويلات مستقلة .

و لم يكن ارتقاء الأمير محمد عرش الإمارة و خلافة كرسي أبيه في قرطبة من الأمور السهلة , فقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة الأمير عبد الرحمان بعض الدسائس والمؤامرات , تزعمتـها زوجـة الأمير " طرُوب" ،التي كانت حريصة على منصب الإمارة لإبنها "عبد الله بن عبد الرحمان ", وساعدها في هاته المهمة كبير خُدام القصر الفتى "نصر الخِسي" , ولنجاح هذا المسعى فقـد لجـأت إلى المكـر والخديعة لأنها كانت معروفة باصطناع أهل القصر من النساء والفتيان , طمعا في إمارة إبنها للأنـدلس كما يذكر ابن القوطبة[2].

وكان الفتى "نصر" مُبغضا لمحمد مائلا إلى "عبد الله بن طروب" فاستغلت هاته الأخـيرة تلـك الكراهية بأن استعملت جميع الوسائل المتاحة من أجل ضمان الحكم لإبنها عبد الله , فكلفت الفتى نصر بدس السم لزوجها , فاتصل الفتى بأحد الأطباء الذين وفدوا إلى قرطبة من المشرق ويـدعى "حـران" وطلب منه إعداد سم قاتل للأمير عبد الرحمان ,ولكن الطبيب عز على نفسه المشاركة في هذه الجريمـة فاتصل بدوره بإحدى جواري القصر التي أعلمت الأمير بحيثيات المؤامرة , وفور اكتشاف خيوط المؤامرة

---

[1] مونتغمري واط , مرجع سابق , ص:50.

[2] ابن القوطية , مصدر سابق , ص 91،أُنظر أيضا: وديع أبو زيدون،تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة،الأهليـة للنشر والتوزيع،(ب د ن)،(ب ب ن)،(ب ت ن)،ص218.

استدعى الأمير عبد الرحمان الفتى نصر للمثول بين يديه والتحقيق معه[1] .

وبمثول الفتى أمام سيده وجد كأس السُم على حاله , فلما سأل الفتى الأمير عبد الرحمان عن أسباب عدم تناول الدواء رد عليه الأمير قائلا: "اشربه أنت" , وفي هاته الحالة إكتشف نصر بأن سيده على علم بمُخططاته , وبذلك لم يجد مناصا من التهرب , فإن هو رفض شُرب الكأس كُشف أمره ،وإن هو شرب مات , ففضل الحل الثاني وبذلك كانت نهايته .

ولم يطُل المُقام بالأمير عبد الرحمان إذ توفي بعد أيام قلائل وكتم فتيان القصر من الصقالبة وفاتـــه وقاموا بإغلاق أبواب القصر تمهيدا لتنصيب الأمير الجديد , ثم دعوا إلى اجتماع عام لجميع خدام القصر من الصقالبة , رغم أن هاته الفئة كانت تُكن الكُره للأمير محمد لما يعرفونه عنه من شدة البخل ,ولكنهم آثروه على أخيه عبد الله , وبالفعل فقد استهل حُكمه بتخفيض رواتب العمال والجند ثم عمد إلى وزراء والده فأقصاهم وأحل مكانهم شبابا تعوزهم الخبرة واشترط عليهم أن يقاسمهم رواتبهم[2] والملاحظة التي يمكن تسجيلها في هذا الصدد هو تدخل فئة الصقالبة والموالي في تولية الحُكــام لأول مـــرة في تـــاريخ المسلمين في الأندلس أو ما يطلق عليها بظاهرة صانعي الحكام .

وبالفعل فقد قام أحد الصقالبة وهو "حبيب الخسي"باستدعاء محمد بن عبد الرحمـــان إلى قـــصر الإمارة وأعلمه خفية بوفاة أبيه وذلك خوفا من غدر أخيه عبد الله بن طروب , وفي حينها قام الأمـــير محمد باستدعاء الوُزراء وكبار رجال الدولة فقاموا إلى مبايعته، وكان ذلك غداة يوم الخميس الثالث من ربيع الثاني سنة ثمان وثلاثين ومائتين الموافق للثاني والعشرين من سبتمبر 852م[3] .

وقد كُتب لعصر الأمير محمد أن يكون بداية للإنزلاقات الخطيرة التي كادت تعـــصف بالإســـلام والمسلمين في الأندلس، وكاد المُتمردون أن يقضوا على أي أمل للأمارة في البقـــاء والاســـتمرار لـــولا المجهودات التي بذلها الأمير محمد وأبناؤه من بعده في سبيل الحفاظ على الإرث الأموي الذي تركه الأمير عبد الرحمان الداخل .

وإذا تأملنا جيدا في حقيقة الأوضاع السياسية في عهد الأميرمحمد ومن بعده ولداه المنذر وعبد الله نجد

---

[1] ابن القوطية،مصدر سابق , ص91 -Lévi. P. histoire....pp: 276-278.

[2] رينهرت دوزي , المسلمون في الأندلس , ج2 , ترجمة : حسن حبشي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مـــصر , 1994 م , ص: 119

[3] ابن حيان , مصدر سابق , تحقيق : محمود علي مكي , ص ص : 119-121,أيضا: ابن الأبار , مصدر سابق ,ج1 , ص ص : 119-120 .

أن التسمية التي أُطلقت على هاته الفترة والتي تسمى بعصر دويلات الطوائف الأولى تنطبق إلى حد كبير على هذا العصر وقد عالج أحداثها الدكتور أحمد مختار العبادي وأجمل الكلام عليها إجمالا عامـــا علـــى اعتبار أن الأحداث التي وقعت فيها كانت متصلة اتصالا وثيقا [1].

ثانيا – ثورة أهل طُليطلة على الأمير محمد :

ما كاد الأمير محمد بن عبد الرحمان أن يصل إلى دفة الحكم بأيام قلائل حتى اضطرمت نار الفتنة في الأندلس وحمى وطيسها في كل جهة، وبالرغم من أن عصر أبيه الأمير عبد الرحمان شهد نوعا مـــن الاستقرار إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور الطلائع الأولى للتمزق السياسي الذي قضى الأمير معظم سنوات حكمه الخمس والثلاثين في مواجهته .

وقد حفلت هاته الفترة من حكم الأمير محمد وابنه المنذر بالكثير من الاضطرابات والتناقضات التي أضرت بالوحدة السياسية لدولة الإسلام في الأندلس , وبات الأميران في حاجة لإحكام زمـــام أمـــور الأسرة الأموية وقوة النفوذ في مواجهة ذوي الأطماع وأرباب الفتن والقلاقل، إلى يد قوية قادرة علـــى ردع التمرد ,وأول الأحداث التي واجهت الأمير الجديد كما سنرى بدأت من أهم قلاع المعارضة وهي مدينة طليطلة [2]

وكان من عادة أهالي قرطبة اعتبار وصول أُموي جديد إلى عرش قرطبة مؤشرا لهم على شق عصا الطاعة , فقد أعلن أهل طليطلة تمردهم تماما في نفس الأيام التي وصل فيها الأمير محمد الأول إلى السلطة وكان عليهم طوعا أو كرها أن يُظهروا خُضوعهم , على الرغم من مشاعر التعاطف التي أعربت عنـــها فئة المستعربين في المدينة من خلال حركة المقاومة السلبية لأنصار "أُلوخيو و ألبارُو" ومع هذا وكضمان لحسن سلوكهم , فرضت على أهالي طليطلة إقامة جبرية , لكنهم مالبثوا أن بدؤوا في استعراض قـــوتهم فقاموا بعد أيام من تنصيب الأمير محمد بحبس الحاكم الأموي للمدينة و لم يطلقوا ســـراحه إلا بعـــد أن تأكدوا من إطلاق صراح رهائنهم [3] .

---

[1] أحمد مختار العبادي , في التاريخ العباسي والأندلسي , دار النهضة العربية، بيروت، 1972م , ص 366 ,أيضا: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي , دراسات في تاريخ المغرب والأندلس , دار الفكر العربي ،القاهرة , 1419هـ/1999م , ص 105.

[2] محمد عبد الفتاح شرف الدين , تاريخ السيادة الإسلامية على الأندلس : من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة , مكتبـــة الآداب القاهرة , 1411هـ/1990م , ص : 116 .

[3] Lévi. P. histoire… , pp : 291-292 .

وذكر ابن حيان نقلا عن أحمد بن محمد الرازي أن خبر وفاة عبد الرحمان الأوسط وصل إلى مسامع أهل طليطلة في اليوم الثالث من وفاته وكان بطليطلة يومئذ «... ابنه سعيد بن عبد الرحمن والعامـــل عليها حارث بن بزيغ ...» وبهذا الخبر أعلن أهل طليطلة الثورة بقيادة : " مسوفة بن مُطرف المُولـــد" الذي فر من قرطبة وأقام في جبل الأخوين على مقربة منها , ومن هذا الموقع أعلن التمـــرد والعـــصيان وانضم إليه جموع الناقمين على الأمارة , وقاموا بمهاجمة طليطلة في الرابع عشر من ربيع الثاني من ســـنة 238هـــ/852م , وتلقاهم جيش الأمارة بقيادة سعيد بن عبد الرحمان وعامل المدينة "حارث بن بزيغ" ولكن قوة هجوم الثوار مكنت من أسر "حارث بن بزيغ" حيث استعملوه كورقة ضغط وطالبوا الأمير محمد بإطلاق رهائنهم في قرطبة مقابل إطلاق صراح عامله ،أما سعيد بن الأمير عبد الرحمان فقد فر من هول المعركة خشية على نفسه من الموت المُحتم [1].

وبعد أن استقامت الأمور للأمير محمد سير في السنة الموالية من تنصيبه حملة إلى" قلعة ربـــاح " بقيادة أخيه الحكم بن الأمير عبد الرحمان«...فأخضعها الحكم وأمر ببُنيان سُورها واسترجاع من فرمنها إليها...» [2] ويبدو أن القلعة تعرضت لهدم جزئي لأسوارها فأعاد الأمير محمد بناءها , كما سير الأمـــير حملة أخرى إلى حصن "إندوشر"[3] بقيادة قاسم بن العباس "وتمام بن أبي العطاف" ولكن الدائرة كانـــت عليهما[4] , الأمر الذي أجبر أهل مدينة "حيان" على الفرار من مدينتهم خوفا من الانتقـــام الـــذي قـــد يلاحقهم من طرف قوات الأمير .

لقد سئم الأمير محمد من التمرد الذي رفع لواءه أهل طليطلة الذين كانوا في غالبيتهم من المولدين والذين أذكو ضرام الفتنة واستعانوا في كثير من الأحيان بالنصارى على المسلمين[5] , فخرج إليهم الأمير في سنة (240 هـــ/852م) لتأديبهم ،و ما إن علم أهل طليطلة بذلك حـــتى طلبـــوا الإعانـــة مـــن «...جيرانهم نصارى أهل دار الحرب على المسلمين إخوانهم ... » حيث أرسلوا إلى"أُردون بن أذفونش"

---

[1] ابن حيان , مصدر سابق , تحقيق محمود علي مكي , ص ص 292-293.

[2] ابن عذاري , مصدر سابق , ج2 , ص94 ,أنظر أيضا: ابن حيان , نفس المصدر , ص 293 .

[3] "إندوشر"،Andujar :مدينة من اعمال جيان تقع على نهر الوادي الكبير وهي تبعدبنحو أربعين كيلومترا من جيان،أنظر:ابن حيان نفس المصدر ،ص591،هامش:486.

[4] ابن حيان , نفس المصدر , ص 294 .

[5] عبد الكريم التواتي ، مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس،ط1،مكتبة الرشاد،الدار البيضاء ،1967م ،ص496..
Clifford Edmund Bosworth.les dynasties Musulmanes.traduit de Langlois par Yues Thoraval.university press.Sindbad.1996.p38

صاحب جُليقية ،فبعث إليهم أخاه "غثون" Gaston في جمع عظيم من النصارى ،فلجأ الأمير محمد إلى وضع الكمائن في ناحية واد سليط[1] ، حيث ذكر ابن عذاري أن الأمير محمد طلـع « ... في أوائـل العسكر في قلة من العدد ... فتحرك العلج فرحا و قد طمع في الظفر و الغنيمـة ... » فلمـا التقـى الجمعان خرجت الكمائن عن اليمين و الشمال ،و قضت على الجيشين المتحـالفين ،و قطعـت رؤوس موتاهم و تذكر المصادر أن حوالي ثمانية آلاف رأس حيزت و جُمعت فصارت كالجبل علاه المسلمون [2]

و عن هذه الواقعة أنشد عباس بن فرناس قوله في قصيدة طويلة اخترنا منها هذين البيتين :

بكى جبلا واد سليط فأعولا   على النُفر العبدان و العُصبة الغُلف

قتلناهم ألفا و ألفا و مثلـها   و ألفا و ألفا بعد ألف إلى ألـف[3]

بعد هذه الهزيمة التي ألحقها جند الإمارة بأهل طليطلة و حُلفائهم كان على الأمير محمـد أن يتخـذ احتياطاته لتجنب أي رد فعل إنتقامي من جانب المنهزمين ،فأمر بتحصين قلعة رباح و إمدادها بالسلاح و العساكر [4] لتقوم بمهامها الدفاعية عند الحاجة و ضبط تحركات السكان . و لم يكتف الأمير محمد بهذه الإجراءات ،بل أراد تثبيت الهدوء في طليطلة ،فأمر أخاه المنذر على رأس حملة سنة 242هـ/856م قامت بتخريب محيط طليطلة و إفساد معايشها [5] ،وكان الغرض من هذا إضعاف السكان و منعهم من أي تمرد جديد .

و يبدو أن مدينة طلبيرة [6] هي الأخرى لم تسلم من تمرد أهلها إذ اتخذوا نفس موقف أهل طليطلة و كان ذلك سنة (243هـ/858م) ولكن قائد المدينة "مسعود بن عبد الله العريف" كان لهم بالمرصاد إذ كمن لهم الكمائن أي لأهل مدينة طلبيرة و « ...قـتلهم قتلا ذريعا و بعث إلى قرطبة بسبعمائة رأس

[1] واد سليط :Guazalete نهر صغير ينبع من وادي تاجة في وسط الأندلس ،أنظر:إبن حيان ، مصدر سابق ،تحقيق :محمود علـي مكي ص592،هامش490

[2] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص ص 94-95 ،أما ابن حيان فيذكر أن عدد الرؤوس التي جمعت كانت إحدى عشر ألفـا أو أكثر ،ابن حيان ،نفس المصدر: ص 297 ،أيضا: ابن الأثير ،مصدر سابق ،ج6،ص ص120-121

[3] ابن حيان ، نفس المصدر ،ص ص:298-301 .

[4] مصطفى أبو صيف أحمد ،تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب ،ص106 .

[5] ابن عذاري ،نفس المصدر ،ج2، ص96 ،ابن حيان ،نفس المصدر، ص ص 304-305 .

[6] طلبيرة Talvera:مدينة كبيرة...وهي بلد واسع الساحة كثير المنافع...ولها على نهر "تاجة" أرجاء كثيرة وبينها وبـين طليطلـة سبعون ميلا...،الحميري،مصدر سابق،395 .

من رؤوس أكابرهم... » [1] .

لم يكتف الأمير محمد بهاته الغارات التي وجهها نحو طليطلة حيث صمم في العام الموالي 244هــ/858م على الخروج بنفسه إليها و اجتثاث شأفة التمرد من جذوره ،و قام بمهاجمة طليطلة و لكن منعة أسوارها حالت دون القضاء على أهلها ،فعزم الأمير على إسقاط القنطرة المحاذية لنهر طليطلة لتنهار الأسوار التي تعلوها «...حتى اندقت القنطرة جملة بما فيها هاوية في النهر...»[2] مما أدى إلى هلاك الكثير من المتحصنين بالمدينة.

و قد أثنى الشاعر عباس بن فرناس على صنيع الأمير محمد و أنشد في هذا يقول:

يا بـــن الخلائق يا محمد يا مــــــن سيفه في راحة النصر

ما إن تقوم لحربأسك في ألـــ ــــدُنيا محـــصنة من الدهــــــر

أضحت طليطلة معــــــطلة من أهلــــها في قبضة الصقـــر[3]

و ما إن حلت سنة (245هــ/859م) حتى عقد الأمير محمد الأمان لأهل طُليطلة بعد أن وعدوه بالطاعة ،إلا أنهم لم يستمروا في تنفيذ وعدهم ،بل استعانوا "بلُب بن مُوسى القسوي " فأدخلوه بلدهم و عادوا إلى الخلاف [4] و ظلوا على هاته الحالة إلى سنة (257 هــ/871م) و هي السنة التي قتلوا فيها «...أميرهم المعروف "بإبن بلوش"[5] و هو منهم و قد كانوا سألوا السلطان استعماله علـــيهم... » و للتخفيف من وطأة غضب الأمير عليهم «...سألوه ترميم منار المسجد الجـــامع بطليطلـــة ...و ضـــم الكنيسة المُلاصقة له و كانوا يومئذ بين الإنتزاء و الطاعة ،فأجابهم الأمير إلى ما أرادوه... »[6] و لا شك أن الأخطار المحدقة بالأندلس في ذلك الحين من طرف المجُوس و تصاعد حدة التمرد في الشمال كانـــت من الأسباب التي جعلت الأمير يؤجل انتقامه من أهل طليطلة . وبحلول صيف سنة (259هــ/873م) عزم الأميرعلى المسير بنفسه لأهل طليطلة ،و عند وصوله قوبل بالطاعة و رضوخ أهلها لسلطان قرطـــبة فعقد الأمير لهم الأمان و «...فارقهم على عدد من العشور يؤُدونها له كل سنة و خيرهم فيمن يولـــيه

[1] إبن عذاري ، مصدر سابق،ص 96 .

[2] إبن حيان ،مصدر سابق،تحقيق:محمود علي مكي ،ص ص (4) 305-306 .

[3] نفسه ، ص ص :306-307 .

[4] نفسه ، ص :307 .

[5] إبن بلُوش:كان من اهم زعماء الثوار في طليطلةومن رجالهم المقدمين،ابن حيان،نفس المصدر،ص610،هامش535 .

[6] إبن حيان ، نفس المصدر ، ص327 .

عليهم من أنفسهم... »[1]و يبدو أن غرض الأمير من هذا كان إيجاد نوع من الفرقة بين سكان طليطلة و الإيقاع بينهم ،خاصة و أن فيهم العرب و البربر و المُولدون كما ضمت جمعا كبيرا من النصارى واليهود

اختار قسم من أهل طليطلة "مطرف بن عبد الرحمان بن حبيب " ، و اختار آخرون تولية "طربيشة بن مسوفة"[2] ،و بدوره لجأ الأمير محمد إلى مشاورة وزراءه، فاقترحوا عليه توليتهما معا و تقسيم طليطلة بينهما ،و في هذا السياق يذكر إبن عذاري أن الأميرين تنازعا و أراد كل واحد منهما الإنفراد بملــك طليطلة ،و بهذا آلت الأمور "لطربيشة بن مسوفة"[3] و لكن لأيام قلائل ، إذ أن مطرف بن عبد الرحمان استغل خُروج بعض أهل طليطلة و معهم "طربيشة" للإغارة على حصن "سكتان" الذي يضم جمعا من البربر والذين أغاروا بدورهم عدة مرات على طليطلة ،فكانت الغلبة لبربر حصن"سكتان"رغــم قلــة عددهم، حيث كانوا في سبعمائة رجل وأهل طليطلة في عشرة آلاف،وكان هذا سببا في مهلك و تفرق الكثير من أنصار طربيشة و بذلك انفرد بحكم طليطلة "مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب"[4] .

و يبدو أن الأمير محمد بن عبد الرحمان اشتغل أواسط و أواخر سنوات حكمه بثورة "عبد الرحمان بن مروان الجُليقي" و ثورات المولدين في الثغر الأعلى بقيادة أسرة بني قسي ،ففي نفس السنة التي غــزا فيها الأمير إلى طليطلة أي سنة (259 هــ/879م) أمر ببناء ما كان قد تهدم من"قلعة رباح"و إرجاع إليها ماكان قد تفرق من أهلها[5] و كان غرض الأمير من هذا تشديد الرقابة على أميرها الجديد ،نظــرا للموقع الحساس الذي تحتله قلعة رباح من مدينة طليطلة ،حيث كانت تتوسط الطريق بــين قرطبــة و طليطلة .

و بحلول سنة (273هــ/886م) توفي الأمير محمد و ترك مملكة ممزقة الأوصال ،ورث عرشها إبنه المنذر الذي بادر في أول أيامه إلى إرسال حملة إلى مدينة طليطلة التي انضم إلى ثوارها بربر "ترجيلة" التي كانت تقع إلى الغرب من طليطلة ،ووقعت حرب ضروس بين الجيشين ،قضى خلالها جيش الإمارة على

---

[1] ابن حيان،مصدر سابق،تحقيق:محمود علي مكي ، ص :330 .

[2] طربيشة بن مسوفة : لم تطل حياة هذا القائد إذ لقي حتفه في إحدى خرجاته إلى بربر بني ذي النون وخلفه ابنه " لب"الذي عاصــر الأمير عبد الله...،أنظر: ابن حيان ،نفس المصدر ،ص612،هامش541 .

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص 101 .

[4] ابن الأثير ،مصدر سابق ،ج6 ،ص244 ،أيضا: ابن عذاري ،نفس المصدر،ج2 ،ص 101 ،حمدي عبد المنعم حسين ،ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (138-316هــ /756-928 م) ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1993 م،ص ص 43-41.

[5] ابن حيان ،نفس المصدر ،ص 334 .

المتحالفين و أوقع الألوف منهم [1] .

بيد أن الأُمور تغيرت بعد هذه الوقعة إذ كان أمير طليطلة في عهد الأمير المنذر بن محمد "لب بـــن طربيشة" هذا الأخير الذي سعى للانتقام من أهل طليطلة الذين ساهموا في مقتل أبيه فتواطأ مع "موسى بن ذي النُون البربري" الذي قدم في نحو عشرين ألفا من أصحابه و أوقعوا بعسكر طليطلة و أنزلوا بهم هزيمة ساحقة [2] ،و رغم هذا فلم يظفر "لب بن طربيشة" بحكم طليطلة بنفسه لأن أهلها قاموا باستدعاء "لب بن موسى" للقيام بأمرهم نظرا للقوة التي كان يملكها ،و ظل الأمر على هذا الحال إلى أن اعتلـــى الأمير عبد الله دفة الحكم و اضطر كذلك إلى المسير إلى طليطلة بنفسه و إعادة أهلها إلى جادة الصواب

ثالثا – النشاط السياسي للمولدين في شمال الأندلس في عهدي الأميرين محمد بن عبد الرحمان و إبنه المنذر :

1- أُسرة بني قسي :

أ – مُوسى بن موسى القسوي:

لقد ظل "بنو قسي" على جانب من الهدوء و موالاة سُلطان قرطبة في السنوات الأولى من حكـــم الأمير محمد بن عبد الرحمان ،بل إنهم ساهموا بدرجة كبيرة في دحض الخطر الصليبي من شمال الأنـــدلس حيث يذكر إبن حيان أنه في سنة (241هــ/855م) إستعان الأمير محمد بموسى بن موســـى و أهـــل الثغور في حملة عسكرية إلى «...إلبة و القلاع ،فمضو معه و دخلوا أرض العدو ،فبلغ أقـــصى بلـــدهم وانتسف [بسائطهم]و فتح كثيرا من حصونهم... » [3] .

و بلغت الأوضاع في شمال الأندلس بأن أصبح "موسى بن موسى القسوي" عامل الأمير محمد على الثغر الأعلى ، و بأمر من الأمير ،تمكن موسى من مهاجمة الفرنجة و إلحاق هزائم ساحقة بهم و اســـترداد "حصن طراجة"،و الاستيلاء على كمية كبيرة من الغنائم ،حيث أمر موسى بإنفاقها على المسجد الجامع بسرقسطة ،إذ ذكر ابن عذاري أنه من «...خُمس هذه الأموال زيدت الزوائـــد في المـــسجد الجـــامع بسرقسطة ...» [4] .

[1] ابن عذاري ،مصدر سابق،ج2 ،ص 116 .

[2] ابن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ،ص 18 ،أيضا: سامية مصطفى محمد مسعد،التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس الإسلامية (93-422ه)،ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية،1424ه/2004م،ص100وما بعدها .

[3] ابن حيان ،مصدر سابق ،تحقيق:محمود علي مكي ،ص 304.

[4] ابن عذاري ،نفس المصدر ،ج2، ص ص:95-96.

و قد أبدى موسى القسوي نشاطا عسكريا مهما في منطقة الثغر الأعلى و أحكم سيطرته علـــى أغلب مدن الشمال ،و اعتبره البعض الحاكم الفعلي لهاته المنطقة في أولى أيام الأمير محمد [1] ،و قد بـــادر موسى إلى بناء قلعة حصينة تسمى البيضاء Alibaida لتكون منطقة دفاعية ضد الصليبيين في الـــشمال ،و الذين ما لبثوا أن هاجموهـــا بقيـــادة "أإردونيـــو الأول" ملـــك جُليقيـــة و كـــان ذلـــك ســـنة (245هـــ/860م) ،و حاول موسى دحر هذا الخطر عن قلعته ،و لكنه أصيب بجـــراح خطـــيرة ، و انتبهت من قلعته أموال و هدايا ثمينة كان قد أهديت لموسى القسوي على حد تعبير "ليفي بروفنسال". [2]

و لكن العلاقات الودية بين موسى القسوي و الأمير محمد بن عبد الرحمان ما لبثـــت أن ســـاءت بسبب إقدام هذا الأخير على تولية "عبد الله بن يحيى"على منطقة الثغر الأعلى إضافة إلى الحملة التي قادها الأمير محمد إلى "بنبلونة" سنة(246هـــ/ 861م) عبر أراضي موسى القسوي ،الأمر الذي أزعج هذا الأخير ، خاصة و أن "بنو قسي" كانت تربطهم علاقات مصاهرة مع ملوك "بنبلونة" [3] .

و مع هذه الأحداث تبدأ مرحلة جديدة،حيث تحرك موسى القسوي في سنة 248هـــــ/ 863م معلنا تمرده في وجه الإمارة الأموية حيث قام بالزحف على مدينة وادي الحجارة [4] والتي كان "أزراق بن منتيل"[5] واليا عليها من قبل الأمير محمد ،و كان ذلك بسبب تقرب "أزراق" و إعلانه الطاعة للأمير محمد و رغم أن موسى قام بتزويج إبنته "لابن منتيل" إلا أنه أراد الانتقام منه بسبب تصرفه هـــذا ،و جـــرت معركة قوية كانت في غير صالح "موسى القسوي" كما يذكر ابن عذاري ،حيث كانت سببا في هلاكه إذ أصيب بجراح خطيرة «...منعته الركوب بعدها...و توفي في هذه السنة... »[6]

ب – لب بن موسى القسوي:

واصل "لب" سياسة أبيه العدائية تجاه الإمارة الأموية ،وورث الحكم بعد أبيه في ظل وجود ثلاثة من إخوته و هم :إسماعيل و فرتون و مطرف ،ورغم هذا فقد استأثر بممتلكات والده مما أجج حقد الأخوة

---

[1] كمـــال الـــسيد أبُـــو مـــصطفى ،بحـــوث في تـــاريخ و حـــضارة الأنـــدلس في العـــصر الإســـلامي،مركز الإســـكندرية للكتاب،الإسكندرية،1997م،ص58 .

[2] Lévi. P.histoire…: pp:314-315.

[3] ابن عذاري ، مصدر سابق ،ج2،ص97 .

[4] مدينة وادي الحجارة Guadaljara:مدينة بالأندلس تعرف بمدينة الفرج،وهي بين الجوف والشرق من قرطبة،وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا...،أنظر: الحميري،مصدر سابق،ص606 .

[5] أزراق بن منتيل:جده الأعلى هو سالم بن ورغمال المصمودي باني مدينة سالم،أنظر: ابن حيان،مصدرسابق، ص 604 .

[6] ابن عذاري ،نفس المصدر،ص 97،أيضا: ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص112 .

الثلاثة و أعلنوا الثورة ضده ،حتى تمكنوا من أسره فأسرعت زوجته التي تسمى "عُجب" إلى النظر في أمر زوجها "لُب" ،فأشار عليها أخوة موسى بتسليم أحد الحصون و هو حصن "أرنيط" مقابل الصفح عـــن زوجها فوافقت و توجهت هي و زوجها "لب" إلى حصن "بقيرة" الذي قام لب ببنائه و تعميره [1]

ويبدو أن العلاقات بين "لب" و أخوته تحسنت ،حيث و بعد إطلاق سراحه سارع إلى عقد تحالف مع ملك نبرة "غرسية بن وُنقة " و هاجم عمال الأمير بالثغر الأعلى سنة (258هـــــ/872م) و قـــام بأسرهم و هم "عبد الوهاب بن مغيث" و ابنه "محمد" بمدينة سرقسطة و عباس بن عبد البر "بوُشقة" ،و لإزالة النفرة بينه و بين إخوانه و طمعا في مساعدتهم له في حروبه ضد الإمارة ،فقد قام بتعيين "فرتون" على مدينة "تطيلة" و مطرف على مدينة "وشقة" ،و قام هو و أخوه "إسماعيل" بشن هجوم ساحق على العرب في مدينة سرقسطة و قتل الكثير منهم، و كان ذلك سنة (260هــ/874م) في موقعه تعـــرف بمرج العرب[2].

و في ظل هذه الأحداث الخطيرة التي اجتاحت منطقة الثغر الأعلى والتي كان "بنو قسي" السبب فيها ، تحرك الأمير محمد صوب الثغر الأعلى ،و قصد مدينة وشقة في خطوة أولى للقضاء علـــى الثـــائر مطرف بن موسى القسوي ،و يبدو أن أحد بني عمومته و أعداء هذا الأخير وهو "عمروس بن عمـــر" تكفل بهذه المهمة ،حيث ذكر ابن حيان أنه قام بمهاجمة "وشقة" ،و أسر مطرف بن موسى و«...إحتوى على ماله وولده ،وقبض على زوجته بنت "غرسية بن ونقة " صاحب بنبلوبة...» ،و لتثبيت العلاقـــات بينه و بين الأمير محمد فقد تقرب "عمر بن عمروس" بمطرف بن موسى إلى الأمير محمد الأمر الذي جعل هذا الأخير يسجل له على وشقة[3] .وواصل الأمير محمد زحفه نحو "حصن المنتشون" الذي كان يتحصن به إسماعيل بن موسى و بمساعدة عامل الأمير محمد على "بربطانية" و هو "عبد الله بن راشد" تم القبض على إسماعيل و تسليمه إلى الأمير محمد ،ولكن الأمير و خوفا من الانتقامات التي قد تلحق بعماله علـــى الثغر الأعلى بادر إلى إطلاق سراح إسماعيل و أخيه فرتون.[4]

---

[1] العذري ،احمد بن عمر بن انس العذري المعروف بابن الدلائي،نصوص عن الأندلس من كتاب: ترصـــيع الاخبـــاروتنويع الآثـــار والبستان في غرائب البلـــدان والمـــسالك إلى جميـــع الممالـــك،تحقيق:عبـــد العزيـــز الأهواني،،منـــشورات معهـــد الدراســـات الإسلامية،مدريد،ص32 .

[2] نفسه ،ص 31 ،أيضا: ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص 101 .

[3] ابن حيان ،مصدر سابق ،تحقيق:محمود علي مكي ،ص331.

[4] العذري ،نفس المصدر ،ص 32.

عاد فرتون بن موسى إلى نبذ الطاعة بعد إطلاق سراحه ،و قام بالاستيلاء على مدينة "تطيلـــة" و أسر عاملها لدى الأمير "محمد" و هو "وهيب بن عبد الله بن مغيث" ،و ظل "فرتون" يُحكم ســيطرته على "تطيلة" حتى وافاه أجله سنة (260هــ/874م) [1] ،و أما أخوه "لب بن موسى" و الذي عانت الإمارة كثيرا من مشاكله ،فقد ظل على الخلاف و معاداة سلطان قرطبة إلى أن توفي و هو يصطاد الأيل كما يذكر العذري و كان ذلك سنة (261هــ/875م) [2].

أما عن أخبار إسماعيل بن موسى فذكرنا أن الأمير محمد عفا عنه وولاه بعض حصون الثغر الأعلى ليختبر طاعته ،و لكنه جاهر بالعصيان ،و قبض على عبد الله بن خلف بن راشد عامل الأمـــير علـــى بربطانية و قتله ،و تغلب على بعض مدن الشمال الأندلسي مثل "بربشتر" و"القــصر" و"بربطانيــة" [3] وبالرُغم أن الأمير محمد كثف من الحملات التأديبية إلى هذا الثائر إلا أنه لم يستطع القضاء عليه ،و كان إسماعيل متحصنا بمدينة "لاردة" التي هاجمها نصارى "برشلونة" ،و لكنه تصدى لهم و قتل عددا كبيرا من جموعهم [4].

حاول إسماعيل بن موسى التوسيع من نفوذه في منطقة الثغر الأعلى و ذلـــك بالإســتيلاء علـــى ممتلكات أخيه "لب" ،فتوجه صوب "قلُهرة" التي واجه بها مقاومة عنيفة من طرف ابن أخيه "محمد ابن لب" و الذي تمكن من أسر عمه إسماعيل ،و اشترط "محمد بن لب" لإطلاق سراح عمه ،التنازل عـــن مدينتي "سرقسطة" و"تطيلة"[5] ،ليتوجه إسماعيل بعدها إلى حصن "المنتشون" و قضى فيه ما تبقـــى مـــن عمره حتى توفي يه سنة(276هــ/889م)و دفن داخل حصنه [6]، و بهذا آل أمر بني قسي إلى ابن "محمد بن لب" الذي حمل على عاتقه لواء التمرد و العصيان ضد سلطان قرطبة،و لا شك أن الثورات المتتاليـــة التي قادها بنو قسي ضد الإمارة الأموية من جهة و ضد بني جلدتهم بني عمروس و الممالك المسيحية في

---

[1] العُذري،مصدر سلبق ،ص ص 34-35

[2] نفسه ،ص 31.

[3] ابن حيان ،مصدر سابق،تحقيق:محمود علي مكي ،ص ص:333-334.

[4] ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون... ،ج4،ص167 Lévi p,histoire….p:328

[5] تطيلةTudela:مدينة عظيمة كثيرة الفواكه وهي فوق سرقسطة بعشرين فرسخا...،أنظـر: أبي عبـد الله محمـد بـن أبي بكـر الزهري،كتاب الجغرافيا،تحقيق:محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد،(ب س ن)،ص82 .

[6] العذري ،نفس المصدر ،ص:34 .

الشمال من جهة أخرى،قد أفضت إلى ضعف البيت القسوي بزعامة "محمد بن لب" الذي تسلم الزعامة من عمه إسماعيل ،و كان على "محمد بن لب" في هذه المرحلة أن يسلك منحى أخر لتحقيق مآربه.

و تماشيا مع الأحداث السياسية التي شهدها منطقة الثغر الأعلى الأندلسي ،فقد آثر "محمد بن لب" التخلي عن مدينة "سرقسطة " ،حيث ذكر "العذري" أنه حينما خرجت قوات القائد الأموي «...هاشم بن عبد العزيز إلى الثغر و صارفته ،وقد دخلت سنة إحدى و ستين فابتاع من محمد بن لب سرقسطة بخمسة عشر ألفا... »[1] ،و لاشك أن محمد بن بن لب لم تكن لديه القوة الكافية لمواجهة الأمويين إضافة إلى تحريض الأمير محمد "لبني تجيب" ضد بني "قسي" ،و يتجلى هذا الأمر أكثر حينما بنى الأمير محمد "قلعة أيوب" لبني "تجيب" و نصبهم على «...محاربة بني قسي...و أجزى عليهم من المعارف لكل واحد عند كل غزاة مائة دينار...» وهذا ما دفع "محمد بن لب" إلى عدم المخاطرة بنفسه ،في ظل الوضع المتردي الذي حتم عليه بيع سرقسطة لفائدة الأمويين .وبدوره قام الأمير "محمد" بتثبيت "محمد بن لب" على حصون "أرنيط" و "طرسونة"و"جُريش" إضافة إلى "تطيلة" و حصن "المنتشون" مقابل تخليه عن سرقسطة [2]، على أن الأمير محمد كان يرمي من وراء هذا الإجراء إلى الاستفادة من خبرة القسويين في مجال الدفاع عن الحصون الإسلامية المتاخمة للممالك المسيحية في الشمال ،و يبدو أن السياسة التي انتهجها الأمير محمد كانت ترمي إلى جذب الثائر "محمد بن لب" و إرضاء عرب سرقسطة بمنحهم صلاحيات أوسع في مقابل مراقبة الخطر المولدي في منطقة الثغر الأعلى .

وإلى حد كبير نجحت سياسة الأمير محمد ،إذ استفادت الإمارة الأموية من الحملات التي وجهها محمد بن لب ضد نصارى الشمال ،حيث نازل ملك الجلالقة "أذفونش" "ألفونسو" "بطرسونة"«...ورده على عقبه منهزما و قتل نحوا من ثلاثة آلاف من قومه...»[3] .

بعد وفاة الأمير محمد سنة (273هـ/886م) خلفه إبنه المنذر الذي جدد "لمحمد بن لب" الولاية على مدن "أرنيط" و "طرسونة" و "تطيلة" ،وكان هذا الإجراء من الأمور الحتمية على الأمير الجديد ليتفرغ إلى كبح جماح التمرد في مناطق أخرى ،و قد واصل "محمد بن لب " حملاته ضد نصارى

---

[1] العذري،مصدر سابق،ص:35 .

[2] نفسه ،ص ص36-41،أيضا:خليل إبراهيم صالح السامرائي،الثغر الأعلى الأندلسي:دراسة في أحواله السياسية(95-316ه/714-928م)،مطبعة أسعد،بغداد،1976م،ص324 .

[3] ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون... ،ج4 ،ص 172 .

الشمال و أحرز عليهم انتصارا ساحقا في منطقة "إلبة" و "القلاع" و وصف بن عذاري هـذا بقولـه «...ففتح الله للمسلمين ،و قتلوا المشركين قتلا ذريعا...[1]» .

2 – أسرة بني عمروس[2]:

يعتبر بنو عمروس مثل بني جلدهم بنو قسي في التمرد و العصيان ،حيث يذكر العذري أن ثـائرا منهم و يُدعى "عمروس بن عمر " غدر «...بموسى بن غلند عامل "وُشقة" و قتله داخلها و ملكهـا و ذلك في أيام الإمام محمد في سنة ست و خمسين و مائتين... »[3] الموافق لسنة 870م ،و كانت ردة فعل الأمير محمد بأن أخرج إليه قائده "أحمد بن شاهد التُدميري" كما أخرج إليه والي سرقسطة "عبد الوهاب بن مغيث" [4] قائده "عبد الأعلى العريف" ،و لكن أخبار هاته الحملة وصلت إلى مـسامع عمـر بـن عمروس الأمر الذي جعله يفر من مدينة "وشقة" ،و دخلت القوات المتحالفة إلى هاته المدينة و أسـرت بها «...لب بن زكريا بن عمروس أحد قتلة موسى بن غلند فقتل و علق في سور مدينة "وشقة"...»[5]

و هكذا لم يتمكن الجيش الأموي من القضاء على "عمروس بن عمر" الذي فر إلى مدينة "إنديرة" و عقد تحالفا مع نصارى "بنبلونة" فقرر الأمير محمد تسيير حملة نحو الشمال سـنة (257هـ/871م) بقيادة "عبد الغافر بن عبد العزيز" [6] و جيش آخر بقيادة عبد الوهاب بن مغيث ،و تمكن الجيشان من دخول مدينة "تطيلة" و القبض على «...زكريا بن عمروس و أولاده و جماعة من أهل "وشقة" و نزلا بهم على باب مدينة سرقسطة ،فقتلهم بها "عبد الغافر"...»[7].

---

[1] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص115 .

[2] بنو عمروس :جدهم عمروس بن يوسف الذي ولاه الأمير الحكم بن هشام على طلبيرة ثم نقله الى طليطلة،وهو الذي أوقع بثوارها المولدين في وقعة الحفرة سنة181هـ/797م...،أنظر:ابن حيان، مصدر سابق ،تحقيق:محمود علي مكي،ص608،هامش530

[3] العذري،مصدر سابق،ص62

[4] عبد الوهاب بن مغيث :هو عبد الوهاب بن احمد بن عبد الواحد بن مغيث،وهو من أسرة بني مغيث التي ولي كثير مـن أفرادهـا مناصب القيادة والحجابة والوزارة لبني أمية في الأندلس...،أنظر: ابن حيان،نفس المصدر،609،هامش531 .

[5] العذري،نفس المصدر،ص62

[6] عبد الغافر بن عبد العزيز:هو أخ القائد هاشم بن عبد العزيز الذي قتله الأمير المنذر ونكل بأسرته

[7] ابن حيان ، مصدر سابق ،ص:326،أيضا:العذري ،نفس المصدر ،ص62 .

و كما سبقت الإشارة إلى أن عمروس بن عمر تقرب إلى الأمير محمد بأحد أفراد الأسرة القسوية و هو مطرف بن موسى الذي قبض عليه في مدينة "وشقة" و سلمه الأمير ولايتها سنة(259هـ/873م) إذ بقي على رأسها حتى سنة (262هـ/876م) و هي السنة التي توفي بها و

نقلا عن عيسى بن أحمد الرازي يذكر "العذري" أنه «...لما توفي عمروس بن عمر وولي مكانه على "وشقة" ابن عمه عمر بن زكريا بن عمروس و كان زكريا بن عمر- أخ عمروس بن عمر المتوفي- في سجن بحصن المنتشون الذي كان يحكمه عبد الله بن حديدة ، وحينما أيقن هذا الأخير أن الأمور "بوُشقة" استقرت "لعمر بن زكريا" بادر "إبن حديدة" إلى إطلاق سراح "زكريا بن عمر" و لما كانت سنة أربع و ستين و مائتين ،هاجم زكريا بن عمر أهل "وشقة" ليلا فدخلها و كان قد غاب عنها "عمر بن زكريا"... فملكها "زكريا بن عمر" إلى ان مات في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث و تسعين و مائتين...»[1] .

و بعد وفاة "زكريا بن عمر" خلفه ابن أخيه "مسعود بن عمروس" ،حيث يذكر العذري أنه قبل أن تحضر الوفاة زكريا بن عمر «...إستخلف مكانه على "وشقة" ابن أخيه مسعود بن عمروس ...» و الذي لم يدم حكمه طويلا لأن "محمد بن عبد الملك الطويل" قتله و ملك أمور "وشقة" من بعده و بهذا ظهرت أسرة بني الطويل على مسرح الأحداث و برز نجمها في عهد الأمير عبد الله الذي سنأتي على التفصيل في مجريات أحداثه خلال الفصل الثالث .

و من دون أي عناء تخلصت الإمارة الأموية من مجموعة من الثوار الذين شغلهم الاقتتال فيما بينهم ،و على هذا النحو قدموا خدمة كبيرة كانت في صالح الأمير محمد الذي اشتغل في آخر أيامه بثورة عمر بن حفصون أكثر من انشغاله بالتمرد في الثغر الأعلى .

رابعا – الصراع المسيحي الأموي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان :

أ – تجدد الغزو النُورماني للسواحل الأندلسية :

لم يكد الأمير محمد بن عبد الرحمان ينتهي من إخماد الثورة في طليطلة حتى ظهر النورمان من جديد بتهديداتهم للسواحل الغربية و الجنوبية للأندلس بدءا من سنة (245هـ/859م) ،و على حسب ما جاء في المصادر التاريخية ،فقد كان المسلمون آنذاك على أهبة الإستعداد للتصدي لأي خطر خارجي

[1] العذري،مصدر سابق،ص64

يهدد بلادهم ،خاصة و أن التجربة مع النورمان كان قد مضى عليها سنوات فقط ،فقد هاجموا نفـــس المناطق في عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط.

هاجم النُورمان في أول الأمر "جليقية " في الشمال الغربي للأندلس و لكنهم حسب ما تـــذكره رواية المؤرخ ألبند Albende قُوبلوا بمواجهة صارمة من جانب الكونت "بدروه" الذي صد خطرهم في ناحية السواحل الغربية للبرتغال[1] ،فاتجهوا نحو الجنوب قاصدين الشواطئ الأندلسية في اثنين و ســتين مركبا ،و لكن القوات الإسلامية تصدت لخطرهم و أسرت مركبين من مراكب العدو و استولت على ما فيهما من ذهب و فضة ،و فرت بقية المراكب نحو مصب نهر اشبيلية ،الذي لم تستطع اختراقـــه بفعل الرقابة الشديدة من طرف المسلمين بقيادة "يحي بن الحسن الحاجب" الذي تصدى لهم ،و بعد ذلك واصلت سفن العدو إبحارها نحو الجنوب وصولا إلى الجزيرة الخضراء ،فهجموا عليها و أحرقـــوا بهـــا مسجدا ،و لكن سرعان ما طردهم المسلمون و بنو مسجدا في مكان نزول البحارة النورمان و أُحكمت أبواب هذا المسجد من أخشاب السفن التي تم الإستيلاء عليها من طرف المسلمين [2] واصل النورمـــان تحركهم في السواحل الغربية للأندلس حتى بلغوا مدينة "مرسية" و شنوا هجوما على "أريولة" و عـــادوا إلى شمال الأندلس عبر نهر "الأبرو" حتى وصلوا "بنبلوبة" و أغاروا عليها و تمكنوا من أسر أميرها "غرسية بن وُنقة" و لم يطلق سراحه حتى افتدى نفسه بمبلغ سبعين ألف دينار[3] .

و بحلول سنة (247هــ/861م) عاود النورمان الإغارة على ســـواحل الأنـــدلس، و لكنـــهم وجدوها محمية من طرف المسلمين ،و من جانب آخر يذكر ابن حيان إنهم من هذا التاريخ لم يجـــدوا مطمعا في سواحل الأندلس لشدة ضبطها [4]

ب-الصراع الأموي مع مملكة "إشتوريش"Asturias:

---

[1] Lévi. P. histoire…: p : 310.

[2] ابن حيان ،مصدر سابق ،تحقيق: محمود علي مكي ،ص ص:307-309،أيضا: ابن عذاري ،مصدر سابق،ج2،ص ص: 96-97 ،محمد عبد الله عنان ،تاريخ العرب في اسبانيا ،من الفتح إلى ملوك الطوائف ،ط1،مطبعة الصباح ،مصر ،1924م،ص95 ،ســـحر السيد عبد العزيز سالم،مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس في العصر الإسلامي،(ب ط)،مؤسسة شـــباب الجامعة،الإسكندرية،1990م،ص63ومابعدها.

[3] ابن حيان ،نفس المصدر ،ص309 .

[4] نفسه ،ص:311 ،أيضا:خليل إبراهيم السامرائي،عبد الواحد ذنون طه،تاريخ العرب وحضارهم في الأندلس،ط1،دار الكتب الوطنية،بنغازي،ليبيا،2000م،ص133 Lévi.HISTOIR… pp311-312.

لم تكن الثورة في طليطلة و لا الغزو النورماني العائق الوحيد أمام الأمير محمد ،بل واجه إمارته خطر من الشمال بقيادة "أردونيوا الأول" ملك "إشتوريش" الذي كان يحاول إستغلال الفرصة المناسبة لينتقم لهزيمته في "واد سليط" ،إلا أن الأمير محمد لم يترك له الفرصة إذ حشد الأمير قواته و دخل إلى "إلبـــة" و "القلاع" و بلغ أقصاها و افتتح الكثير من حصون المشركين [1]

بيد أن الإنتفاضات المتتالية في شتى نواحي الأندلس أجبرت الإمارة الأموية على التخفيف من نشاطها العسكري ضد مسيحيي الشمال ،و اقتصر الأمير محمد على درأ الخطر عن طريق ضبط الحدود و تحصين الثغور، و إذا كان الأمـــير محمد قد تخوف من اســـتغلال "أردونيو" متاعبه الداخلية باهتمامه بتحصين ثغوره تأهبا للدفاع عن بلاده ،فقد بادله "أردونيو" نفس المخاوف ،و لم يغب عـــن بالـــه أن إنصراف الأمير عن غزو بلاده إنما هو أمر موقوت لن يلبث أن ينتهي حالما يفرغ الأمير محمد من متاعبه لذلك سارع "أردونيو" للإستفادة من تلك الهدنة ،وقام بحركة تحصينية تعميرية واسعة النطاق في منطقة ثغوره المواجهة للأندلس ،و قام "أردونيو" باستقدام سكان جدد لهاته التحصينات ليعيد إليها الحياة مـــن جديد [2].

وكنا قد تطرقنا سابقا إلى أن "موسى بن موسى القسوي" عامل الأمير محمد على الثغر الأعلى كان قد بنى قلعة البيضاء و حصنها و أتقن بناء أسوارها لتكون منطقة دفاعية ضد الحملات المـــسيحية مـــن الشمال ،و قد كان الملك "أردونيو" على علم بمخططات الأمير محمد و حليفه موسى القسوي ،فبـــادر إلى مهاجمة القلعة نظرا لأهميتها الحربية ،و تمكن من القضاء على الكثير من المسلمين المتحصنين بها ،و قام بتدمير القلعة ،و لكن الأمير محمد عزم على الانتقام فسأله موسى القسوي أن يكون دخـــول عـــسكر المسلمين على غير ناحيته لما لاقاه و أهل بلده من وصب الحروب[3] .

لقد كان الطلب الذي تقدم به موسى إلى الأمير محمد وبالا عليه ،إذ عزله الأمير عن ولاية الثغـــر الأعلى سنة (246هـــ/860م) ،و من جانب آخر فقد استغل الملك "أردونيو" هذه المشـــاكل لضرب الإمارة ،فتحالف مع "غرسية بن ونقة" ضد الأمير محمد ،و لكن هذا الأخير تفطن إليهما حيث ذكـــر ابن عذاري أن الأمير خرج في هذه السنة «...خروجا لم يخرج قبله جمعا و كثرة و قضى إثنين وثلاثين

[1] ابن عذاري ، مصدر سابق،ج2 ،ص96 .

[2] عبد المحسن طه رمضان ،الحروب الصليبية في الأندلس ،ميلادها و تطورها حتى أواخر القرن 10م مع دراسة نقدية لمصادرها العربية و الاسبانية ،المكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،2001م،ص ص:456-457 .

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ص97 .

يوما يخرب المنازل وينسف الثمار ،وأسفرت الحملة عن أسر "فرتون بن غرســية Fortun" المعــروف بــ"الأنقر" ،و قدم به الأمير إلى قرطبة حيث قضى بها عشرين عاما في السجن...»[1] ،وقــدكانت ردة فعل غرسية أمير "بنبلوبة" و حليفه "أردونيو" قوية إذ عــاودوا مهاجمــة الأراضــي الإســلامية ســنة (248هـ/862م) حيث ذكر ابن الأثير أن المسلمين أوقعوا بالمشركين في معركة قرب منطقة "ذي تروجة" فهزموهم هزيمة ساحقة و قتلوا الكثير منهم [2]وبعد هذه الاحداث حاول الأمير محمد درأ الخطر عن الأراضي الإسلامية و نقل النشــاط العسكري إلى الأراضي المسيحية في الشمال فأرسل حملتين إلى إقليم "إلبة" و "القلاع" لإضــعاف قــوة "أردونيــو" في منطقتــه ،فكانــت الحملــة الأولى ســنة (249هـ/863م) بقيادة "عبد الرحمان بن الأمير محمد " و القائد الآخر "عبد الملــك بــن العبــاس القرشي" [3] ،فافتتح القائدان العديد من الحصون و مُنيت قوات "أردونيو" بهزيمة ساحقة ،و مقارنة بالخطر الذي تهدد الإمارة الأموية من جهة الشمال فإن هاته المعركة لم تؤثر على قوة "أردونيو" ،فكرر الأمــير المحاولة مرة أخرى بحملة ثانية،وهذه المرة كانت سنة(251هـ/865م) ،و عهد قيادتها لنفس القائدين السابقين في حين أن رواية أخرى تذكر أن الحملة كانت تحت قيادة "المنذر بن الأمير" برفقة الحاجــب "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة " [4]

انطلقت هاته الحملة قاصدة إقليم "إلبة" و "القلاع" مخترقة نهر "الدويرة" الذي يعتبر حدا فاصلا بين أراضي المسلمين و مسيحي الشمال ،ومنها زحف جيش الإمارة واستولى على كامل أراضي "إلبــة" و "القلاع فإنتسف ما بها من زرع و دمر ما بها من حصون و احتلوا "الملاحة" من أعمال القلاع و التي تعتبر من أجل أعمال "رذريق" حاكم منطقة القلاع ،فحطم المسلمون ما حواليها و محو آثارها على حد تعبير ابن حيان[5].

[1] نفسه،ج2، ص97،أيضا:ابن حيان،مصدر سابق ،تحقيق:محمود علي مكي ،ص310 .

[2] ابن الأثير ،مصدر سابق،ج6،ص152 .

[3] عبد الملك بن العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم المرواني القرشي ،وجده عبد الملك هو الــذي دخــل الأندلس في عهد عبد الرحمان الداخل ،أنظر:ابن حيان ، مصدرسابق،مصدرتحقيق محمود علي مكي،ص605 ،حاشية رقم 517 .

[4] ابن حيان ،نفس المصدر ،ص 318 ،أيضا:ابن عذاري ، مصدر سابق،ج2 ص:98 .

[5] ابن عذاري،نفس المصدرج2 ص 98 ،أيضا:ابن حيان ،نفس المصدر،ص 318 .

و عبر ممر "فج المركويز"[1] قفل الجيش الإسلامي عائــدا إلى قرطبــة مكتفيــا بمــا حققــه مــن انتصارات،ففوجئ "برُوذريق" و قد حفر خندقا عميقا أمام الممر لقطع الطريق أمام جيش الإمارة ،فبادر هذا الأخير إلى الهجوم ،و تلاحم الجيشان في معركة قوية كان الانتصار فيها لصالح المسلمين ،و قتل من جيش الاسبان أعداد لا تحصى وأحتز من رؤوسهم أعداد عظيمة على حسب ما جاء في رواية ابن حيان ،و قام جيش الإمارة بعدها بردم الخندق و تسويتة ومنه عادو إلى قرطبة .[2]

لم يكتف الأمير بهذا النصر بل أرسل حملة أخرى بقيادة إبنه عبد الرحمان في (252هــ/866م) إلى منطقة "إلبة" و "القلاع" لإضعاف سكانها و منعهم من التحالف مع "أردونيو" لكن هاته الحملة لم تلاق أي عناء يذكر لأن الحملة التي سبقتها ساهمت في تدمير قوة "أردونيو" إلى جانب الــضعف و الــوهن الشديد الذي ألجأ سكان "إلبة" و "القلاع" إلى المنع من التجمع و الاحتشاد لما نالهم في العام الفارط من النهب و القتل الذريع [3] .

توفي "أردونيو الأول" في سنة (252هــ/866م) و خلفه ابنه "فرنسوا الثالث" و لكنــه تعــرض لمؤامرة كلفته خسارة عرشه لمدة من الزمن في نفس العام الذي خلف فيه أباه ،حيــث ســلبه حكمــه "فرويلا" كونت "جليقية" و أجبره إلى اللجوء إلى "قشتالة" ، و لم يمر وقــت طويــل حــتى اســتعاد "ألفونسو" عرشه ،و هنا رأى ضرورة أن يشغل مناوئة سادة جُليقية بالصراع ضد المسلمين عبر الحدود الجنوبية المتاخمة لإقليم "إلبة" و "القلاع" [4] .

و في ظل هذه الظروف ،أصبحت الفرصة سانحة لأمير قرطبة لتضييق الخناق على عامل "أشتوريش" الجديد فقام بإرسال حملة بقيــادة ابنــه الحكــم برفقــة القائــد الآخــر "خالــد بــن خالــد" في عام(253هــ/867م) حيث توغل القائدان في إقليم "إلبة" و "القلاع" ،و مضوا إلى حصن "جرنيق" و فتحاه عنوة و استوليا على ما فيه و عادوا إلى قرطبة [5] .

---

[1] المركويز: هو الموضع المعروف باسم Hozde la Morcuera وهو هضبة يخترقها سلسلة من الجبال التي تشقها وديان عميقة وهذه الهضبة تقع على بعد 130كلم من بنبلونة Pampalona ،أنظر:ابن حيان،نفس المصدر،ص605،هامش519.

[2] ابن حيان ،نفس المصدر ، ص ص: 319-320 ،أيضا:ابن عذاري ، نفس المصدر ،ص ص 98-99 .

[3] ابن عذاري ، مصدر سابق،ج2 ،ص 99 .

[4] Lévi. P.histoire…p:320 .

[5] ابن حيان ، مصدر سابق تحقيق : محمود علي مكي ، ص ص:320ــ321 .

ورغم النجاح الذي حققه الأمير محمد ضد مملكة "أشتوريش" ،إلا أنه اضطر إلى تجميد حملاته نحـــو الشمال مدة عشر سنوات كاملة نظرا لظروف التمرد التي مزقت أرجاء الأندلس ،و تكاثر أهل الشقاق في كل ناحية فانصرف الأمير إلى احتواء هذا الاضطراب الداخلي الذي حاولت "أشتوريش" الإستفادة منه ،خاصة ثورة "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" الذي أعان "ألفونسو الثالث" و تحالف معه في أكثـــر من مرة ضد الإمارة.

ومع مطلع صيف عام (263هـ/877م) أرسل الأمير محمد حملة بقيادة ابنه المنذر رفقـــة القائـــد "الوليد بن غانم" إلى مملكة "أشتوريس" و هذا بغرض فض التحالف القائم بين "ألفونسو الثالث" و"عبد الرحمان بن مروان الجليقي" الذي تفرق عنه أصحابه بسبب ما نالهم من اليأس من الحروب المتتالية فلجأ إلى أعداء الإسلام[1] وخاطب ملك "أشتوريش" للنزول في بلاده فقبل"ألفونسو" العرض ليستغله فيما بعد لضرب المسلمين.

تقدم المنذر بجيشه إلى "ماردة" و من ثم واصل زحفه نحو قلعة "إستورقة" فبلغ جنوبها و عسكر بها و في هذه الأثناء وفد إلى قرطبة نحو سبعمائة جندي للالتحاق بقوات الأمير المتقدمـــة صـــوب مملكـــة "إشتوريش" غير أن هذه القوة الجديدة أخطأت الطريق ،مما جعل عبد الرحمان بن مـــروان الجليقـــي و حليفه "ألفونسو" يستغلان الفرصة و ينصبان لهـــا الكمـــائن ،و الإيقـــاع بهـــا في موضـــع يعـــرف بالبربرية،Polvoraria حيث أبيد الفرسان عن آخرهم [2]، رغم دفاعهم عن أنفسهم بشكل مستميت.

لم تُثنِ هذه الخسارة من عزيمة الأمير في الانتقـــام مـــن أعدائـــه ،إذ أرســـل في العـــام المـــوالي (264هـ/877م) حملة عسكرية بقيادة "البراء بن مالك" الذي اهتم بمحاربة المخـــالفين للإمـــارة في الشمال الأندلسي أكثر من اهتمامه بالهدف الرئيسي الذي انطلق من أجله ،و هو الهجوم علـــى مملكـــة "إشتوريش" ،حيث دخل إلى أطراف جليقية و تردد فيها أياما حتى أذهب نعيمهم [3] ،و يشير ابن الأثير إلى وقوع معركة هلك فيها الكثير من فرسان الفريقين [4] ،و إن كان ابن حيان قد مر عليها مرور الكرام دون أن يعطينا حقائق عنها إلا أن الحملة في الأخير لم تحقق مبتغاها الرئيسي بسبب ما ذكرنا من عوائق حالت دون وصول جيش المسلمين إلى قلب مملكة "إشتوريس" .

---

[1] ابن حيان ، نفس المصدر ،ص :382،أيضا:ابن عذاري ، نفس المصدر ،ص:103 .

[2] ابن حيان ، مصدر سابق، تحقيق:محمود علي مكي ،ص:384.

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق،ج2 ،ص 103 .

[4] ابن الأثير ،مصدر سابق ،ج6،ص279 .

وبدوره عزم "ألفونسو الثالث" على الرد سريعا على هاتين الحملتين ،فتظاهر في أول الأمـــر بغـــزوه لمدينة طليطلة ،و كان في جملة عسكره عبد الرحمان بن مروان الجليقي ،فخرجت تلك الجموع في صيف عام (266هـــ/880م) و ما إن عبرت قوات "ألفونسو" "وادي تاجة" ،حتى أمر "ألفونـــسو" قواتـــه بالتوجه نحو ماردة ،و قامت بالهجوم على حصن دوبل "Adobale" الواقع شرق مدينة بطليوس فسبت أهله وقتلت الكثير منهم [1].

اغتاظ "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" كثيرا لهذه الحادثة لأن الضحايا كانوا من أهـــل بلـــده و أغلبهم من بني جلدته و الذين طالما رفع لواء تحريرهم ،و رغم أن "ألفونسو" أحس بما كان يحزفي نفس حليفه عبد الرحمان فقام بمخاطبتة و الاعتذار منه لكي يقنعه بأن الحملة كانت ضرورية للقضاء علـــى الخطر المحدق بالحليفين ،إلا أن ابن مروان قرر الهروب و العـــودة إلى "بطليوس" ،فلجأ أولا إلى التحصن بجبل "إشبرغزة" كما ذكرنا سابقا لاتقاء خطر الإمارة ،فلما أعياه الأمير محمـــد بإرســـال الحمـــلات العسكرية ضده ،ركن إلى الطاعة ،و جرت بينه و بين الأمير مفاوضات ،تحصل بموجبها ابن مروان على حكم "بطليوس" و ما حولها .

و في المقابل بقي الأمير مصمما على الانتقام من "ألفونسو الثالث" ،و لأن التجارب الحربية البرية لم تكن ذات فائدة و لم تحقق أي نتائج بالنسبة لسلطات "قرطبة" ،فقد عزم الأمير محمد هذه المرة على غزو "إشتوريش" من ناحية البحر و بالضبط من جهة إقليم جليقية الذي يعد منطقة غير محصنة ،فأعد الأمـــير أُسطولا أبحر عبر الوادي الكبير بقيادة "عبد الملك بن عبد الله بن مُغيث" و حـــال وصـــول الأســـطول الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي فاجأته عاصفة بحرية دمرت مراكبه ،و غرق أكثر من فيهـــا ،و لم ينجُو إلا عدد قليل تمكنوا من العودة إلى قرطبة.[2]

حاول "ألفونسو الثالث" تقوية علاقاته مع جيرانه ،و نخص بالذكر أمراء "بنبلونة" حيـــث صـــاهر أحدهم و تزوج ابنته و هي التي أنجب منه أبناءه الذين خلفوه من بعد [3] و لذلك نجح "ألفونسو الثالث"

[1] ابن حيان ، نفس المصدر ،ص ص:395-396 .

[2] اين حيان ،مصدر سابق،تحقيق:محمود علي مكي،ص ص:398-399،أيضا:ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص ص:103-104

[3] عبد المحسن طه رمضان ،مرجع سابق ،ص 485 .

في كسب ود و تعاون "بنبلونة" ضد الأمير محمد ،و بدوره لم يقف الأمير محمد إزاء هاتــه الأوضـــاع موقف المتفرج ،بل ركز نشاطه الحربي في شمال الأندلس ضد بني قسي لمنعهم من الانضمام إلى الحلــف الجديد.

و قد ذكرنا فيما سبق و في العنصر الخاص بتحركات المولدين في شمال الأندلس إن "محمد بن لب" ثار على عمه "إسماعيل" و "فرتون" بسبب تعاونهما مع "ألفونسو الثالث" ضد الإمارة و في نفس الوقت لتحقيق مكاسب توسعية و القضاء على نفوذ "إبن لب" في الشمال ،و قد تزامن هذا مع إرسال الأمـــير محمد لحملة إلى الثغر الأعلى في سنة (268هــ/882م) اشترك فيها "محمد بن لب" و استطاعت هذه الحملة أن تترل هزيمة ساحقة بقوات إسماعيل و أخيه "فرتون" أجبرتهما على الرضوخ إلى الطاعة مقابــل تقديم بعض الرهائن كدليل على ذلك [1] ،و تابعت هاته الحملة تحركها نحو الشمال قاصدة "إشتوريس" عبر أراضي "إلبة" و "القلاع" في مهمة للقضاء على أي خطوة يتخذها "ألفونسو" للتحالف مع بني قسي من جديد.

وصلت القوات الأموية إلى إقليم "إلبة" و "القلاع" ،و بدأت في حصار القـــلاع الـــتي حـــصنها "ألفونسو" ،و أعدها لمواجهة أي خطر إسلامي من جنوب مملكته ،و نذكر من هذه القـــلاع :قلعـــة "كلُوريجو Cellorigo" الواقعة عند نهر "الإبرو" و قلعة "بانكُوربو Pancorbo" ،و بـــرغم ســـيطرة المسلمين على كثير من هاته القلاع ،و تدمير ما حولها من زروع إلا أنهم واجهوا مقاومة عنيفـــة مـــن طرف القوات المتحصنة بها ،و فقدوا الكثير من الجند ،و على الرغم من كل هذا فقد استطاع جـــيش الإمارة بلوغ مدينة "ليون Léon" التي كان "ألفونسو" متحصنا بها و منها عزم على مواجهـــة الجيوش الإسلامية المتقدمة [2] و فور وصول أنباء الاستعدادات التي اتخذها "ألفونسو" إلى مسامع الجيش الأمـــوي اضطر قائدي الجيش "المنذر" و "هاشم بن عبد العزيز" إلى تغيير رأيهما وآثرا عدم الالتحام مع قـــوات "ألفونسو" و اكتفيا بما حققاه من تخريب و تدمير لبلاد العدو ،و اضـــطر القائـــدان إلى الـــدخول في مفاوضات مع "ألفونسو" لأن القوة المتبقية من الجيش الأموي ،لم تكن كافية لتحقيق الانتصار بـــسبب طول المسافة و كثرة الاشتباكات مع الأعداء .

جرت المفاوضات بين الطرفين و تمحورت حول نقاط أساسية كان أهمها :

[1] العذري ،مصدر سابق ،ص ص:33-34 ،أيضا:ابن حيان ، نفس المصدر ،ص 399 ،ابن عذاري ،نفس المصدر ،ص105 .

[2] عبد المحسن طه رمضان ، مرجع سابق ،ص 488 .

-أن يعيد "ألفونسو الثالث" إلى القائد الأموي "هاشم بن عبد العزيز" ابنه "أبا القاسم " الذي كـــان لا يزال رهن الاعتقال عند "ألفونسو الثالث".

– أن يعيد "هاشم بن عبد العزيز" رهائن "إسماعيل بن موسى" إلى "ألفونسو الثالث" .

و لا شك في أن المستفيد من بنود هذه المعاهدة هو "ألفونسو الثالث" إذ استطاع تحريض "إسماعيـــل بن موسى" على نبذ طاعة الأمير محمد [1] ،و قد نجح "ألفونسو" في هذا المسعى ،إذ ما كادت قوات المنذر تبلغ "قرطبة" حتى تجدد الصراع بين "إسماعيل بن موسى" حليف "ألفونسو" و بين أخيه "محمد بن لب" الداخل في طاعة الأمير محمد ،و هذا ما تطرقنا إليه سابقا.

وحيث قام "محمد بن لب" بالإغارة على أملاك عمه إسماعيل ،و قام بالسيطرة عليها ،فقـــد رأى الأمير محمد في تعاظُم أمر هذا الثائر خطرا على مستقبل الثغر الأعلـــى فأرســـل إليـــه حملـــة ســـنة (270هــ/883م) للقضاء عليه و الحيلولة دون عقده تحالف مع "ألفونسو" ضد الإمارة و كانت هاته الحملة تحت إمرة "المنذر بن محمد" و القائد "هاشم بن عبد العزيز" ،و قد أحدث القائدان دمارا كـــبيرا بالثغر الأعلى ،فما كان على "محمد بن لب" إلا أن جنح إلى الطاعة ،و بذلك أسجل له الأمير على مدينة "تطيلة" و "طُرسونة" و شدد عليه الرقابة بأن نصب بني "تجيب" على "القلاع" المجاورة "لإبن لـــب" و عقد لهم كما يذكرالعذري و أجزى عليهم من المعارف لكل واحد عند كل غزاة مائة دينار.[2]

و بعد أن قضت الحملة على نفوذ "محمد بن لب" تقدمت مرة أخرى إلى إقليم "إلبة" و "القلاع" في محاولة للهجوم على "إشتوريش" ،و بلغ الجيش مرة أخرى مشارف مدينة "ليون" ،التي كان "ألفونسو" يتحصن بها في انتظار القوات الإسلامية ،و لأن المنذر أحس بعدم قدرته على مواجهة "ألفونسو" ،نظرا لنقص الإمدادات ،فقد اضطر إلى الانسحاب عبر طريق العودة ،و اكتفى بما حققه ضد العـــدو مـــن خسائر مادية ،و اضطر القائد الآخر "هاشم بن عبد العزيز" إلى سلوك طريق المفاوضات ،حيث خاطب الملك "ألفونسو" بذلك، فأرسل هذا الأخير مبعوثا إلى "قرطبة" في السادس من رجب سنة (270هـــ) الموافق للتاسع من جانفي سنة 884م حيث عقدت معاهدة بين الطرفين اتفق بموجبها على نقاط أساسية كانت بمثابة هدنة مؤقتة .

– وقف الأعمال العدوانية بين الطرفين لمدة معينة .

– التخلي عن تأييد أو إيواء الثوار المنشقين على أي منهما.

[1] نفسه ،ص490

[2] العذري ،مصدر سابق ،ص41 .

استمر هذا الوضع الذي ساده الهدوء إلى غاية وفاة الأمير محمد سنة (273هـــ/886م) حيــث تذكر المصادر أن جل أعمال "المنذر" بعد تسلم السلطة من أبيه كانت داخلية ،و كانت في معظمها ضد إمام الثوار "عمر بن حفصون".

خامسا – ثورة عبد الرحمان بن مروان الجليقي:

تعتبر ماردة من مدن الثغر الأدنى التي عرفت حركة تمرد كبيرة ،و قد تأخر بها الوقت أكثــر مــن "طليطلة" حتى تعلن مجددا عصيانها في وجه السلطة الأموية ،و ما كان هذا التمرد الــذي تم قمعــه في الحال على يد الأمير محمد أن يلقى صدى كبيرا لولا ظهور ابن "الجليقي" على المسرح السياسي بعــد مرور سبع سنوات على هروبه من قرطبة ،ليعلن عن نفسه كبطل للانفصال في غرب الأندلس[1] و على مدار السنين التي عمرتها مملكته كان الأمير محمد يوجه إليها جهودا كبيرة بصفة مستمرة، إلا أن خلفاءه من بعده و هما "المنذر" و "عبد الله" لم يُسعفهما الحظ في القضاء عليه ،إلى أن جاء الخليفة "عبد الرحمن الناصر لدين الله" الذي أزاح مملكة "الجليقي" من الوجود سنة (318هـ/930م).

و تكاد تتفق المصادر على أن عبد الرحمان بن مروان "الجليقي" ينتسب إلى أسرة من المولدين منبتها شمال البرتغال و استقرت منذ وقت طويل في "ماردة" و أما والده فهو "مروان بن يونس" الذي كــان يحكم منطقة "ماردة" من قبل "الأمير عبد الرحمان الثاني" ،و ظل كذلك حتى وثب عليه بعض جنوده و رجال إدارته و قتلوه سنة (213هـــ/828م)

وقد كان "مروان بن يونس الجليقي" شديد الإخلاص و الوفاء لسلطان قرطبة[2] و لاشك أن هــذا كان سببا في قتله من قبل رجاله ،و بعد وفاته خلفه على عرش المولدين في "ماردة" إبنه "عبد الرحمــان" الذي كان عكس أبيه، الشيء الذي جعله زعيم بني جلدته من المولدين في منطقة "ماردة".

ظل "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" في أوائل أيام الأمير محمد على صلة وثيقة به و علــى ولاء لدولته ،فأقام عند الأمير "محمد" ما يقرب من سبع سنوات ،و يصف ابن القوطية عبد الرحمان بقولــه «...كان من جملة الحشم...»[3] ، أي من الأتباع و المقربين من العائلة الأميرية ،و لكن "عبد الرحمان" لم يرق به الُمقام في قرطبة إذ فر منها و آثر مواصلة رفع لواء أجداده و مفضلا إياه على العيش السعيد في

---

[1] Lévi .P. histoire… p295.

[2] ليفي بروفنسال وآخرون،التمرد والثورة في الأندلس:بداية الانشقاقات لابن مروان الجليقي في إقليم ماردة،ترجمة:عبد الفتاح عوض ،فصول في تاريخ الأندلس ،ط1،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ،مصر ،2001 م ،ص:13.

[3] ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص:100.

كنف الإمارة ،و قد استغل "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" حادثة وقعت له مع الوزير "هاشم بن عبد العزيز" ،إذ أهانه أمام الملأ بأن قال له «...الكلب خير منك و أمر بصفع قفاه...» [1] الأمر الذي لم يتقبله و جعله يهرب مع أبنائه و جمع من أصحابه قاصدين "قلعة الحنش"[2] و تحصنوا بها ،و منها أشاعوا الفوضى و الاضطراب في كل مكان ،و من هذا الحصن بدؤوا حملة سلب و نهب كبيرة طالت كل موال للإمارة و أشاعوا الذعر و بثوا الرعب في نفوس الناس ،مما جعلهم يلجؤون إلى الأمير "محمد" بعـــد أن اختل صمام الأمن في بلادهم. [3]

انضم إلى "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" ثائران جديدان هما "مكحول بن عمر" و "سعدون بـــن غار" المعروف "بالسرنباقي" و كان شبيه "عبد الرحمان" في «...الشجاعة و الشر كان المولدون يُغلون فيه و يقولون إنما هو السرور الباقي...» [4]على حد تعبير ابن حيان، وفي خضم هذه الأحداث تعاضم أمر هذا الثائر فقرر الأمير "محمد" القضاء على هاته الفوضى ،فجهز حملة بقيادة إبنه "المنذر" برفقة الـــوزير "هاشم بن عبد العزيز" ، و الظاهر أن هاته الحملة لم تكن بالمستوى التنظيمي اللائق الذي يجعلها تحقـــق الغرض المنشود ،الأمر الذي سهل على "الجليقي" و حليفه "السرنباقي" القبض على الوزير "هاشم بـــن عبد العزيز" و قتل خمسين رجلا من أشراف جنده ،و هكذا بعث الثوار بهاشم إلى ملك "الجلالقـــة"،و كاد الوزيرأن يهلك لولا أن «...فدى نفسه منه بعد مدة بمائة و خمسين ألف دينار دراهم...»[5]كمـــا ذكر إبن حيان

وفي السنة نفسها التي أسر فيها "هاشم" أي سنة (261هـــ/875م) قرر الأمير الخروج بنفسه إلى

[1] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص:102.

[2] قلعة الحنش:Alanje تقع شرق ماردة على بعد20كلم منها،أنظر:ابن حيان،مصدر سابق،تحقيق:محمود علي مكي ، ص :632 هامش رقم:578

[3] سحر السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ بطليوس الإسلامية و غرب الأندلس في العصر الإسلامي ،ج1،التاريخ السياسي ،مؤسسة شباب الجامعة (ب ت ن) ص: 249 .

[4] ابن حيان ، مصدر سابق،تحقيق:محمود علي مكي ،ص :343.

[5] نفسه ،ص143 -Lévi. P.op.cit:p p:297-298 .

"عبد الرحمان بن مروان الجليقي" الذي كان متحصنا بقلعة "الحنش"،حيث ذكر ابن حيان أن الأمـــير حاصره «...حصارا قطعه و ضيق عليه مدة من ثلاثة أشهر ألجأه فيها إلى أكل الدواب و قطع عنه الماء و رماه بالمجانيق حتى أذعن و طلب الأمان...» [1] ،فكان له ذلك من طرف الأمير ،و قد شكى "الجليقي" إلى الأمير ضيق الحال ،فما كان على الأمير إلا أن دفع به الى"بطليوس" التي كانت مجرد قرية صغيرة فقام الجليقي ببنائها و تعميرها و الاستقرار بها مقابل تقديم بعض الرهائن للأمير ليقوم هذا الأخـــير باختبـــار طاعته .

و مع استقرار "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" في "بطليوس" تبدأ مرحلة جديدة مع هذا الثـــائر الذي تظاهر بالإخلاص و الطاعة ،مع أن الأمير محمد كان يشكك في نوايا هذا المتمرد ،الـــذي كـــان شديد الاحتراس بدس جواسيسه إلى قرطبة [2] و يتحين الفرصة المُواتية للانقضاض على الإمارة و العودة إلى سابق عهده.

تمكن "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" خلال إقامته في "بطليوس" من الاستيلاء علـــى بعـــض المناطق المجاورة له و عاد إلى غيِه و عصيانه، فأخرج إليه الأمير حملة بقيادة ابنه "المنذر" و القائد "هاشم بن عبد العـــزيز" و حين سمـــاع "ابن الجليقي" بأخـــبار هاته الحملة آثر الخـــروج مـــن "بطليـــوس" قاصدا حصن

"مِنتشلوط" [3] و عند دخول جيوش الإمارة إلى "بطليوس" ألفوها خالية فواصل "هاشم" المسير بالجيش لتعقب ابن الجليقي ،و في الطريق أوقع جيش الإمارة بكل من اشتبه في تعاونه مع عدو الإمارة و في هذه الأثناء اغتنم جيش الإمارة خروج "ابن الجليقي" مع جماعة من أصحابه للتزود بالأقوات ،فتعقبه جـــيش الإمارة ،و لحسن حظه أن "ابن مكحول" حليفه اعترض طريق الحملة و لكنه رُد على أعقابه فهزم شـــر هزيمة و قطع رأسه ،فوقع خبره على "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" كالصاعقة ،فبادر "الجليقي"- و

[1] ابن عذاري ، مصدر سابق، ج2،ص:102 .

[2] ابن حيان ، نفس المصدر ،ص 356 .

[3] حصن "المنتشلوط" :بالاسبانيةMonte Saludويعتقد الباحث"كوديرا" أن موقعه الآن قرب بلدة "نقالش"Nogalesجنـــوب بطليوس على بعد50كلم منها،أنظر:ابن حيان، مصدر سابق،تحقيق:محمود علي مكي ،ص638،هامش رقم:589 .

كتعويض لخسارة حليفه- إلى الاتصال "بالسرنباقي" و عقد تحالفا معه ضد الإمارة و خوفا من المــصير المجهول الذي أصبح فيه "إبن الجليقي" قصد حصن "كركر" [1] للاحتماء به و استعادة أنفاسه من جديد.

و ما إن علم القائد "هاشم بن عبد العزيز" بوجهة "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" حتى بادر إلى قطع الطريق أمامه و محاصرته في حصن "كركر" ،الأمر الذي أدى بقطع كل سبيل على "ابن الجليقي" الذي اضطر رجاله إلى أكل الدواب ،و رغم هذا فقد استطاع جنده الإيقاع ببعض جند الإمارة و منهم أحد المقدمين العرفاء عند الأمير محمد و هو "فرحون العريف"[2]

وفور وصول خبر الحصار إلى "سعدون السرنباقي" تحرك لإنقاذ حليفه "ابن الجليقي" و قام في طريقه بتخريب بعض المدن و الحصون الموالية لسلطان "قرطبة" و منها "قلمرية" فأرســل أهلــها إلى القائــد "هاشم" يعلمونه بذلك و يحرضونه على قتال "السرنباقي" ،فتحرك إليه القائد "هاشم" في جملة من جند الإمارة و اشتبك معه في معركة عنيفة ،و كان ذلك في الثاني عشر من شوال (262هـــــ/ 876م)،و بدون أن نطيل في تفاصيل المعركة ،فقد انتهت بأسر القائد "هاشم بن عبد العزيز" و مقتل جماعة كبيرة من أصحابه ،و قد تأسف الأمير محمد لهاته الواقعة و أسر القائد "هاشم" و جعله يُلقي اللوم على قائده و يقول إن هذا «...أمر جناه على نفسه بطيشه و عجلته...» [3] ، و بالفعل فقد أخطأ القائد حينما تحرك إلى "السرنباقي" لأن خطة هذا الأخير كانت محكمة ،ولا تستبعد حدوث تفاهم بــين الحلــيفين"ابــن الجليقي"و"السرنباقي" في هذا الأمر من أجل تشتيت قوة الإمارة ليسهل عليهما في الأخيرالقبض عــلى القائد الأموي و إعادته ثانية إلى رهن الإعتقال.

و لما ترامت أخبار "هاشم" إلى مسامع "المنذر بن الأمير محمد" شدد الحصار على حصن "كركر" انتقاما من أهله الذين بسببهم أضحت الإمارة في كارثة حقيقية ،و في هذه الأثناء بعث "السرنباقي" إلى المنذر يوهمه بالتفاوض في أمر "هاشم" لكي يرفع المنذر الخناق على الحصن المذكور فقبل المنذر بـــالأمر ووعد حليف "الجليقي" بالأمان ،و لكن "السرنباقي" سلم رهينته إلى "عبد الرحمان بن مروان الجليقــي" الذي يذكر ابن عذاري أنه أكرمه و أحسن إليه و لم يعاقبه بما فعله معه[4] .

---

[1] حصن "كركر":يعتقد "كوديرا" ان مدينة "كركر"هي المعروفة اليوم باسمAlburquerqueوهي مركز تابع لبطليوس وتقع على بعد22كلم منها،أنظر:ابن حيان،نفس المصدر،ص645هامش رقم597.

[2] ابن حيان ، نفس المصدر ،ص368.

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص:103،أيضا: ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص101 ،ابن الخطيب ،أعمال الأعلام...،ص21 .

[4] ابن عذاري ، مصدر سابق ،ص103 .

و يبدو أن "السرنباقي" أدرك جسامة الخطأ الذي وقع فيه حين سلم رهينته إلى ابـــن "الجليقـــي" خاصة و أن "السرنباقي" كان عليه تسليم "هاشم" إلى "أذفونش" ملك "جليقية" ،لذا فكر في الأمر جيدا و حاول التفاوض من جديد مع "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" حول مصير "هاشـــم" فقـــام "عبـــد الرحمان بن مروان الجليقي" بإعادته إلى "السرنباقي" الذي سلمه بدوره إلى "أذفونش" ملك جليقية ،فقام هذا الأخير بإكرامه و الإحسان إليه نظرا لما وقف عليه من «...براعته و حلاوة شمائله...و آثر الخلوة به فقلما كان يعقد لأهل مملكته أو لطعامه و شرابه إلا و معه هاشم... »[1]حسب ما ذكره ابن عذاري.

و مع مطلع الأيام الأولى من سنة (263هـ/876م) و كتصميم منه للإطاحة بالإمـــارة الأمويـــة واستغلال فرصة اعتقال قائد الجيش الأموي استولى "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" على حصن منيع بجبل "أماية" [2]، بث إبن الجليقي من هذا الحصن غاراته على المناطق المجاورة و اتبع خطة انتقامية أساسها السلب و النهب و ترويع المخالفين له و الموالين لسلطان "قرطبة" ،وكان هذا سببا في تشتت جمع غفير من أصحابه الذين سئموا مثل هذه التصرفات [3].

بحث "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" عن وجهة أخرى تعوضه ما فقد من أنصار و دعم مشروعه التحرري ،فعمل على الاتصال بـــ"أذفونش Alfonso" ملك "جليقية" الذي كما ذكر ابن حيان رحب به و تقبل رغبته ،حيث تقدم "ابن الجليقي" في خاصته للقاء الملك "أذفونش" فأدناه هذا الأخير و رحب به و بسط أمله فيه و قال له «...ذلك بلدي أنزل فيه حيث شئت و توسع منه و قـــومك حيثما أحببت و اختار له حصن "بطرلسة"[4] فنزل "ابن مروان" فيه و مـــن معـــه و انبـــسط في عمـــارة مـــا حوله...»[5]ومن هذا الحصن الذي أمده به الملك "ألفونسو" واصل "عبد الرحمان بن مـــروان الجليقـــي" غاراته جنوبا على بلاد المسلمين و قد حلت بهم مصيبة عظيمة فهي «...الوقيعة المعروفة هناك بالبربرية إلى اليوم...»[6] .

---

[1] ابن حيان ،مصدر سابق ،تحقيق :محمود علي مكي ،ص ص:379-380 .

[2] أمايةAmaya:هي الآن قرية صغيرة من أعمال مدينة برغشBurgos،أنظر:ابن حيان نفس المصدر،ص:650،هامش:606 .

[3] ابن حيان ، نفس المصدر،ص381 .

[4] حصن بطرلسة :تنطبق هذه التسمية على الموضع الذي يعرف حاليا باسم"لابادراحاLa Pedraja"وهي تقع على بعد نحو 20كلم من بلد الوليد،أنظر:ابن حيان، مصدر سابق ،تحقيق :محمود علي مكي ،ص655،هامش:615.

[5] ابن حيان ،نفس المصدر :ص 383. Gabriel Martinez-Gros .identité Andalouse .Sinbad acte sud .1997.p:233.

[6] ابن حيان ،نفس المصدر ، ص 384 .

و بعد مُضي ما يقرب من نحو سنتين أطلق سراح القائد الأموي "هاشم بن عبد العزيز" من الأسر أي في سنة (264هــ/877م) ،فسر الأمير "محمد" بهذا سرورا كبيرا «...و لم يبــده لحــسدته مــن أصحابه و أعاده إلى حاله في عدادهم بإقراره له في خطته...»[1] و كان الأمير "محمد" هو الذي دفع فدية قائده و المقدرة بمائة و خمسين ألف دينار[2] ،ليعود بذلك القائد "هاشم" إلى منــصبه ووضــعه الأول و يواصل حملاته ضد المتمردين في نواحي شتى من الأندلس.

و حدث أن انفض الحلف الذي كان قد عقد بين " ألفونسو الثالث " ملك "جليقية" و "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" و يعود ذلك إلى ما قام به "ألفونسو الثالث" في إحدى حملاته على بلاد المسلمين و كان "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" من بين جند الحملة إذ أوهم "ألفونسو" حليفه "ابن الجليقي" بأنه سيقصد "طليطلة" للإغارة عليها ،و لكنه غير وجهته نحو حصن "دوبل"[3] القريب من مدينة "بطليوس" و كان يتحصن به جمع من المولدين و غيرهم ،فهجم عليه "ألفونسو" بقواته «...فسبى أهله و قتل خلقا كثيرا من المسلمين...»[4] الأمر الذي اغتاظ له كثيرا "عبد الرحمن بن مروان الجليقي" و جعلــه يفــض حلفه مع "ألفونسو" و يقصد مدينة "بطليوس" التي بناها بنفسه و عمرها .

و بقي الثائر "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" ما يقرب من أربع سنوات متــوقفا عن الغزو،و قضى فترة انتقالية لم يمارس فيها أي نشاط عدائي ضد الإمارة الأموية ،و الدليل على ذلــك أنــه لم يــرد في المصادر العربية أي ذكر لنشاطه الحربي حتى سنة (271هــ/884م) و التي بدأ يلمع فيها من جديــد إماما للنفاق و الشقاق[5] .

و بعد عودته إلى بطليوس التي بناها و عمرها بنفسه استأنف ما كان قد توقف عنه من الغــارات إلى المناطق المجاورة ،و ساعده في ذلك ظهور متمرد جديد في الجنوب الأندلسي ،و هو "عمر حفصون" فاستغل "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" الفرصة لكي يقوي من شوكته و يبسط من نفوذه على معظم أرجاء الغرب الأندلسي.

[1] نفسه ،ص ص:386-387.

[2] ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص101.

[3] حصن دوبل:قرية صغيرة من اعمال بطليوس وتعرف حاليا باسم"los adobales"،أنظر:ابن حيان، نفس المصدر ، ص671 هامش627

[4] ابن حيان ،نفس المصدر ،ص 396.

[5] سحر السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ بطليوس ....،ص 277 .

تحصن الثائر "ابن الجليقي" بحصن "إشبرغزة" [1] ،و منه جدد غاراته على المناطق المجاورة له ،فأرسل إليه الأمير محمد سنة (271هــ/884م) ابنه "المنذر" على رأس حملة كبيرة قصدت مدينة "بطليوس" أولا فلم يلق بها "المنذر" أحدا فقام بتدميرها و حرقها[2] ،و في العام التالي خرج القائد "هاشم بن عبــد العزيز" إلى حصن "إشبرغزة" مصمما على الانتقام من "عبد الرحمان بن مروان" على ما ألحقه به من إهانة ،فقصد الحصن الذي كان به ،فنازله و حاربه [3] و لكنه لم يستطع القضاء عليه نظرا لمنعــة هــذا الحصن .

ظل الثائر "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" على عادته يمارس حياة السلب و النهب انطلاقــا مــن مدينته "بطليوس" التي أعاد بناءها ،و اتخذ منها أبهة لملكه و زينها بالمباني و القصور، و جعلــها قلعــة حصينة ينطلق منها في أعماله الحربية المختلفة صوب عاصمة الإمارة الأموية "قرطبة" ، واستمر الأمــر على هذه الحال إلى أن اعتلى الأمير "عبد الله" عرش الإمارة الأموية التي أصابها التمزق ،و نظــرا لهــذه الظروف فقد اضطر الأمير الجديد إلى الاعتراف "بابن الجليقي" و أسجل له على "بطليوس" حيث يذكر "ابن حيان" في حوادث سنة (275هــ/888م) أنه في هذه السنة إستدعى الأمــير "عبــد الله" "ابــن الجليقي" صاحب بطليوس و جدد له «...الإسجال على ما بيده منها و من ذواتها و ذكر إستمساكه بالطاعة...»[4]

و رغم صنيع الأمير مع "ابن الجليقي" إلا أن هذا الأخير نكث الطاعة و عاد إلى سالف عهــده و سنتطرق إلى هذا بالتفصيل في الفصل الثالث بحول الله .

سادسا – بداية ثورة عمر بن حفصون في الجنوب الأندلسي:

بعد حوالي ثمانية و عشرين عاما على اعتلاء الأمير "محمد" عرش الإمارة الأموية ظهرت بوادر تمرد جديد في المناطق الجبلية من الجنوب الأندلسي ،و كان معظم من حمل لواء هذا التمرد من المولدين ،و قد رأوا أن الفرصة مواتية للإطاحة بالإمارة الأموية خاصة بعد وصول الأنباء عن أسر القائد الأموي "هاشم بن عبد العزيز" من طرف "عبد الرحمان بن مروان الجليقي" و أتباعه،و في ظل هاته الأحــداث تطلــع الناقمون على الإمارة في الجنوب الأندلسي إلى الرجل المناسب الذي يتميز بالشجاعة و حسن الطالعة

[1] إشبرغزة:هذا الحصن قريب من بطليوس ويقع بين وادي آنة والمعدن،أنظر:عبد الفتاح عوض،مرجع سابق،ص72،هامش رقم(6)

[2] ابن الأثير ،مصدر سابق ،ج6،ص343 .

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص105 .

[4] ابن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ،ص53 .

فيعمل على تحريض المُنشقين ضد العرب في الأندلس ،و قد كان لهم ذلك في شخص عمر بن حفصون الذي جمع شمل المولدين و حمل لواء تحريرهم إبتداءا من سنة (267هـ/880م).[1] و "ابن حفـصون" هو "عمر بن حفص" المعروف "بحفصون بن جعفر بن شتيم بن ذبيان ابن فرغلوش بن أذفونش" من مسالمة الذمة من "كورة تاكرنا" من عمل "رندة"[2] ، و كان الذي أسلم منهم "جعفر بن شتيم" ،فنـشأ نسله في الإسلام ،و كان له من الولد الذكور "عمر" و "عبد الرحمان" ،فولد "عمر بن جعفر حفـصا" وولد "حفصون" هذا "عمر"،والذي تصفه المصادر العربية بأشنع النعوت ومنها المارق ،الخبيث ،إمام الشر،جرثومة الضلال...الخ[3] ،و قد انتقد الدكتور "إبراهيم القادري بوتشيش" المـؤرخين المـسلمين و أعاب عليهم إطلاق هذه النعوت على شخص "إبن حفصون" و رأى أن هاته الصورة المشوهة في حاجة إلى إعادة النظر في مختلف النصوص التاريخية التي أشارت إلى ذلك ،و هذا انطلاقا من ربط الحركة الحفصونية بالظرفية الاقتصادية و الاجتماعية التي أفرزتها ،و ما خلفته تلك الظرفية من تأثير واضح المعالم على المجالات السياسية و غيرها [4]، لأنها في رأيه تمثل رد فعل صادق على الإقطاع العربي الـذي كان سائدا في الأندلس على يد الأمويين، و هو الذي سبب كما يقول الكاتب ردود فعل شعبية قاد لواءهـا زعيم الجنوب الأندلسي "عمر بن حفصون".

عاصر "عمر بن حفصون" أربعة من أمراء بني أمية و ألحق بجيوشهم هزائم متتالية عبر أكثر مـن ثلاثين سنة من التمرد و العصيان ،و لم يستطع أحد منـهم القـضاء عليـه بـدليل أنـه تـوفي في سنة(305هـ/918م) وفاة طبيعية ،و لقد تردى الوضع الأمني بصورة خطيرة في عهد الأمير "محمد بن عبد الرحمان" ،مما كان سببا في ظهور متمردين جدد انظموا إلى حركة العصيان التي تزعمها "بنو قسي" في الثغر الأعلى و كذا أهل طليطلة في الثغر الأوسط و "بنو الجليقي" في غرب الأندلس ،و ما هـي إلا سنوات قلائل حتى ظهر زعيم آخر للمولدين في الجنوب الأندلسي هو "عمر بن حفصون" ،ليُضاف إلى قائمة الثوار الذين سخروا كل إمكاناتهم للإطاحة بالإمارة الأموية.

---

[1] Lévi .P.histoire…,p:300.

[2] رندة Ronda: من مدن تاكرنا وهي مدينة قديمة،بها آثار كثيرة،وهي علـى نهـر ينـسب إليهـا...،أنظـر:الحميري،مـصدر سابق،ص269

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص106،أيضا:الحميدي ،مصدر سابق :تحقيق :إبـراهيم الأبيـاري ،ص 476،رقـم الترجمـة :687،ابن الخطيب ،أعمال الأعلام ...،ص31،ابن عبد الله بن عسكر و أبي بكر بن خميس،أعلام مالقة ،تقديم و تخريج :عبـد الله المرابط الترغي ،ط1،بيروت ،دار الغرب الإسلامي ،1420هـ/1999م ص325 .

[4] إبراهيم القادري بوتشيش ،الإسلام السري في المغرب العربي ،ط1،دار سينا للنشر القاهرة ،1995م،ص ص:93-100 .

و إستطاع "ابن حفصون" بفضل حنكته و ميوله العدائي تجاه سلطان "قرطبة" أن يجذب إليه عددا لا يحصى من الأتباع خاصة من "المولدين" ،و بفضل هؤلاء جسد مقاومة كبيرة ،وقف خلالها عدة عُشريات في وجه السلطة الأموية ،و بسط نفوذه على مناطق كثيرة امتدت حتى "الجزيرة الخـــضراء" و أنزل هزائم متتالية بعمال الإمارة في معظم أنحاء الجنوب الأندلسي[1].

تطرق المؤرخ الأندلسي "ابن القوطية" إلى حياة "عمر بن حفصون" بالتفصيل و ذكر أسباب ثورته على النظام الأموي ،بقوله أن عامل "كورة رية" ضربه بالسياط جراء ما فعله حيث «...قتل أحد جيرانه على سبب يسير دافعه عنه...»[2] ،و على اثر هذه الحادثة فر "ابن حفصون" من الأندلس خوفا علـــى حياته ،فقصد مدينة تاهرت في المغرب الأوسط ،فصار فيها عند رجل من الخياطين ،كان أصـــله مـــن منطقة "رية" ،فعمل عنده في مجال الحياكة .

وقد ذكر إبن القوطية أنه بينما كان "عمر بن حفصون" جالسا مع شيخه في الحانوت إذ دخـــل عليهما رجل يحمل معه ثوب يريد قطعه ،فقام إليه صاحب المحل ووضع له كرسيا ليجلس عليه ،فسمع الرجل كلام "ابن حفصون" ،فأنكره عند الخياط ،فسأل الرجل صاحب المحل قائلا «...من هذا؟ فقال: غلام من جيراني "برية" أتى ليخيط عندي ،فالتفت الشيخ إليه و قال له :متى عهدك "برية" ؟ قال له :منذ أربعين يوما ،قال:تعرف جبل "ببشتر" ؟فقال له أنا ساكن عند أصله ،قال له الـــشيخ فيـــه حركـــة ؟ قال:لا...ثم قال له :هل تعرف فيما يجاوره رجلا يقال له "ابن حفصون" ؟فذعر من قوله ،وأخذ الشيخ ينظر إليه...و قال له: يا منحوس تحارب الفقر بإبرة ،ارجع إلى بلدك فأنت صاحب بني أمية ،و سيلقون منك غيا وستملك ملكا عظيما[3]» و يبدو أن المصادر التاريخية العربية لم تعلق على كيفية تعرف الشيخ على "ابن حفصون" و تركت الخبر مبهما في شكل حكاية خرافية ،إلا أن أحد الدارســـين الأوروبـــيين ذكر أن الشيخ تعرف على "ابن حفصون" من خلال أحد أسنانه التي كانت مكسورة.[4]

وفور سماع "ابن حفصون" لكلام الشيخ قام من مكانه خائفا مذعورا ،و حمل معه خبزتين ألقاهما في كمه ،و خرج عائدا إلى الأندلس سنة (267هــ/880م) في سرية تامة لكي لا يكشف أمره من طرف

---

[1] Dominique et Janine Sourdel.op.cit.p:365.

[2] ابن الخطيب ،الإحاطة...،ج4،ص:39.

[3] ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص ص:103-104. Lévi.P.histoire…,p302 .

[4] Claudio Sanchez Albornoz. L'Espagne Musulmane.traduction: Claude Faraggi. opu pub lu sud, 1985, p186.

السلطات الحاكمة ،و هذا يؤيد بصورة واضحة مدى التعاون الايجابي و العلاقات الودية الــتي كانــت قائمة بين "تاهرت" و "قرطبة"[1] .

و بعودة "ابن حفصون" إلى الأندلس بدأ في تطبيق وصية الشيخ الذي تنبأ له بالملك ،إذ رفع لــواء العصيان و عاش مستقلا في الجنوب الأندلسي ،و أصبح رئيس عصابة صغيرة ،و اتخذ من حصن "ببشتر" ملجأ له و لأصحابه ،و هو حصن يصعب الوصول إليه و منه شن هجوماته ضد عاصمة الإمارة "قرطبة" و قد عانت الأندلس من ويلات ثوراته التي فاقت الربع قرن [2] .

لقد ترددت رواية "ابن القوطية" على ألسن الكثير من مؤرخي الأنــدلس و إذا تمعنــا في مــدى صحتها ،فلا بد أن الشيخ كان على علم مسبق بشخصية الثائر "عمر بن حفصون" و التي تتميز بــروح عدوانية كبيرة ،و بذلك أراد الشيخ ،دفعه إلى الجنوب الأندلسي و هذا رغبة في الثورة على "بني أمية".

كانت أجواء الأندلس آنذاك مشحونة ،خاصة في إقليمي "رية" و "تاكرنا" مما صعب على حكومة "قرطبة" وضع حد لأعمال السلب و النهب التي كان يمارسها قطاع الطرق ،فاستغل "ابن حفصون" هذه الوضعية أحسن استغلال ،فعمل على تنمية قوته بمن ينظم إليه من الرجال من مختلف الطوائف التي أنهكها عمال الإمارة بجمع الضرائب منهم بالقوة ،إضافة إلى الفارين من جيش الإمارة و الذين كانــت لهم خبرة كبيرة في مجال الحروب .

كان أول إنجاز حققه "ابن حفصون" ضد الإمارة انتصاره في سنة (267هـــ/880م) على العامل الأموي على كورة "رية" "عامر بن عامر" ،حيث أجبر إمارة قرطبة على استبداله بعامل آخر و هو "عبد العزيز بن عباس" ،و كان هذا الانتصار سببا في جلب الكثير من أهل الشر و الفساد إلى صفوف "ابــن حفصون"[3]، و بمرور الأيام عزم "ابن حفصون" و أتباعه على تحويل تنظيمهم من عصابة سلب و نهــب إلى حركة تدافع عن مبادئ تحررية من قيود الإمارة ،حيث لجأ إليه الكثير و أصبح أنصاره و أمواله في

---

[1] عبد العزيز فيلالي ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب ،ط2،دار الفجر للنشر و التوزيــع ،القــاهرة ،1999م ،ص ص108-109 .

[2] Henri Terrasse, Islam d'Espagne :une rencontre de l'orient et de l'occident .libraire plon .Paris.1958.P57.

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص104 .

-Miguel Moraita, historia de Espana:de sde los tiempos antehistoricos hosta nuestros dias,biblioteca ilustrada;Marid,1886.p974

تزايد الشيء الذي جعله يقوي حصنه "ببشتر" ،و يكثف الغارات نحو المناطق و المدن المجاورة له و الموالية لسلطان "قرطبة".

و بتعاظم أمر هذا المتمرد ،قرر محمد إرسال حملة سنة (270هــ/883م) بقيادة وزيره "هاشم بن عبد العزيز" ،فخرج هذا الأخير من "قرطبة" قاصدا حصن "ببشتر" ،فضرب عليه حصارا شديدا و أرغم "عمر بن حفصون" و أتباعه على الاستسلام ،و حملهم إلى "قرطبة" [1] حيث أحلهم الأمير في ضيافته و منحهم الرعاية الكاملة ،و زاد على ذلك بأن أشرك "ابن حفصون" في حملات الجيش الأموي في أكثـــر من مناسبة و قد أظهر "ابن حفصون" براعة كبيرة في القتال.

و رغم أن "ابن حفصون" قد حظي برعاية كبيرة في عاصمة الإمارة إلا أنـــه كـــان يتعـــرض لمضايقات كبيرة من طرف والي قرطبة "محمد بن وليد بن غانم" الذي كان شديد الكره للوزير "هاشم بن عبد العزيز" و أتباعه، الأمر الذي جعل "ابن حفصون" يفكر في الهرب و العودة إلى حصنه و نـــصرة قضيته

وبحلول سنة (272هــ/884م) نجح "ابن حفصون" في الهرب من"قرطبة" مع بعض رجالـــه مـــن "المولدين" و"المستعربين" و قصدوا معقلهم "ببشتر" ،فوجدوا به رجلا متحصنا به يقال له "التجـــوبي" ،فأجبره "ابن حفصون" وأتباعه على الفرار من الحصن ،و لم يتمكن "التجوبي" حتى من إنقاذ زوجتـــه ،فظفر بها "ابن حفصون" و تزوجها[2].

استأنف "ابن حفصون" مسيرته الأولى بعد عودته إلى حصنه "ببشتر" ،و انضم إليه أتباع جدد رأوا فيه الزعيم الحقيقي الذي يخلصهم من تعسف الإمارة و يحقق استقلالهم ،و قرر "ابن حفصون" تأســيس إمارة مستقلة على شاكلة الإمـــارة التي أسسها "عبد الرحمان بن مـــروان الجليقي" في غرب الأندلس فاستولى على "أرشذونة" و كل الحصون المجاورة لها مثل حصن "أُوطة و قُمارش" و امتد نفوذه حتى بلغ "الجزيرة الخضراء" ،حيث ذكر ابن عذاري أن ابن حفصون أخذ«... من الأموال مـــا لا يوصــف...و اتفق له زمان هرج و قلوب قاسية فاسدة و نفوس خبيثة مُتطلعة الى الشر مشرئبة إلى الفتنة ،فلما ثـــار وجد من الناس انقيادا و قبولا للمشاكلة و الموافقة...»[3]

[1] ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون....،ج4،ص:170 .

[2] ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص:105 .

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص144،أيضا:كمال السيد أبو مصطفى،بحوث...ص132 .

و بدوره لم يتأخر الأمير "محمد" على هذا الانفلات المفاجئ من طرف "ابن حفصون" ففـــي ســـنة (273هـــ/886م) انتدب ابنه "المنذر" برفقة القائد "محمد بن جهُور" لتأديب هذا الثائر الـــذي كـــان معتصما مع حليفه "الحارث بن حمدون" في مدينة "الحامة" ،فحاصر "المنذر" الثوار حتى نفذت علـــيهم المؤن فبادروا بالخروج للقتال ،فجرت معركة قوية تمكن من خلالها جيش الإمارة من القضاء على الكثير منهم و كان من بين القتلى "الحارث بن حمدون" و أُصيب "ابن حفصون" في هاته المعركة بجـــراح أدت إلى شلل يده [1]

تمكن "المنذر" من الانتصار في هاته المعركة ،و سر بذلك سرورا كبيرا و لكن هاته الفرحة لم تكتمل إذ وردت إليه أخبار وفاة والده الأمير "محمد" ،فكر مسرعا إلى العاصمة "قرطبة" لخلافة كرسي أبيه ،و بذلك تمت له البيعة دون عناء فور وصوله إلى دار خلافة المر وانيين "بقرطبة" و كان ذلك يوم الأحـــد لثمان خلون من ربيع الأول سنة (273هـــ/886م) و هو إذ ذاك ابن أربع وأربعين سنة [2]

وعلى الرغم من التمزق السياسي الذي أصاب الأندلس في عهد الأمير "محمد" إلا أن هذا الأخير كان أحسن الناس تمييزا و أبصرهم بوجه الرأي ،و كان محبوبا ، و لم تكن علاقته وقفا على أمر المسلمين ،بل نراها تمتد إلى الإمارات المسيحية المجاورة و غيرها ،و بموته خرقت هيبة الإمارة و انتشرت نيران الفتنة في ربوع الأندلس[3].

كان على "المنذر" القائد القوي و الأمير الجديد للأندلس أن يُواصل مسيرة سلفه في القضاء علـــى حركة التمرد و العصيان ،و كم كانت المهمة صعبة في أيامه ،فقد انتشرت الثورات في كل ناحيـــة ،و تمزقت وحدة الأندلس ،فسخر لها الأمير الجديد كل ما يملك من جهد لمدة قاربت الثلاثـــة و العـــشرين شهرا كانت كلها عناء.

أ-ابن حفصون في عهد المنذر:

توفي الأمير "محمد بن عبد الرحمان" بعد حكم فاق الثلاثين سنة ،و ترك لابنه "المنذر" تراثا ثقـــيلا على الرغم من المجهودات التي بذلها لإخماد الفتنة في الأندلس ،وبدى الأمير الجديد مصمما على القضاء على الحركات الانفصالية بكل عزم ،و لكن التمزق السياسي كان قد بلغ مداه ،و بلغت قـــوة "ابـــن حفصون" أقصاها و شكل أكبر الهواجس في وجه الإمارة ،و إستترفت حروبه خزينة البلاد ،و تناقصت

[1] ابن عذاري ،نفس المصدر ،ص:106 .

[2] نفسه ،ص:113 .

[3] قصي الحسين ،موسوعة الحضارة الإسلامية :العصر الأندلسي ،ط1،دار مكتبة الهلال ،بيروت ،2005م،ص132 .

أموالها بفعل انفصال الكثير من الأقاليم عن تأدية الجباية في عهد الأمير "محمد" ،و بهذا تقلص سـلطان "قرطبة" بحيث أصبح لا يجاوز حدودها.

على أن الأمير "المنذر" بعد إعتلائه هرم السلطة رأى ضرورة إحداث بعض التغييرات على جهازه الإداري ،فعمل على إقصاء بعض وُزراء والده فعزل عن القضاء "سُليمان بن أسود البلـوطي" و عـين مكانه "معاوية بن زياد اللخمي" ،و أعاد "تمام بن علقمة" و "محمد بن جهور" إلى الوزارة ،و ما يعـاب عن الأمير "المنذر" ما فعله بوزير والده "هاشم بن عبد العزيز" حيث نكب به بسبب نصح أسـداه لـه فاستغل المنذر بعض الوشايات ضد "هاشم" فقبض عليه و أودعه السجن مع بعض أفراد أسرته ثم قتله و صادر أمواله.

و بينما كان الأمير "المنذر" منشغلا بترتيبات دولته،كان "إبن حفصون" يعمل جاهدا على توسيع رقعة نفوذه على معظم أرجاء الأقاليم الجنوبية ،فاتصل بزعماء الحصون و القلاع الواقعـة بـين جبـل "ببشتر" و سواحل البحر الأبيض المتوسط ،و كانوا في أغلبيتهم من المولدين ،فدعاهم بغية الإعتـراف بسلطانه ،و بهذه السياسة ملك معظم الجنوب الأندلسي إضافة إلى "البيرة" و "جيان" و سـيطر علـى حصن "باغة" و أسر عامله "عبد الله بن سماعة" و أخذ من هذا الحصن من الأموال ما لا يوصف[1].

استغل "ابن حفصون" الأموال التي كان قد جناها من حياة السلب و النهب في صرفها على أتباعه لكسب ودهم ،وحتى و إن إمتازبميله إلى التهور و العدوانية في شبابه ،فقد صار في كهولته صاحب قضية المولدين فوصفته المصادر بالشجاعة و الإقدام و إحقاق الحق و حماية الضعفاء حتى من ابنه [2] .

و بدوره لم يقف الأمير "المنذر" مكتوف الأيدي أمام كل ما حققه "ابن حفصون" من إنتصارات و جلبه من أنصار ،فقد جند "المنذر" عددا من قادته ووجههم إلى المتمردين لإسترداد هيبة الإمارة ،فأرسل "أُصبغ بن فطيس" إلى حصن "أشرس" فحاصره و فتحه و قتل من كان فيه ،كما أرسل قائديه "عبد الله بن محمد بن نصر" و الفتى الصقلي "أبدون" على رأس فرقة من الفرسان إلى أعمال "قبرة" ،فهاجما أنصار "ابن حفصون" و قتلا الكثير منهم ،و رغم النتائج الإيجابية التي حققتها هاته العملية إلا أن الأمير المنـذر عزم على الخروج بنفسه سنة (274هـ/887م) إلى "ببشتر" معقل الثائر "ابن حفصون" ففتح في طريقه بعض المناطق وأعادها إلى الطاعة مثل :"أرشذونة" التي تحصن بها أحد المولدين و يدعى "عيشون" فقبض عليه "المنذر" و صلبه ،و قضى في هاته الحملة على الكثير من أنصار "ابن حفصون" و منهم "بنو مطروح

[1] ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص113 .

[2] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص114 . -Claudio S-A.op.cit.p201.

" الثلاثة و هم "حرب و عون و طالوت" في جبل "باغو" حيث بعثهم المنذر إلى "قرطبة" وصلبوا أمـــام الملأ [1] ،و بحلول سنة (275هــ/888م) اتجه الأمير المنذر صوب "ابن حفصون" كبير الثـــوار قـــصد القضاء عليه فحاصره في قلعة "قمارة" حصارا شديدا و قد طال هذا الحصار حتى دب اليأس في نفـــوس رجال "ابن حفصون" فلجأهذا الأخير إلى المكر و الخديعة فأظهر للأمير الإنابة إلى الطاعـــة و تظـــاهر بالاستسلام و الخضوع، وبالفعل فقد استسلم "ابن حفصون" و أمده الأمير بمائة بغل يحمل عليها متاعه و أهله إلى "قرطبة" و قام الأمير بإكرامه و أمر بأن تقطع له أرفع الثياب و كتب له على ذلك عقـــد أمان.[2]

لم يطُل المُقام "بعمر ابن حفصون" و أهله بحصن "قمارة" حيث في نفس اليوم الذي كان على "ابن حفصون" أن يحط رحاله في عاصمة الإمارة ،كان يتحين الفرصة المواتية للعودة إلى معقله و بني جلدتـــه من "المولدين" ،و فعلا استغل "ابن حفصون" فرصة تفرق جند الأمير عن حصن "قمارة" فهـــرب مـــن المعسكر و حمل المتاع الذي أهدي له فوق البغال و قصد حصن "ببشتر" حيث جدد منه الثورة[3].

كان رد فعل الأمير "المنذر" سريعا حيث أقسم في هذه المرة أن لا يبرح "ببشتر" إلا و في يده "ابن حفصون" ،فقصد هذا الحصن و ضيق عليه الخناق ،و لكن قدر الله كان أسبق من قسم الأمير "المنـــذر" حيث تردت صحته بشكل مفاجئ ،فبعث إلى أخيه عبد الله لينوب عنه في الحصار ،فلما وصله ،تـــوفي "المنذر"وكان ذلك في الخامس عشرمن صفر سنة (275هـــ/التاسع و العشرين من جوان سنة 888م)[4]

وبوفاة المنذر واعتلاء الأمير عبد الله سُدة الحكم تبدأ المرحلة الأصعب في تاريخ الإمارة الأمويـــة منذ تأسيسها والتي عانت فيها ويلات التمزق السِياسي عبر خمس وعشرين سنة،وسنتطرق بالتفصيل لهذا الموضُوع في الفصل الموالي.

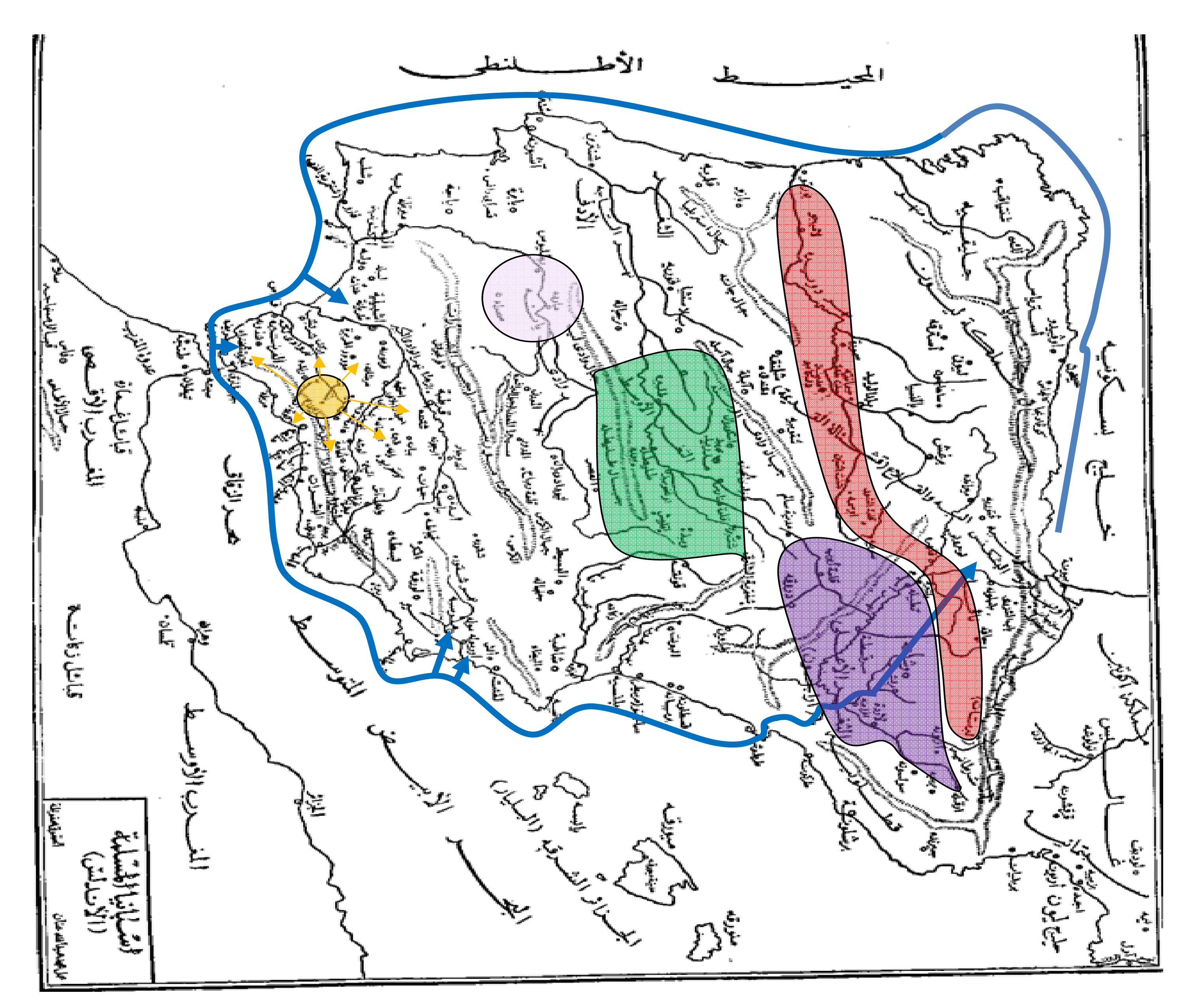
[1] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2:ص ص:116-117 .

[2] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2:ص ص: 117-118 .

[3] نفسه ،ص 118 .

[4] ابن الخطيب ،أعمال الأعلام....،ص 23،أيضا:عبد الفتاح عوض،مرجع سابق ، ص ص:83-84 .س

خارطة تمثل أبرز المناطق التي شهدت أوضاعا سياسية متردية في عصر الأمير محمد و ابنه المنذر:



المنطقة التي شملتها ثورة أهل طليطلة على الأمير محمد و ابنه المنذر.

المنطقة التي شملتها ثورة المولدين في الثغر الأعلى (شمال الأندلس).

المنطقة الفاصلة بين الصراع المسيحي الأموي في الشمال .

المنطقة التي شهدت ثورة عبد الرحمان بن مروان الجليقي .

المنطقة التي شهدت ثورة عمر بن حفصون .

خط سير الحملة النورمانية على السواحل الأندلسية سنة 245 هـ/859م .

الفصـــــــل الثالث:ثورات المولدين على الإمارة الأموية (275-300هـ/888م-912م)

-أولا:إمارة عبد الله بن محمد:(275-300هـ/888-912 م).

- ثانيا:إعتلاء الأمير عبد الله عرش الإمارة الأموية

- ثالثا: ثورات المولدين في جنوب الأندلس.

- رابعا:ثورات المولدين في غرب الأندلس.

- خامسا:ثورات المولدين في شمال الأندلس (الثغرالأعلى.)

- سادسا:ثورات المولدين في شرق الأندلس.

أولا – إمارة عبد الله بن محمد: (275-300 هـ/888-912م)

1- صفاته:

هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن مُعاوية، يكـــنى أبـــو محمد، وكان مولده سنة(228هـ/843م)، أُمه أُم ولد اسمها "عِشار"[1]،وقد أجمع المؤرخون على عظيم صفاته الخلقية، وعلى شدة تقواه وورعه، ومُداومته على إقامة الصلاة، والقيام بواجباته الدينيـــة علـــى أكمل وجه، وعلى حسب ما رواه ابن عذاري، فقد كان الأمير عبد الله «...مقتصدا، يظهر ذلـــك في ملبسه، وشكله، وجميع أحواله وكان حافظا للقرآن، كثير التلاوة له، وكانت له صدقات كثيرة ونوافل جزيلة، وكان مُتقدما في ورعه وفضله، محبا للخير وأهله، كثير الصلاة، دائم الخشوع، كـــثير التواضـــع مُنكرا للسرف، ومُبعدا لأهله شديد الوطأة على ذوي الظُلم والجُور...»[2]

وتحدث المؤرخون عن عظيم مزاياه، فقد ذكروا أنه كان يتوخى العدل في أحكامه وتصرفاته وأنه فتح بابا في قصره سماه: باب العدل وكان يجلس أمامه يوما معينا في الأُسبوع، فتُرفع إليه فيـــه المظـــالم وتصل إليه الكُتب، فلا يتعذر على أي إنسان أن يوصل حاجته إلى الأمير بيده أو يشكو إليه مظلمتـــه[3] فكان يتلقى الشكاوى التي كان يقدمها أهل قرطبة بنفسه، والتي كان في أغلبها شكاوي سوء استغلال موظفي الأمير لسلطتهم[4]. إضافة إلى هذا فقد كان الأمير عبـــد الله ذا مكانـــة رفيعـــة عنـــد علمـــاء عصره،ونقلا عن ابن حيان ذكر عيسى بن أحمد الرازي أن الأمير عبد الله كان«...من أصلح خلفاء بني أمية بالأندلس وأمثلهم طريقة ، وأتمهم معرفة، وأمتنهم ديانة ، كـــان يتهجد بالليل، ويقوم ليالي رمضان

---

[1] مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ص:197 . أما الضبي فيقول: أنه مولده كان سنة 230ه وأن أمه تسمى "أُشار"،أنظر: الضبي، مصدر سابق، ج1، ص38.

[2] إبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص: 151-152، أيضا:: إبن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث، ص ص: 3-39، ابن خلدون تاريخ ابن خلدون...، ج4، ص170، ابن الخطيب، أعمال الأعلام...،ص26، ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص476 ، ُبن الأبار مصدر سابق، ج1، ص120ومابعدها

- Ramon Menendez Pidal.Espana Musulmanane.Tomo v.Hasta la Caida del Califato de Cordoba(711-1031 de j c).traduccion y advertencia preliminar:Emelio Garcia Gomez.Espasa-Calpe.Madrid.1965.p:415

[3] ابن عذاري، نفس المصدر، ص 153، أيضا: خالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس من عبد الرحمان الداخل إلى عبد الرحمان الناصر (138-350ه/775-966م)، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، ب س ن، ص 276.

[4] Lévi. P. histoire… op.cit.p:331.

بالإشفاع والأئمة...» وذكر ابن حيان أن أحد أصحاب بقي بن مخلد[1] قال: «...كنا إذا ذكرنا أبنـــاء الخلفاء أوضع الشيخ بقي في ذكر الولد عبد الله بن محمد ووصـــفه بالـــصفات الجميلـــة والمـــذاهب الرضية...»[2].

وعلى أية حال، فقد أسهبت المصادر التاريخية في ذكر مناقب ومحاسن الأمير عبد الله، وقد يطول بنا المقام عندها فارتأينا أن نكتفي بهذا القدر ونبين فيما يلي الكيفية التي ورث بها الأمير عبد الله الحكم وتضارب الروايات التاريخية حول حقيقة قتل الأمير عبد الله لأخيه المنذر.

ثانيا – اعتلاء الأمير عبد الله عرش الإمارة الأموية في الأندلس (275 هـ/888م):

لقد اختلف المؤرخون حول الكيفية التي وصل بها الأمير عبد الله إلى الحكم فمنهم مـــن رأى أن موت أخيه المنذر كان بسبب مرض ألم به، مما اضطر الأمير عبد الله إلى خلافته، ومنهم من رأى أن هذا الأخير هو الذي سم أخاه وقتله من أجل خلافته، ولكن نحن بدورنا نتساءل عن الدافع الذي جعل الأمير عبد الله يُقدم على هذا العمل، والأندلس تعج بالثوار والمتمردين في كل ناحية ؟.

وبالعودة إلى المصادر التاريخية المختلفة التي تحدثت عن هذا الأمر نرى بروز فريقين، أولُهما صرح بأن الأمير عبد الله هو السبب في مقتل أخيه ومنهم: ابن حزم الأندلسي (ت456ه/1063م)، والـــذي أعلن صراحة بأن الأمير عبد الله «... كان قتالا تهون عليه الدِماء مع الذي كان يُظهره من عقبه فإنـــه احتال على أخيه المنذر بن محمد على إيثاره إياه وواطأ عليه حجامه بأن سم له المبضع الذي فصده بـــه وهو نازل بعسكره على ابن حفصون فكانت منه منيته...»[3] ، والظاهر هنا أن ابن حزم أصـــدر هـــذا الحكم الجازم على الأمير عبد الله، فصرح بلا تحفُظ بأنه هو الذي خطط للتخلص من أخيه، بناء علـــى أخبـــار موثـــوقة، وصلت إليه بالتواتر، لاسيما وأنـــه في زمـــن ابن حـــزم كانت الدولة الأموية قـــد

---

[1] بقي بن مخلد: من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الرحمان...رحل إلى المشرق فلقي جماعة من أئمة المحدثين وكبار المسندين...وسمع بافريقية من سحنون بن سعيد.... مولده سنة واحد مائتين ووفاته كانت سنة ست وسبعين ومائتين ،أُنظر: ابن الفرضي، مصدر سابق، ج1، ص ص:107-109، ترجمة رقم 283 .

[2] إبن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص33 .

[3] إبن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م، ص90، هامش رقم(1)،أيضا: ابن حيان، مصدر سابق، ق3، ص41، ابن الخطيب، أعمال الأعلام...، ص26،علي بن موسى بن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج1،تحقيق:شوقي ضيف،ط4،دار المعارف،القاهرة،1995م،ص54.

- Lévi.P.histoire… op.cit pp 332-333.

زالت[1] ،وفي موضع آخر من رسائل ابن حزم نجده يثني على الأمير عبد الله ويقول أنه كان «...وادعا لايشرب الخمر، وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن، وصار في كل جهة مُتغلب...»[2] ، وهنا يظهر نوع من التناقض في كلام ابن حزم، فالوادع الذي لا يشرب الخمر، بالإمكان أن يكون في نفس الوقت غير قتال والتناقض يتضح أكثر،حين ذكر أن المنذر المقتول بزعمه مات محاصرا لابن حفصون، وأن الفـــتن كانت في كامل أنحاء الأندلس، فمن الذي دفع الأمير عبد الله للبحث عـــن الـــسلطة في ظـــل هـــذه الظروف؟.

أما المؤرخ ابن القوطية (376 هــ/986م) والذي توقف في كتابة تاريخه افتتاح الأندلس عنـــد رأس المائة الثالثة، فذكر أن...ميسورا فتاه- فتى المنذر- سم له القطن المجعول في جرح الفصد، إذ كان قد تهدده لشئ إستقصره فيه، أنه يوقع به عند انصرافه إلى قرطبة، فلما هجم عليه الدم، فجـــر تفجـــير ضرورة بُبشترفعاجله الموت... »[3] ولا يذكر ابن القوطية أي دور للأمير عبد الله في هذا، وأن الحادثـــة تسبب فيها الفتى ميسور وحده.

ثم أنه يبقى الاحتمال وارد ، وتبقى بعض الشكوك حول مشاركة الأمير عبد الله في مقتل أخيه خاصة وأن المصادر لم تذكر مصير الفتى "ميسور" بعد سمه للأمير المنذر.وعلى أية حال كان الأمر، فقد إنتقل الحكم إلى الأمير عبد الله دون منافسة تذكر، وبويع بعد استدعائه إلى المعسكر الذي كان مُحاصرا لابن حفصون، وكما يذكر ابن القوطية فقد «...أجمع من حضر الغزاة من الخدم والقُرشيين والموالي والأجناد عليه، فبويع وكان مُنذر على القفول...»[4].

وبعد هذه المبايعة الخاصة قرر الأمير عبد الله حمل جُثمان أخيه والانصراف به إلى قرطبة، ولما علم أهل الكور ووفود القبائل بوفاة المنذر، انصدعوا في كل جهة فأمر عبد الله «...يضبطهم، فلم يُلف أحدا يضبط، فانتقل خائفا على نفسه من عدوه، وقدم أخاه المنذر بين يديه... حتى قدم به إلى قرطبة فدفنه مع آبائه في القصر...»[5].

---

[1] محمد بن إبراهيم أبا الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري(275-300ه/888-912م)، ط1،مطبعة الملـــك عبد العزيز،الرياض،1416ه/1995م، ص81 .

[2] ابن حزم، رسائل إبن حزم، ص193.

[3] ابن القوطية، مصدر سابق، ص114.

[4] نفسه، ص113-114.

[5] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة...، ص133.

وعلى الرغم من أن الجند وحاشية الأمير عبد الله كانوا قد أشاروا عليه بدفن أخيه قرب قلعة بيشتر لكي لا يتعطل سير الحملة المهددة من طرف ابن حفصون، إلا أنه رفض ذلك، واحترم تقاليد وأعراف أجداده، ولأنه أيضا كان يخشى على التعريض بجثة أخيه، بوضعها في أساس كنيسة من طرف المرتدين[1].

وصل الأمير عبد الله بجثمان أخيه إلى قرطبة يوم الاثنين من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وقام بدفن أخيه المنذر بجوار أبيه محمد بداخل القصر و«...دعا الناس إلى البيعة فابتدروها مسارعين وتجاوزت خاصتهم إلى العامة... ونفذت كتب الأمير إلى كور الأندلس المقيمة على الطاعة فقبلوها...»[2] ، وبهذا تمت المبايعة النهائية، ومن الجانب الأمني، فقد كان ينتظر الأمير الجديد الكثير من العمل لحماية الأســـرة الأموية من الأخطار المحدقة بها ، ويمكن في هذا المقام الإشارة إلى دليل آخر يدحض فرضية اغتيال الأمير عبد الله لأخيه المنذر خاصة بعدما حمل جثمان أخيه إلى قرطبة رغم الأوضاع المتردية

ثالثا – ثورات المولدين في جنوب الأندلس:

أ – ثورة عمر بن حفصون في منطقة "رية":

يُعتبر عُمر بن حفصون من أهم الثوار الذين وقفوا في وجه الإمارة الأموية لأكثر من ثلاثين ســـنة وقد قضى الأمير عبد الله معظم وقته في مجابهة هذا المارق كما تصفه المصادر، وقد تمركـــز في حـــصن روماني قديم يسمى "بيشتر" بكورة "رية".

لقد استغل بن حفصون التغير السريع للأُ مراء لكي يقوي من شوكته، ويُحقيق طموحاته، فعلى سبيل المثال فإن الأمير المنذر بن محمد توفي وهو محاصر لابن حفصون، مما اضطر الأمـــير عبـــد الله إلى الانسحاب بجثة أخيه للتمكن من الحصول على البيعة، لكن ابن حفصون استغل الفرصة، وهاجم جموع المُنسحبين، مما اضطر الأمير عبد الله إلى إرسال غلامه "فرتون" « ...يسأله الكف والتوقـــف، ويعـــده الصفح والتآلف، فاستحياه عمر على قساوته، وكف وانصرف...»[3].واتبع ابن حفصون أسلوبا مكنـــه من نجاح سياسته ضد الأمارة وذلك في اللحظات الحرجة، حيث أنه عندما يريد كسب الوقـــت نجـــده ينضم إلى الإمارة الأموية لفترات وجيزة، ويقدم لها الرهائن إذا لزم الأمر[4]

---

[1] Gabriel.M. op.cit p136.

[2] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص 3

[3] نفسه، ص2.

[4] Lévi. P .histoire....p:368.

وكذلك اتبع ابن حفصون سياسة أخرى ألا وهي عقد تحالفات مع خصوم الإمارة وبخاصة منهم الُمتمركزون في الشق الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط ،ويعلق أحد المؤرخين بخصوص هذا الموضـــوع أن عمر بن حفصون استطاع بهذه العلاقات خلق شبكة مبادلات تجارية برية وبحرية مكنته من تموين جيوشه وأتباعه بمختلف المُؤن [1]،كما أشار "بيير غيشار" إلى مشروع ابن حفصون المتمثل في تزويج إحدى بناته من إبراهيم بن حجاج صاحب اشبيلية،وهذا بغرض تقوية أحلافه السياسية مع أعداء الإمارة[2]،ولكننـــا بدورنا بحثنا عن هذا الأمر فلم نجد له ذكرا في المصادر العربية.

ولاشك أن هاته السياسة رافقتها سياسة أخرى هي دعوة الطبقات الفقيرة ضد العرب، وقد نجـــح ابن حفصون إلى حد بعيد في هذا المسار وذلك لعدة عوامل منها، أن أغلب من انضم إليه كـــان مـــن الفلاحين الصغار المناوئين للسُلطة الأموية، وقد ذكر ابن عذاري أن ابن حفصون كان يُحرض أتباعـــه بواسطة كلمات كان يرددها دائما: «طال ما عنف عليكم السلطان وانتزع أموالكم، وحملكـــم فـــوق طاقتكم، وأذلتكم العرب، واستعبدتكم، وإنما أريد أن أقوم بثأركم، وأخرجكم مـــن عبـــوديتكم...»[3] وهذا كان له كبير الأثر في استقطاب عدد كبير من الأتباع من جميع أنحاء الأنـــدلس، خاصـــة منـــهم المولدون.

وتصف مُعظم المصادر التي بين أيدينا شخص عمر بن حفصون وأتباعه بأشنع النعوت، ومنهم ابن عذاري الذي ذكر أن أتباعه كانوا من شُطار الناس وشِرارهم، ولكنه في موضع آخر يثني علـــى ابـــن حفصون بقوله أن «...المرأة كانت في أيامه تجئ بالمال والمتاع من بلد إلى بلد منفردة لايعترضها أحد من خلق الله...»[4] ، ويذهب أحد الباحثين إلى أنه من باب الإنصاف لا ينبغي التسليم بهذا الوصـــف، لأن أولئك المؤرخين – فيما يبدو – كانوا يمثلون غالبا وجهة النظر الرسمية والتي تتمثل في سلطة الأمويين[5].

[1] Christoph Picard.L'océan Atlantique Musulman.de la conquete Arabe a l'époque al Mohade. navigation et mise en valeur des cotes d'Alandalus et du Maghreb occidental (Portugal.Espagne.Maroc).édition maisonneuve .paris.1997.p93.

[2] Pierre guichard;structures sociales orientales et occidentales dans l'Espagne Musulmane.imprimerie Darantiere Mouton. Paris.1977.p110

[3] ابن عذاري، مصدر سابق،ج2، ص114.

[4] نفسه، ص114.

[5] محمد بن إبراهيم أبا الخيل، مرجع سابق، ص 114.

حينما تقلد الأمير عبد الله أُمور السلطة، كان شغله الشاغل القضاء على الثـوار، وأولهـم ابـن حفصون، فأرسل إليه الأمير أحد قُواده، وهو "إبراهيم بن خُمير "رسولا لأخذ بيعته، وبيعة مـن معـه فاقتضاها منه ،وبدوره بعث ابن حفصون إبنه مع جمع من رجاله، فأنزلهم الأمير أفضل مترل وأكـرمهم وزاد على ذلك بأن ولى عمر بن حفصون كورة "رية" وأشرك معه عاملا آخر هو" عبد الوهاب بن عبد الرؤوف"[1].

ولكن هذا الثائروكعادته نقض العهد، وعاد لما كان عليه حيث ذكر ابن عذاري أن ابن حفصون «...مد يده إلى ما نُهي عنه... واستحوذ على الكور في أموالهم، وأمضى بنفسه على عادته الذميمة من الفساد وقطع السبل ...»[2] ، حيث أمر ابن حفصون قائده "حفص بن المُرة" على رأس جـيش كـبير وهاجم كورة"إستجة"[3] فرد عليه الأمير عبد الله بحملة تاديبية بقيادة "عبد الملك بن مـسلمة البـاجي" فوقعت «... بينهما حرب صعبة، ظهر فيها حفص على أصحاب الأمير فهزمهم وقتل قائـدهم عبـد الملك...»[4].

وعلى إثر هذه الأحداث خرج الأمير عبد الله في صائفة العام الموالي (276 هـ/889م)كمـا يذكر ابن حيان حتى انتهى إلى «...حصن "بيشتر" قاعدة الفاسق عمر بن حفصون، فأفسد ما حوله من الغلات والثمار...وخلف بحاضرة "رية" "محمد بن ذنين" قائدا...»[5]، وبعد إنسحاب جيـوش الأمـير تعقبها ابن حفصون،واحتل بعض النواحي حتى أن أهل "إستجة" قدموا له يد الطاعة،ولكن الأمير عبـد الله عاود المحاولة مرة أُخرى وفي هذا أورد إبن الخطيب قوله أن الأمير «...خرج بنفسه محتسبا إياها في سبيل الله وقصد بيشتر... وأخرج إليه الجيش، حتى اتقاه ابن حفصون بطلب الأمان...»[6] ،وكان لـه ذلك لأن الأمير بدوره كان في حاجة إلى استرجاع الأنفاس بسبب المعارك المستمرة.

ويبدو أن السلطة الأموية سخرت كل ما لديها للقضاء على هذه التمردات، وبطبيعة الحال فقـد

[1] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص50، Claudio sanchez. Op.cit . p:202

[2] ابن عذاري، مصدر سابق،ج2، ص122.

[3] "إستجة"Ecija: مدينة بين القبلة والمغرب من قرطبة، بينهما مرحلة كاملة، وهي مدينة قديمة، ومعنى هـذا الاسـم "جمعـت الفوائد"...أنظر: الحميري، مصدر سابق، ص53.

[4] ابن حيان،نفس المصدر ، ص51.

[5] نفسه، ص ص 53-54.

[6] ابن الخطيب، أعمال الأعلام...، ص28.

انعكس هذا سلبا على خزينة الدولة التي أضحت فارغة، بسبب النفقات الضخمة والمُستمرة على الجيوش وبسبب كذلك قلة المداخيل وهذا بشهادة النُويري الذي ذكر أن «... الأموال قلت في يده- أي الأمير – لخروج المدن وامتناعهم عن أداء الخراج إليه...» [1] ، مما اضطر الأمير عبد الله إلى التخفيض من نفقات ومصاريف الجند، الشئ الذي دفع الكثير منهم إلى التخلي عنه، فتفاقمت عليه الأمور في ولايتـــه كمـــا تذكر المصادر و «...تفاوتت بعد قرب تداركها، فتفرقت أجناده، وعجز عن نصره قواده...»[2].

وقد استغل ابن حفصون الظروف التي أصبحت تتخبط فيها الإمارة إذ اتجه جنوبـــا إلى الجزيـــرة الخضراء، والتي تمكن من محاصرتها، وتحريض أهلها على سلطان الجماعـــة كمـــا ذكـــر ابـــن حيـــان وبهذا:«...انتفض أهل الجزيرة على الأمير عبد الله ففارقوا الطاعة، وطردوا إبراهيم بن خالد عامله...»[3] وقد حدث كل ذلك بسبب سياسة الخداع التي انتهجها ابن حفصون عن طريق تظاهره بطاعة الأمير.

وحدث أن وجه الأمير عبد الله نداءا إلى ابن حفصون يسأله المشاركة في القضاء على تمرد مولدي آخر هو "سعيد بن مستنة" في منطقة "ألبيرة"، وأُوكلت قيادة الجيش الأموي إلى "إبراهيم بن خمير" فبعث ابن حفصون في تلك الأثناء في السر إلى سعيد بن مستنة «...يثبته على الخلاف ويثنيه عما شرع فيه من موالاة العرب ...ويوصيه على الثبات على دعوته المولدية...وقد صار زمام الجيش بيده –أي بيد ابـــن حفصون- فتسلط على محاربيه من العرب...»[4] ويبدو أن قواد الجيش الأموي لم يكتشفوا النوايا الحقيقية لابن حفصون حيث يذكر ابن حيان أنه:«...جال بالعسكر حتى انتهى إلى مدينة "وادي آش" يُعز بمـــن يمر به من المولدين أهل دعوته ويذل أضدادهم...» وبلغت الدرجة إلى أن قبض على قائد الجيش الأموي "إبراهيم بن خمير" «...قائد السلطان وعلى جماعة من وجوه أصحابه وتوجه بهم إلى حصن "بيانة" فقتل جماعة منهم وأصاب أموالهم...»[5].

[1] مصطفى أبو ضيف أحمد، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (افريقية، المغرب، الأندلس، صقلية)،27-719هـ/647-1319م، من كتاب: نهاية الأدب في فنون الأدب، للنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، دار النشر المغربية الدار البيـــضاء، 1984، ص113.

[2] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة...، ص133، أيضا: مصطفى أبو ضيف أحمد ، نفس المصدر، ص113.

[3] ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث، ص90.

[4] نفسه، ص91.

[5] نفسه، ص91.

وبعد أن استولى ابن حفصون على الأموال من "حصن بيانة" توجه إلى حصن "بلي" الذي كلف منه قائده "شربند" ببث الغارات منه نحو قرطبة وفي هذه الأثناء تأججت نار الفتنــة في "ألــبيرة" بــين المولدين و العرب بقيادة "سوار بن حمدون" الشئ الذي جعل مولدي البيرة يستغيثون بعمر بن حفصون الذي لبى النداء، واشترك في معركة طاحنة، انهزم فيها المُولدون شر هزيمة حيث أن عرب البيرة «...أكثر وفيهم الفتل...فيقال أن قتلاهم -أي المولدين- كانوا اثني عشر ألفا...»[1] ، وفقد ابن حفصون في هاته المعركة يده، و لم يعد قادرا على استعمالها لمدة ثلاثين سنة على حد تعبير ابن عذاري[2]ورغم هذه الهزيمة إلا أن ابن حفصون عاود الكرة على مدينة "ألبيرة" وبفضل قائده "حفص بن المرة" تمكن من القضاء على سوار بن حمدون وذلك سنة (277 هـ/890م)[3].

والظاهر من خلال النصوص التاريخية المختلفة والتي أوردت أخبار ابن حفصون، بينت أن سياسة هذا الأخير كانت ترمي إلى القضاء على كل إتجاه يخالفه مهما كانت هويته[4]، حيث أورد ابن حيان قوله أن ابن حفصون قام بإنفاذ أحد رجاله إلى زعيم مولدي آخر هو "خير بن شاكر" «...ففتك به ســاعة أصاب غفلته وأنفذ رأسه إلى ابن حفصون فأنفذه ابن حفصون إلى الأمير عبد الله...»[5] ، ويبــدو مــن خلال هذا نجاح السياسة الجديدة التي انتهجها الأمير عبد الله وهي الإيقاع بين المتمردين.

وبلغت الحال بأن سيطر ابن حفصون على أجزاء كبيرة من الجنوب الأندلسي وما حول العاصمة قرطبة، واتخذ من حصن "بلي" مركزا رئيسيا لمراقبة القرى وحركة الطرق، بحيــث كانــت جماعــات الفرسان التابعة لابن حفصون تغادر هاته القلعة كل ليلة للقيام بعمليات سلب ونهب في مزارع ريــف قرطبة[6] وصار ابن حفصون من هذا الحصن يصول ويجول وينشر الرُعب متحديا سلطان الأمير[7]،حيــث وصف ابن حيان الوضعية الكارثية التي آلت اليها الامارة بقوله أن ابن حفصون كان «...إذا سمع بتهيئة

---

[1] ابن الأبار، مصدر سابق، ج1، ص148.
[2] ابن عذاري،مصدر سابق،ج2،ص:106
[3] ابن الأبار، نفس المصدر، ص154.
[4] محمد بن إبراهيم أبا الخيل، مرجع سابق، ص125.
[5] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص93 ، –Lévi.P .Histoire…: p37
[6] Lévi,P, Histoire… p:373
[7] عبد المجيد النعنعي، مرجع سابق، ص296.

الأمير عبد الله لغزوه وعمله على الخروج نحوه يتضاحك ويقول هذا توهيم...»[1].

وفي سنة (278 هـ/891م)ذكر ابن حيان أن حفصون عمد إلى مكاتبة «...ابن الأغلب أمير افريقية لبني العباس في إعلانه بدعوتهم ولاطفه بالهدايا وأبا ابن الأغلب إجابته، وكافأه عن هديته...»[2] كما أنه راسل الأمير الإدريسي بالمغرب إبراهيم بن القاسم بن إدريس يعلمه بأنه يدعوا له في خطبة الجمعة على منابر المساجد على أرض الأندلس الخاضعة لنفوذه[3]، وكان هدف ابن حفصون من هذا هو إضفاء نوع من شرعية في حكم الأندلس، وكسب تأييد أعداء الأمويين خارج هاته الأرض.

لكن الأمير عبد الله سئم من هذا الوضع، وعزم على الإنتقام منه مهما كلف الثمن «...فأمر بإخراج السُرادق[4] إلى "فحص الربض" بشقندة"[5]، فلما اشتدت أطنابه، ومدت حبائله وأسبابه، بعث ابن حفصون خيلا ترمي على شقُندة لعلها تأخذ السرادق السلطاني وتفوز به...»[6]، ولكن مجموعة من فرسان الأمير أفسدوا المحاولة وولى «...أصحاب الخبيث في جنح الليل وهم هاربون...»[7].

ويبدو أن هاته الحادثة أعطت للأمير نوعا من الثقة المتجددة فعزم في نفس السنة أي سنة (278 هـ/ 891م) على الخروج لُملاقاة ابن حفصون، فتجهز كما تذكر رواية ابن عبد ربه في «...أربعة عشر ألفا من أهل قرطبة خاصة وأربعة آلاف من حشمه ومواليه...»[8]، وتقدمت جموع الأمير إلى حصن "بلي" الذي تمركز فيه إبن حفصون، وكان تعداد جيشه يومئذ كما يذكر ابن الخطيب، ثلاثون ألفا[9]، والتحم الفريقان في معركة ضاربة حملت على إثرها «...ميسرة الأمير على ميمنة المارد فاقتلعتها وقتلت خلقا من أهلها...»، ولاذ ابن حفصون ومن بقي معه بالفرار وقصد حصن "بلي" ولكن قوات الأميراقتحمت الحصن «...فأصابوه مترعا بالأموال والأقوات والأمتعة والحلي..."حيث استفاد منهاالأمير

---

[1] ابن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث ، ص97.

[2] نفسه، ص93.

[3] Lévi.P. , Histoire…p:378

[4] السُرادق: ما أحاط بالبناء والجمع سرادقات وهو كل ما أحاط بشئ نحو الشقة في المضرب أو الحائط المشتمل على الشئ، أنظر: ابن منظور،مصدر سابق، ص:1988.

[5] شقُندة: قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها ...أنظر الحميري، مصدر سابق، ص349.

[6] إبن عذاري، مصدر سابق،ج2، ص132. أيضا: السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المسلمين...، ص261.

[7] إبن حيان، نفس المصدر، ص94.

[8] إبن عبد ربه، مصدر سابق، ج5، ص238. Claudio Sanchez. op. cit ,p:204

[9] إبن الخطيب، أعمال الأعلام...،ص28.

أكبر استفادة، أما عمر بن حفصون فقد سار مسرعا...حتى لحق "ببشتر" قاعدته فاستقر فيها...»[1]

ولاشك أن هذا النصر الذي أحرزه الأمير عبد الله، كان نتيجة لتضافر عدة عوامل نـذكر منـها: تصميم الأمير عبد الله على النصر بأي طريقة وكذا الدور الكبير الذي لعبه الجنود المتطوعون في دحـر هذا الخطر عن قرطبة، إضافة إلى أن الفوضى والقتل الذين أشاعهما ابن حفصون في قرطبة وما حولهـا جعل السُكان ينتقمون منه شر انتقام، والخبرة التي اكتسبها جند الإمارة من خلال الصدامات المتكـررة مع ابن حفصون وغيره من المتمردين، ولا ننسى الدور الكبير الذي لعبه الفقيه:"أبو مروان عبيد الله بـن يحي"[2] الذي حفز الجند لخوض المعركة وتلا عليهم قوله تعالى «إن ينصركم الله فلا غالـب لكـم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده...»[3]، وهذا كان له كبير الأثر في زرع روح الجهاد في نفوس الجنود.

وما لبث أن تحرك الأمير بعد أن أحرز هذا النصر إلى معقل ابن حفصون "بُبشتر" فحاصره وضيق عليه الخناق وخرب ما حوله من حقول وزروع، لكنه اضطر إلى الانسحاب بعد أن لاحظ على رجاله «...تشيكهم لوصب السفر وتطلعهم إلى القفول فاستشعر إراحتهم...»[4]كما ذكر ابن حيان، ولكـن الأهم الذي حققه الأمير هو استرجاع حواضر "رية" و"ألبيرة" و"جيان" إلى الطاعة، وتحطيم شوكة ابن حفصون، رغم أن هذا الأخير حاول الإيقاع بجيش الإمارة، لكن دهاء قائد الجيش "عبيد الله بن محمـد بن أبي عبدة" حال دون الوقوع في الفخ.

لم يطُل مكوث ابن حفصون في حصنه "ببشتر" بل عمل على الاتصال بأهل أرشذونة، وألبهم على عامل الأمير عبد الله، فقبضوا عليه وسلموا أمرهم لابن حفصون، كما أن أهل البيرة نقضوا طاعة الأمير وقاموا باستدعاء ابن حفصون ليقوم بأمرهم[5]، بيد أن سيطرة ابن حفصون على هاتين الحاضرتين كانت شكلية لأن مقره الرئيسي "بُبشتر" كان بعيدا نوعا ما عن هاتين الحاضرتين.

---

[1] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث،ص ص: 95-97،أيضا: ابن عذاري، مصدر سابق،ج2 ، ص 123.

[2] أبو مروان عبيد الله بن يحي بن كثير الليثي،...روى عن أبيه عن مالك بن أنس وله رحلة إلى العراق... مات بالأندلس سنة سبع وتسعين ومائتين...، أنظر : الحميدي، مصدر سابق، طبعة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص268 ، ترجمة رقم:581.

[3] الآية: 160،سورة آل عمران

[4] ابن حيان، نفس المصدر، ص99.

[5] نفسه، ص107.

ظل الأمرعلى هذا الحال إلى أن أرسل الأميرعبد الله ابنه "المُطرف" في صائفةسنة(280هـ/893 م) لتضييق الخناق على ابن حفصون ، واستطاع المطرف أن يوقع به هزيمة ساحقة، فقد ابن حفصون على إثرها أهم رجاله وكان منهم «...حفص بن المُرة، كبير قواده ولزاز حروبه، وخليفته فيما غاب عنه...»[1].

بهذا النصر الذي حققته الإمارة، والذي تمكنت فيه من استرجاع بعض الأقاليم، رأت ضرورة القضاء على الخطر من مصدره، فأغار المطرف بن الأمير مرة أخرى سنة (281 هـ/ 894م) على نواحي "ببشتر" «...بلد المارق عمر بن حفصون، وأطلقت الخيل على إفساد الزروع وقطع الأشجار وإفساد العمارة وتخريب الديار...»[2]، وهذا بقصد إضعاف قوة ابن حفصون ومنع الإمدادات عنه.

لقد استطاعت الإمارة الأموية بهذا العمل أن تسترجع العديد من المناطق من يد ابن حفصون وهذا بفضل السياسة التي انتهجها الأمير عبد الله، والتي قضت بالتركيز العسكري على كل مناطق الجنوب الأندلسي في خطوة لعزل ابن حفصون عن المتمردين الآخرين، حيث ذكر صاحب كتاب أخبار مجموعة أن الأمير عبد الله «...صالح قوما آخرين على بعثه أموال ضربت عليهم، مع إقرارهم في مواضعهم...»[3]، وهذا من أجل إحداث نوع من القطيعة بينهم وبين ابن حفصون.

ولما ضاق الأمر بابن حفصون، وأحس نجاح خُطط خصمه الأمير عبد الله عمل على ربط حلف مع ثوار الثغر الأعلى، ومنهم "محمد بن لب القسوي"، وكان ذلك سنة (285 ه/898 م)، وفي هذا يقول ابن حيان «...وفيها انعقد الحلف بين إمام المجرمين، عمر بن حفصون وزعيم الفساق محمد بن لب القسوي صاحب الثغر الأعلى، على اجتماع الكلمة، والتظاهر على إمام الجماعة والسعي لإطفاء نور الخلافة...- ولسوء حظ ابن حفصون- فقد...ورد الخبر إلى لب بمقتل والده "محمد بن لب" على باب طليطة...»[4]، وهذا ما عجل بعودة الولد أدراجه، دون أن يتفق الجانبين على أي شئ.

---

[1] إبن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث، ص108،أيضا: ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص124.

[2] إبن حيان، نفس المصدر، ص108.

[3] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة...، ص134.

[4] إبن حيان، نفس المصدر، ص127.

1- ارتداد عمر بن حفصون عن الإسلام:

تذكر المصادرأن عمر بن حفصون إرتد عن الإسلام وتحول إلى النصرانية، ولكنها تختلف في السنة التي حدث فيها ذلك، "فابن عذاري" يذكر أن ذلك كان سنة (286 هــ/899 م)، ونفــس الــشئ ذهب إليه ابن حيان، حيث يقول «...وفيها أظهر اللعين عمــر بــن حفــصون النــصرانية وبــاطن العجم...>>[1]، وأما ابن الخطيب فيذكر إن ابن حفصون تنصر سنة (285 هــ/898م) وهذا في قوله <<...فأغزاه ابنه "إبانا" سنة 285 هـــ –أي إبان إبن الأمير عبد الله– فاشتد الأمير عليه... وعول على النصارى وتقلد (زعموا) دينهم دين آبائه...»[2].

و لم تكن هذه المبادرة مُنتظرة من ابن حفصون، فقد أجرى مراسيم تعميده جنبا إلى جنب مـــع أفراد عائلته، واستبدل اسمه "بصموائيل"، وأما زوجته فقد أصبحت تعرف "بكولومبا"، ولقي هذا ترحيبا من طرف المستعربين في الأندلس[3]، ويعبر "كلاوديو سانتشاز" .Claudio.s عن هذا بقوله أن ابـــن حفصون قدم خدمة كبيرة للنصارى، فقد عقد معاهدات وتحالفات معهم، وخرج عن المسلمين الـــذين حاربهم بصراحة وكانت النتيجة أن غادره الكثير منهم[4].

وقد كان لهذه الحادثة أثر كبير ونقطة تحول عميقة في تاريخه الطويل حيث أن أصـــدقاء الأمـــس أصبحوا أعداء اليوم، فقد تخلى عنه جمع غفير ممن حمل لواء تحريرهم، حتى من بين جلدته وقد تبرأ منـــه خلق كثير كما ذكر إبن عذاري و«...نابذه عوسجة بن الخليع...وانفصلت عليه المغازي مـــن ذلـــك الوقت، ورأى جميع المسلمين أن حربه جهاد...»[5].

وأغلب الظن أن هاته الخطوة التي أقبل عليها ابن حفصون، كانت على حسب ما نعتقـــد أنهـــا ستجذب إليه أتباعا كثر من شتى الطوائف الأخرى، وكذلك كسب تأييد نصارى الشمال، ولكن على العكس من ذلك، فقد نقم عليه الكثير بسبب هذا الإجراء.

ومما يؤكد على أن ابن حفصون فعلا اعتنق الديانة النصرانية، ما أورده ابن عذاري من أن الخليفة عبـــد الرحمان النـــاصر أمر بنبش قبري عمر بن حفصون وابنه «...فكشفت قـــبورهما ، فألفيا مدفونين على

---

[1] ابن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث،، ص128.

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام...، ص32.

[3] Lévi.P. Histoire…:p377.

[4] Claudio .s. op.cit: p204.

[5] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص139.

ظهورهما كما يُتدافن النصارى...»[1].

وقد سعت الإمارة الأموية من وراء هذا الأمر إلى ضرب حركة ابن حفصون، واستمالة أتباعه إليها ولكنها لم تنجح في هذا المسعى، بدليل أننا لم نرى إلا حليفين يتخليان عن ابن حفصون وهما "عوسجة بن الخليع" و"يحي بن إنتلة"[2].

منذ أن تنصر ابن حفصون سعى إلى عقد تحالفات جديدة من أجل ضرب الإمارة الأموية، وانتهى به الأمر إلى أن «...تضافر مع إبراهيم بن حجاج المتغلب على كورة اشبيلية...فصار كل منهما يعـــد لصاحبه إذا استمده ويرسل إليه بخيله ورجاله...»[3] وكما ذكر ابن حيان فقد استجاب ابن حجاج لابن حفصون فوجه «...خيله لإبن حفصون معينا له، فانتفع بها "بألبيرة" و"تُدمير" و"جيان"...»[4]، وتوجـــه إبن حفصون بجيشه إلى "إستجة" من أجل لقاء الأمويين هناك، واحتدم الطرفان وكـــان النـــصر في أول الأمر لابن حفصون الذي طارد القوات الأموية الهاربة، لكن حنكة القائد الأموي "محمد بن أبي عبـــده" حالت دون الهزيمة النهائية حيث «...أثخن جند السلطان في رجال ابن حفصون، وقُتل منهم في هـــذا الوطن نحو ألف وخمسمائة...»[5].

ولما ترامى إلى مسامع الأمير عبد الله بأن ابن حفصون وابن حجاج قد عقدا حلفا ضده «...أمر بإخراج ولد ابن حجاج وابن أخ عمر ابن حفصون لضرب رقبتيهما...»[6]، وقد كان جيش الإمارة قد قبض عليهما في وقت سابق، فنفذ الحكم في إبن أخ عمر بن حفصون، وأما ابن إبراهيم بن حجاج فقد أُطلق سراحه، بعد أن أشار بهذا "بدر" مولى الأمير عبد الله وذلك مخافة من أن يفتح الأمير جبهة صراع أخرى هو في غنى عنها على الأقل في تلك الفترة. وكعادتها لم تفوت المراجع الغربية الفرصة للتعليق على هاته الحادثة ،فقد ذكر أحد الكتاب الغرب بأن دم العربي أغلى من دم المولدين في الأندلس[7].

---

[1] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص196.

[2] محمد بن إبراهيم أبا الخيل، مرجع سابق، ص143.

[3] ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث،ص 129.

[4] ابن القوطية، مصدر سابق، ص120.

[5] ابن حيان، نفس المصدر ، ص130.

[6] نفسه، ص: 130

[7] Gabriel.M.op.cit.pp135-136.

تابع الأمير عبد الله إرسال الحملات الردعية إلى عمر ابن حفصون للمحافظة على ما حققه من مكاسب حربية، فأرسل في سنة (291 هـ/903م) حملة إلى "ببشتر" معقل الثائر ابن حفصون بقيادة ابنه "أبان" الذي «...وافى صور "ببشتر" حضرة اللعين عمر بن حفصون، فأخذ في إفساد الزرع وإحراق القرى وإخراب العمارة...»، وتشابك الطرفان في معركة عنيفة، خسر فيها ابن حفصون الكثير من رجاله، رغم الكمائن التي أعدها لجند الأمير[1].

وسعيا منه للانتقام من الهزائم التي لحقت به على يد الإمارة بادر ابن حفصون إلى التحالف من جديد مع ثائرين مولديين هما "سعيد بن مستنة" و"سعيد بن هذيل"،حيث ذكر ابن عذاري أن هؤلاء «...ضربوا ناحية جيان وأغاروا، فأصابوا وغنموا...فاتبعهم القائد محمد بن أبي عبدة فلحقهم، وهزمهم وقتل جماعة منهم...»[2].وتعد هاته الأعمال بمثابة المحاولات الأخيرة في عهد الإمارة للقضاء على الثوار،ورغم كل الإمكانيات التي سخرت لهذا الغرض إلا أن سلطات قرطبة لم توفق في القضاء على على عميد الثوار عمر بن حفصون ،بدليل أنه توفي وفاة طبيعية سنة(305هـ/918م) وخلف أربعة من الذكور هم "جعفر" و"عبد الرحمان" و"سليمان" و"حفص" حاولوا كلهم سلوك طريق والدهم إلا أنهم لم يكونو في مستوى قوة وشهامة أبيهم،إذ قضى عليهم الناصر لدين الله[3].

لقد احتلت ثورة ابن حفصون جانبا مهما من مشاكل النظام الأموي، الذي أخفق في القضاء عليها نهائيا، وتحولت إلى مشكلة تقليدية يتعايش معها الأمراء الأمويون المتعاقبون، متأرجحة بين الامتداد تارة والانحسار تارة أخرى، وهذا كما رأينا يعود إلى عدة عوامل منها: كثرة المتمردين في الأندلس والذين أشغلو الأمارة عن التفرغ لثورة ابن حفصون ، ومنها ما هو جغرافي ونقصد بذلك الحصون التي تمركز بها ابن حفصون والتي امتازت بالمناعة مما ساعده على إفشال كل مخططات الإمارة للقضاء عليه.

واختصارا يمكن القول أن الأمير عبد الله استطاع أن يجابه هاته الثورة بكل حنكة، ويتحين الفرص الملائمة للانقضاض على هذا الثائر، والإيقاع بينه وبين بقية المتمردين، ولوكان ذلك على حساب خزينة

[1] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص:140.

[2] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص:145 -146.

[3] بسام العسلي،عبد الرحمان الناصر،ط4،دار النفائس،بيروت،1415ه/1985م،ص:36

-Americo Castro .réalité de l'Espagne ,histoire et valeurs. traduit .Mexico Porrua Hermanos .imprimerie Floch,France.1963.p84-85

الدولة، إضافة إلى استغلاله للعامل الاقتصادي المتمثل في إتلاف المحاصيل الزراعية وغيرها، والتي كان ابن حفصون يمون منها جنوده مما ساهم في إضعاف قوة هذا الأخير.

ورغم كل هذا، إلا أن الأمير عبد الله لم يستطع القضاء على هذا الثائر، لكنه استطاع أن يـــصنع شخصية فذة، والمتمثلة في شخصية عبد الرحمان الناصر، الذي كان له الفضل في القضاء علـــى حركـــة التمرد في الأندلس كلها.

ب- ثورات المولدين في منطقة جيان:

1 - "خير بن شاكر" في حصن "شوذر"Jodar:

يعتبر "خير بن شاكر" من الثائرين البارزين في وجه الإمارة الأموية في عهد الأمير عبـــد الله بـــن محمد،حيث ذكر ابن حيان أنه «...قام بدعوة المولدين والعجم على العرب "بـــشوذر" مـــن كـــورة "جيان"، وظاهر زعيم هذه الدعوة عمر بن حفصون وذلك سنة سبع وسبعين ومائتين...»[1]

ولما انتفض المولدون في حاضرة "جيان" في أوائل حكم الأمير عبد الله،وبالضبط في ســـنة (276 هــ/889م) قاموا بثورة عارمة، حيث طردو عامل الأمير عبد الله على المنطقة، وولوا على أنفـــسهم "خير بن شاكر" ، هذا الأخير بادر إلى السيطرة على "جيان"، وفي هذا يقول ابن عذاري «...وانتفض أهل جيان وأخرجوا عاملها عباس بن لقيط، وملكها ابن شاكر...»[2].

بعد أن سيطر "ابن شاكر" على منطقة جيان تحرك صوب "البيرة" ليستولي على أهـــم حـــصونها وضمها إلى سلطانه، وأوقع بأهلها وأباد خلقاكثيرا منهم، وذكرنا سابقا أن هذا المتمرد تحالف مع ابـــن حفصون،فاغتاظ الأميرعبد الله لهذا الأمر،فبعث إليه قائده "محمد بن أبي عبدة"فحاصره وقتل جماعة مـــن أصحابه، وأحرق كثيرا من دور "جيان"، ولكن الإمارة لم تستطع النيل من "إبن شاكر"، فحاول الأمير الإيقاع بينه وبين ابن حفصون، فكاتب الأمير عبد الله هذا الأخير «...يُحذره من خير من أجل ميله إلى ديسم بن إسحاق...»[3].

اغتاظ ابن حفصون لهذا الأمر، واستغل طلب خير بن شاكر لبعض المدد من الجنود، فأمـــده ابـــن حفصون وأمر «...في السر على الفتك بخير ففعل وأنفذ رأسه لابن حفصون...» فبعثه بدوره إلى الأمير

[1] ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث، ص24.

[2] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص122.

[3] ابن حيان، نفس المصدر ، ص24.

عبد الله سنة (277 هـ/890م)، وهكذا تخلص الأمير من شر هذا الثائر نهائيا [1] .

2 – عبيد الله بن أمية بن الشالية بجبل شُمنتان[2] (Somontin):

سيطر هذا الثائر على مناطق عديدة و«...جاهر بالخلعان وبسط على أهل الطاعة فحمى حوزته واستو سع فيما يجاوره، فأمتد إلى حصن قسطلونة وغيره، واستفحل شره، وكان ذلك في أوائل عهد الأمير عبد ، فبعث إليه هذا الأخير قائده "عبد الملك بن عبد الله بن أمية" كما يذكر ابن حيان «...فأظهر الإذعان بعد وقيعة جرت عليه، والتزم دفع قطيع من المال...» ولكنه نبذ الطاعة كما يذكر ابن حيان «...وعاد إلى غيه، وإلى عميد المخالفين عمر بن حفصون...»[3]، وبلغت الدرجة بهذا الثائر إلى أن زوج ابنته من جعفر بن عمر ابن حفصون، ولاشك أن هذا كان سلاحا ذو حدين أولا: نكاية في العرب وثانيا: طمعا في الحصول على مساعدة ابن حفصون لتثبيته على المناطق الواقعة تحت سيطرته[4] ويبدو أن الإمارة كانت في حالة ضعف، فكانت تقبل بحكم المتمردين للمناطق المتمركزين بها شرط دفع جزء من المال إلى خزينة قرطبة.

ولا يستبعد الباحث "محمد بن إبراهيم أبا الخيل" أن يكون الحلف الذي انعقد بين ابن حفصون و"محمد بن لب القسوي" سنة (285 هـ/898م) قد شارك فيه "ابن الشالية"، بحيث أن مكان اللقاء كان قريبا من حصن هذا الأخير، ومن الممكن أن يكون "ابن الشالية" هو الطرف الثالث والراعي لهذا الحلف[5]، وهذا استنادا إلى قول ابن عذاري الذي ذكر أن ابن الشالية قاتل بعض النصارى الذين حاربوا لب بن محمد وذلك دفاعا عنه[6].

ورغم أن ابن الشالية كان يسيطر على حُصون كثيرة قريبة من العاصمة قرطبة إلا أن المصادر لا تذكر توجيه حملات مكثفة لهذا المتمرد، وذلك دليل على أنه كان يريد حكم هذه المناطق بعيدا عن مناوءة سلطان قرطبة، وكان يطمع في تكوين إمارة بعيدا عن كل الصراعات، ثم إنه اتخذ القصور والمباني

---

[1] ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث ، ص24.

[2] جبل سمنتان "Somontin" يقع هذا الجبل بين مدينة "لينارس" ونهر الوادي الكبير، أنظر: محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام... القسم الأول، العصر الأول، ص330، هامش رقم (2).

[3] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص ص9-10.

[4] Lévi. P. Histoire …p339.

[5] محمد بن إبراهيم أبا الخيل، مرجع سابق، ص162.

[6] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص139.

الضخمة، وقصده الشعراء والأدباء من كل مكان، وأجزل لهم العطاء[1]، وظل على هذه الحـــال إلى أن انقضى عهد الأمير عبد الله سنة (300 هـــ/912م).

3 – سعيد بن هذيل بحصن المِنتلون[2]Monzon:

تمركز هذا الثائر "بحصن المِنتلون" الذي شيده وأحكم بنيانه وبنى قصبته كما يذكر ابـــن حيـــان ومنه:«...أعلن بالخلاف صدر أيام عبد الله فغزى إليه القائد "عبد الملك بن عبد الله بن أمية" بـــالجيش فأذعن بالطاعة، والتزم قطيعا من الجباية...»[3] ، ولكنه نكث الطاعة وعاقد عمر بن حفـــصون عميـــد المنشقين عن الإمارة الأموية، وكانت ردة فعل الأمير عبد الله أن أخرج إليه قائديه على جيوشه، عمـــه هشام بن عبد الرحمان ومحمد بن أبي عبدة، حين وصل الجيش الأموي إلى حصن المنتلون، بدأ في إتلاف الزروع المحيطة بالحصن، فأغتاظ ابن هذيل من ذلك، وخرج إليهم، والتقى الفريقان في معركة ضـــارية، فكانت «...بينهم جراح فاشية، وقتال شديد...فأرسل ابن هذيل يطلب الأمان...» فأجيب إلى ذلك بعد أن قدم رهائن من رفاقه[4].

لم يلتزم ابن هذيل بهذا العهد، بل استمر في غيه حتى وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة، وذلـــك عن طريق مساعدة الخارجين عن طاعة الإمارة الأموية، ومنهم الثائر البربري "عمر بن مُضم" الذي أمده بمجموعة من الجنود ولكن فور انكشاف أمره عمل على «...تخذيل أصحابه الذين أمـــده بهـــم –أي لعمر– عند اللقاء...»[5].

عاود "ابن هذيل" الاتصال "بابن حفصون" وعقد معه حلفا، وانضم إليهما الثائر المولدي الآخـــر "سعيد بن مستنة" وكان ذلك سنة (297 هـــ/909م) واتفقوا على العصيان، ومحاربة السلطة الأموية فسارعت هذه الأخيرة لفض هذا التحالف بكل الوسائل، فسيرت إليه القائد "ابن أبي عبدة" الذي هـــزم القوات المتحالفة حيث يذكر ابن عذاري أنه«...إبتنى حصن ترضيض، وحصن قلعة الأشعث ووضع فيه

---

[1] عبد المجيد النعنعي، مرجع سابق، ص292.

[2] حصن المنتلون:يطلق عليه الآن بالاسبانيةMonzonبلدة تقع في الطريق بين وشقةHeusca ولاردةLerida،وهي على بعد71 كلم الى الجنوب الشرقي من وشقة،أنظر: ابن حيان،مصدر سابق،تحقيق:محمود علي مكي،ص617،هامش رقم550.

[3] ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث ،ص ص25-26.

[4] نفسه ، ص115.

[5] نفسه، ص25.

ندبا من الرجال...»[1]، ويعتقد أن الغرض من هذا كان مراقبة وصد أي ردة فعل جديدة من جانب ابن هذيل وحلفائه ، وبالرغم من أن الإمارة الأموية لم تستطع القضاء على هذا الثائر إلا أنها تابعت إرسال حملات متتابعة إليه، وظل ابن هذيل مجاهرا بعصيانه حتى وفاة الأمير عبد الله، الذي لم يتمكن من القضاء عليه.

ج – ثورات المولدين في منطقة "ألبيرة":

1 – ثورة "سعيد بن مستنة "في منطقة باغة" Priego:

يُعتبر سعيد بن مستنة من زُعماء المولدين البارزين الذين وقفوا في وجه الإمارة الأموية، زمن الأمير عبد الله، فقد سيطر على مجموعة من الحصون المطلة على مدينة باغة، وقد حدد ابن حيان هذه الحصون «...التي ظهر عليهاوهي أربعة لا مثيل لها في المنعة: الغالية، النظرة، لقونش، وأقوط...»[2]. وليقوي "ابن مستنة" من مركزه، ويثبت وجوده، فقد عمل على عقد عدة تحالفات، فنجده يوافق «...ابن حفصون في الرأي والمعصية والميل على العرب...وقام معه بنو مطروح الثلاثة، حارث وعون وطالوت فبسطوا على أهل الطاعة، وأحدثوا الأحداث المنكرة...»[3].

ويبدو من خلال ما أورده ابن حيان أن "ابن مستنة" كان يسعى جاهدا للاستقلال وحكم الأراضي التي يسيطر عليها وفي سبيل تحقيق هذا المأرب، فقد سعى بكل الوسائل لإشاعة الفوضى والاضطراب في نواحي شتى من ألبيرة.

وكرد فعل على "ابن مستنة"، فقد استعانت جموع الناس –والذين كانوا قد سئموا من تصرفات "ابن مستنة" في أراضيهم– بالأمير عبد الله في القضاء على هذا المتمرد، فأرسل إليه الأمير جيشا سنة (276 هـ/889م) ومن أجل تسهيل مهمة الجيش في هذا الأمر، فقد عمل الأمير على الإيقاع بين "ابن مستنة" وابن حفصون، لكن هذا الأخير تنبه إلى ذلك، وبعث إلى حليفه ابن مستنة يعلمه بالأمر و«...يوصيه بالثبات على الدعوة المولدية وضمن له تخفيف وطأة الجيش الذي هو فيه عنه، وفعل ذلك... »[4]. وكان هذا سببا في دفع الحليفين للمُضي قدما في التعاون من أجل الإطاحة بعرش الأمير

---

[1] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص146.

[2] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص27.

[3] نفسه ، ص27.

Claudio. S. op.cit. p:211

[4] ابن حيان، نفس المصدر ، ص 91.

عبد الله، وفعلا شارك ابن مستنة إلى جانب ابن حفصون في معركة "بلاي" سنة (278 هـــــ/891م) والتي انهزم فيها الحليفان شر هزيمة.

لقد ذكرنا سابقا أن ابن حفصون هادن الأمير عبد الله بعد هزيمته في معركة "بلاي"، ولكن "ابن مستنة" استمر في عمله العدائي تجاه الإمارة الأموية فبادر الأمير عبد الله إلى المسير إليه بنفسه في السنـــة الموالية (279 هـــ/892م) وقصد مدينة "باغة" معقل الثائر "ابن مـــستنة" «...فحاصـــرها، وذهـــب بزروعها وإنتسف أشجارها...حتى أجهد أهلها...فدعا أميرهم الفاسق سعيد بن مستنة عند ذلـــك إلى الطاعة، فأجابه الأمير...»، واشترط عليه الأمير هدم حصن "كركبولية" بنفسه ففعل ذلك بمرأى مـــن الأمير حتى غادره قاعا صفصفا [1].

وقد ساعد الوضع المُتأزم الذي آلت إليه حال الإمارة في تلك الأيام على عودة "سعيد بن مستنة" إلى العصيان من جديد، لكنه تجنب المواجهة المباشرة والدليل على ذلك أن الأمير سير إليه حملـــة ســـنة 281هـــ/894م بقيادة عبد الملك بن أمية الذي نازل بعض الحصون التابعة للمتمرد، لكن ابن مستـــنة فر من حصنه، و لم يكن له أثر هناك[2].

في حين ضلت العلاقة مصلحية بين ابن مستنة وابن حفصون، حتى أواخر عصر الإمارة، ذلـــك أن "ابن مستنة" ما إن اضطربت أحواله مع الإمارة حتى توجه صوب الحليف العدو ابن حفصون، فنجـــده في سنة (295هـــ/907م) يتخلى لابن حفصون عن «...حصن بلدة...وظافرة وأبدى ما كان بضميره من العصيان...»[3]، ولكن الأمير وبفضل تمرس جيشه استطاع القضاء على هذا الحلف الجديد.

بعد هاته الهزائم المتوالية "لابن مستنة" ،تلقى ضربة مُوجعة بعد أن قُتل عامله على قرية "آشر""فضل بن سلمة" وكان ذلك في أواخر عصر الإمارة وبالضبط في سنة (298هـــ/910م) حيث أورد ابن عذاري قوله «...فتقرب أهل حصن آشر بقتله إلى الإمام عبد الله...فشكر لهم ذلك...»[4] ، وظل ابن مستنة بعد هذا يبدي الطاعة تارة ويُضمر العصيان تارة أخرى إلى حين انقضاءعهدالاميرعبد الله.

---

[1] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ، ص106-107.

[2] نفسه، ص110.

[3] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص143.

[4] نفسه، ص147.

2 – ثورة"نابُل والشُميس" في حاضرة" البيرة"Elvira:

تعتبر"ألبيرة" من بين أكثر المناطق سكنا للمولدين،إذ تمثل هاته الفئة النسبة الغالبة من مجموع السكان إلى جانب العرب،وقد كان هذا سببا في ظهور العديد من الصراعات العصبية بين الفئتين،خاصة في عهد الأمير عبد الله الذي شهد أعنف الإقتتالات ،ولعل الشيء الُملفت للانتباه هو تدخل الإمـــــارة الأموية في هذا الصراع بشكل كبير وذلك لإضعاف العصبيتين والتفرغ لبقية التمردات،وفي مقابل ذلك وجد المولدون في هاته الحاضرة دعما من النصارى،وتكتلوا في جبهة واحدة وقاموا بالتضييق على العرب،وبدون الخوض في تفاصيل الأحداث الطويلة بخصوص هذا الصراع،نحاول التركيز على ثورة "نابل والشُميس"،زعيما المولدين الذين حملا لواء التمرد والعصيان ضد العرب من جهة وسلطات قرطبة من جهة أخرى ،هذه الأخيرة التي ما فتئت تدعم العصبية العربية ضد المولدين.

التف المولدون في حاضرة البيرة حول زعيمهم نابل وقـــاموا بالإغـــارة علـــى بعــض حـــصون العرب،ومنها حصن "مِنت شاقر"،وتمكن المولدون من طرد العرب شر طردة من هذا الحصن،كما تمكنوا من قتل زعيم العصبية العربية"يحيى بن صقالة"،وكان ذلك سنة(276هــ/889م)[1]،ولكن هذه الأحداث كانت وبالا على المولدين،حيث تزعم عصبية العرب بعد "ابن صقالة""سوار بن حمدون"،ويبدو أن هذا الأخير اشترك مع الزعيم المقتول في حربه مع المولدين،ومن المحتمل أن يكون سوار احد النـــاجين مـــن مذبحة"منت شاقر"،إذ أن ابنه عبد العزيز كان من بين القتلى[2].

وبرئاسة سوار للعرب تبدأ مرحلة جديدة من الصراع،إذ اشتدت شوكتهم بهذا الشخص،وشهدت هذه المرحلة دخول الإمارة الأموية مسرح الأحداث، ورأى العرب أن الفرصة مواتية للانتقـــام لمذبحـــة "منت شاقر"ومقتل زعيمهم "ابن صقالة"،وقام العرب في هذه الاثناء بقيادة زعيمهم الجديـــد بمهاجمـــة المولدين بحاضرة البيرة وفتحوا حصونهم حصنا حصنا وقتلوا منهم جموعا كبيرة وغنمـــوا أمـــوالهم،حتى اضطر المولدون للاستنجاد بعامل الإمارة على حاضرة ألبيرة،"جعد بن عبد الغـــافر"الـــذي اســـتجاب لنجدتهم طمعا في الانفراد بحكم ألبيرة ،فخرج في جيش كثيف أغلبيتـــه مـــن المولـــدين وحلفـــائهم النصارى،وقـــامو بالهجوم على قوات سوار،ولكن الدائرة كانت عليهم،إذ قتل من قوات"جعد"ســبعة

[1] ابن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث،ص61

[2] ابن الخطيب ، الإحاطة...،ج4،ص:270

آلاف ووقع هو في الأسر وتعرف هاته الوقعة "بوقعة جعد"[1].

ورغم تدخل الأمير عبد الله في مُجريات الأحداث ومحاولته رأب الصدع ،وبحثه عن حل سلمي للقضية،إلا أن ذلك لم يمنع من تجدد الإقتتال بين الفئتين،حيث عرض على سوار بعض الامتيازات مقابل تخليه عن أعماله العدائية ضد المولدين، فاستجاب سوار لهذا ولكن لأيام معدودات ،حيث يذكر ابن حيان أن الحرب ارتفعت بين الطرفين"...وهدأت الحال وانبسط كل منهم في قراهم وطعموا العافية..."[2]،ولكن هاته الحالة لم تدم،إذ صمم سوار على الانتقام لسلفه،وقام بمهاجمة حصون المولدين مجددا،الأمر الذي اغتاظ له المولدون، ورأو في الصلح الذي تم تحت رعاية سلطات قرطبة مؤامرة ضدهم، وعقدوا العزم في هذه المرة على الانتقام من العرب ومن والاهم فهاجمو حصن غرناطة في عدد يزيد عن العشرين ألف من الرجال،وضيقو على من فيه من العرب،وجرت بين الطرفين معركة طاحنة كان الانتصار فيها للعرب،وسميت هذه الوقعة في المصادر التاريخية "بوقعة المدينة"[3]

أضحى العداء واضحا بعد وقعة المدينة بين العرب والمولدين من جهة وتحريضات الإمارة الأموية على الاقتتال من جهة أخرى ،وفي هذه الظروف اضطر المولدون إلى الارتماء في أحضان عمر بن حفصون،الذي لبى نداء بني جلدته،حيث شن قائده"حفص بن المرة"هجوما خاطفا على سوار وقواته في حصن غرناطة وتمكن من القضاء عليه،وكان ذلك في أوائل سنة (277هـ/890م)[4].

وبمقتل سواربن حمدون أفل نجم العرب في حاضرة "ألبيرة" التي تلقى مولدوها دعما هاما من الثائر عمر بن حفصون،هذا الأخير الذي استطاع إدخال كورة "ألبيرة" كلها تحت نفوذه،ومن خلال تتبُعنا للأحداث ظهر لنا جليا مدى مساهمة الإمارة في تأجيج الأوضاع بين العرب والمولدين لضرب القوتين ببعضهما والعمل على إضعافهما بكل السبل،وبدا واضحا أيضا أن المولدين كانوفي صراعهم هذا مع العرب يُمهدون للقضاء على الإمارة،وهذا من خلال استعانتهم بعمر بن حفصون وتحالفهم معه،ولكنهم إذ نجحوا في هذا المسعى بشكل جزئي، إلا أنهم فقدو الكثير من رجالهم في مختلف الصراعات التي خاضوها

---

[1] ابن الأبار،مصدر سابق،ج1،ص:149،أيضا:ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث،ص:55

[2] ابن حيان، نفس المصدر ،ص56.

[3] ابن الأبار،مصدر سابق،ج1،ص:150،أيضا:ابن حيان، نفس المصدر،ص:56

[4] ابن حيان، نفس المصدر ،ص ص:60ـ61،أيضا:ابن الخطيب،الإحاطة...،ج4،ص272

رابعا – ثورات المولدين في غرب الأندلس:

أ– ثورة بكر بن يحي في منطقة "أُكشونبة":

يعود الفضل في سيطرة المولدين على منطقة "أكشونبة" وإحكام القبضة عليها إلى والد "بكر" وهو "يحي بن بكر"، وكان ذلك زمن الأمير "محمد بن عبد الرحمان الأوسط"، وحيث أن هذا الثائر قام بدعوة المولدين في هاته المنطقة، ذكر ابن حيان أنه ثار ثورة عارمة في «...أخريات أيام الأمير محمد،وتغلب على "شنت مرية" بأكشونبة، وجمع الرجال واستغلظ أمره إلى أن غلب على جميع كورة أكشونبة...»[1].

ولكن "يحي بن بكر" توفي قبل أن يُحقق مطامعه التوسعية، فخلفه ابنه بكر، الذي جنح إلى الطاعة وملاطفة الأمير عبد الله الذي «...ولاه على بلده فاستوطن مدينة شلب[2] وسط الكورة وعمرها،وقوى ركنته بالرجال وهو في ذلك مقيم على راي أهل بيته في عصبيته للمولدين والعجم...»[3].

ومن خلال ما أمدتنا به المصادر من معلومات، فإن هذا الثائر قد استحكم أمره، وأضحت الإمارة تحسب له ألف حساب، فقد عمل على تقوية مركزه إلى «...أن أصبح السالك بناحتيه،كالسالك بين أهله...»[4] ويُفهم من هذا أن "بكر" كان يريد تكوين إمارة مستقلة بناحيته بعيدا عن الصراع المباشر مع الإمارة التي أصبحت ممزقة الأوصال بسبب اشتغالها بمختلف حركات التمرد.

وغير بعيد من منطقة "أكشونبة" مركز الثائر "بكر بن يحي" برز ثائر مولدي آخر، هو "عبد الملك بن أبي الجواد" الذي ملك حصن "مارتلة" القريب من مدينة "باجة" وكان على صلة وثيقة بابن مروان الجليقي صاحب بطليوس[5] الذي سنتكلم عنه لاحقا، وقد عرف هؤلاء جميعهم بتحمسهم لدعوة المولدين، ويُكنون للإمارة الأموية عداءا شديدا ولكن ظروف الإمارة لم تكن تسمح بالتحرك إليهم نظرا لانشغالها بحرب ابن حفصون والموالين له في جنوب الأندلس كما ذكرنا سابقا.

---

[1] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث ، ص:16.

[2] شلبSilves:وهي قاعدة كورة اكشونبة...وتقع على بسيط من الأرض ولها جنات وغلات ...وهي على بعد ثلاثة أميال من البحر من جهة الغرب...،أنظر:الحميري،مصدر سابق،ص ص:342.

[3] ابن حيان، نفس المصدر، ص16.

[4] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص137.

[5] نفسه، ص 135.

ب- ثورة عبد الرحمان بن مروان الجليقي في منطقة ماردة:

أشرنا فيما سبق إلى أسرة بني "الجليقي" المولدية والتي ثارت على الحكم الأموي منذ عهد الحكم بن هشام الملقب "بالربضي"، وكان ذلك سنة (201ه/816م)، وقد ورث لواء العصيان أحد أفـــراد هاته الأسرة في عهد الأمير عبد الله، وهو "عبد الرحمان بن مروان الجليقي"، الذي سيطر علـــى مدينـــة بطليوس غرب الأندلس، وكان هو الذي بناها «...بإذن من الأمير عبد الله، فأنفذ له —أي الأمير عبـــد الله- جملة من البناة وقطعة من المال...»[1].

وذكر المؤرخ:"كلاوديو سانتشاز" Claudio.S أن عبد الرحمان بن مروان كان قائد السلام في الأندلس، فقد كان على حد تعبيره ، يحمي ويزور المسلمين ويتفقدهم في هاته البلاد[2]، ومـــن دون شك فإن هاته العبارات مألوفة في كتابات المؤرخين الغرب لمحاولة إلقاء اللوم على العـــرب وتحميلـــهم تبعات الحروب التي شهدتها الأندلس.

ولِيتقي الأمير عبد الله شر هذا الثائر، فقد ثبته على مدينة بطليوس ونواحيها، خاصة وأن أحـــوال الأندلس كانت تعج بالثوار، وانتهازا منه لهاته الفرصة، فقد ساهم في أحداث سنة (276هـ/889م) بمنطقة "أشبيلية"، والتي شن عليها غارات كثيفة، وكان هذا بسبب نداء وجهه مولدو أشـــبيلية لعبـــد الرحمان، بعد أن تحالف ضدهم العرب بقيادة أسرة بني خلدون من جانب، والبربر من جانب آخر، فلبى عبد الرحمان النداء كما يذكر ابن حيان و«...أقبل بعسكره من بطليوس حتى نزل قريـــة مـــورة...»[3] ومنها شن الغارات على أشبيلية أياما ثم انصرف إلى قاعدته بطليوس.

توفي عبد الرحمان بن مروان الجليقي بعد عودته من بطليوس، وخلفه ابنه "مروان" الذي أنهكتـــه الحروب مع البربر، وما لبث أن توفي بعد شهرين من وفاة أبيه عبد الرحمان[4]، وقد استفاد الأمير عبد الله من هذه الأحداث ومن الفراغ السياسي الذي أضحت فيه مدينة "بطليوس"، فولى عليها أميريـــــــــن عربيين لم نعثر على اسميهما في المصادر العربية ، حيث يقول ابن خلدون: «...فعقد الأمير عبد الله على بطليوس لأميرين من العرب، ولحق من بقي من ولد عبد الرحمان بحصن شونة، وكان اثنين من أعقـــابه

[1] الحميري، مصدر سابق، ص93.

[2] Claudio. S. op. Cit. P 211.

[3] ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث ، ص69.

[4] سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1998م، ص107.

-Lévi. p . histoire…. p386

وهما مروان وعبد الله ابنا ابنه محمد ، وعمُها مروان، ثم خرجا من حصن شونة، ولحقـا بـآخر مـن أصحاب جدهما عبد الرحمان...»[1].

ولكن العاملين الذين عينهما الأمير عبد الله على مدينة بطليوس تقاتلا، فقضى أحدهما على الآخر فاستغل عبد الله حفيد عبد الرحمان الجليقي الفرصة و«...نازل حصون البرابـرة...» المتاخمـة لمدينـة بطليوس وسيطر عليها، ولكنه ظل في صراع مرير مع "ابن تاجيت" زعيم بربر ماردة، إلى أن انقـضت خلافة الأمير عبد الله[2] الذي ترك الأمور على حالها في هاته المنطقة مخافة فتح جبهة صراع أخرى.

لقد أُفل نجم بني الجليقي في أواخر عصر الإمارة، وكما رأينا فقد ركن أفراد هاته الأسرة خاصـة منهم الأواخر كعبد الرحمان بن مروان الجليقي وأبناؤه من بعده إلى مهادنة الدولة الأموية شرط حكـم المناطق الواقعة تحت سيطرهم، على عكس أجدادهم في عهد الأمير الحكم وابنه عبد الرحمان الأوسـط ولاشك أن ذلك عائد إلى الصراع الطويل مع الإمارة والذي أنهك كاهل هاته الأسـرة، إلى أن جـاء الخليفة عبد الرحمان الناصر الذي قضى على تمردهم كليا.

خامسا – ثورات المولدين في شمال الأندلس (الثغر الأعلى)[3]:

تطرقنا في الفصل الأول إلى عنصر المولدين، وذكرنا أنهم مثلوا نسبة كبيرة في الشمال الأندلـسي ويبدو أن هاته العُدة كانت في صالح المولدين، إذ تقلد معظمهم مناصب هامة في هاته المنطقة شرط أن يبقى هؤلاء موالين لسُلطات قرطبة، ويبدوا أن هذا الولاء كان اسما فقط، إذ شهدت منطقة الثغر الأعلى تمردات عديدة، كان من أبرزها تلك التي قادتها أسرة بنو قسي المولدية. وبعد وفاة الأمير المنذر بن محمد، وتولى عرش الإمارة من بعده أخوه عبد الله، حتى تأججت الأوضاع في شمال الأندلس وكثـر الثـوار الخارجون عن طاعة الإمارة في كل ناحية.

أ – ثورة "محمد بن لب" في القسوي "بتطيلة"[4]:

عند تسلم الأمير عبد الله للحكم بادر في خـطوته الأولى ضد الأسرة القسوية إلى عزل "لب بـن

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون...،ج4 ،ص ص171-172.

[2] نفسه...،ج4، ص172.

[3] الثغر الأعلى:هو المنطقة الشماليةالتي تمتد الى جبال البرتات،أنظر: أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك الغرناطي، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تحقيق: محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج21، الإدارة العامة للنشاط الثقافي، مدريد، 1981-1982م، ص56

[4] تطيلةTUDELA: مدينة بالأندلس بين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة...، الحميري،مصدر سابق،ص133

محمد بن لب" عن حكم مدينة تطيلة، الشئ الذي أثار استياء الوالد "محمد بن لب القسوي"، وكرد فعل على هذا الإجراء بادر هذا الأخير إلى إعلانه الاستقلال بحكم مدن "أرنيط" و"طرسونة" و"المنتشون"وقام بالزحف على مدينة "تطيلة" واقتحامها، وإعادتها إلى نفوذه وظفر بعاملها «...محمد بن طملس قائدالأمير عبد الله...فقتله على باب تطيلة...»[1].

ونظرا للحالة المُزرية التي أصبحت تتخبط فيها الإمارة الأموية، فقد استغل "محمد بن لـــب" هاتـــه الظروف، وتطلع إلى إحكام قبضته على "تطيلة" والسيطرة على المناطق المجاورة لها، ونذكر بالخـــصوص مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى، والتي كانت تحت سيطرة حكم أســـرة "بـــني تجيـــب العربيـــة"[2] ولتحقيق هذا الغرض، فقد تحرك محمد بن لب للسيطرة على مدينة سرقسطة فحاصرها حصارا شـــديدا وفي مقابل ذلك أرسل ابنه "لب" سنة 283هـــ/896م إلى المنطقة الشرقية من الثغر الأعلى، بغـــرض السيطرة عليها والقضاء على نفوذ ثائر مولدي آخر هو "محمد بن عبد الملك الطويل" فانهزم هذا الأخير على حد قول ابن حيان «...أقبح هزيمة وقتل من أصحابه جملة عظيمة، وأسر منهم جماعة فيهم أخـــوه فرتون بن عبد الملك...»[3].

بعد أن حقق الابن "لب" هذا النصر أرسله والده محمد –الذي ذكرنا أنه كان محاصـــرا لمدينـــة "سرقسطة"- أرسله لعقد تحالف مع عمر بن حفصون وكان ذلك سنة (285هـــــ/898م)، ولكـــن الأمور سارت على عكس ما كان يتمنى الوالد "محمد بن لب" إذ قتل وهو محاصر لمدينـــة سرقـــسطة[4] وحين سماع "لب" بمقتل والده عاد أدراجه دون تحقيق أي شئ، كما ذكر ابن حيان فقد «...حال قضاء الله بين الجيشين، وما حاولاه من التمالؤ على الإسلام...»[5].

استمر "لب" على سياسة أبيه، إذ فور عودته إلى سرقسطة عمد إلى حصارها، ورغم المدد والعون الذي قدمه "محمد بن عبد الملك الطويل" لأهالي سرقسطة، إلا أن "لب" تمكن من فض هذا التحالف

[1] ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث، ص16.

[2] العذري، مصدر سابق، ص41.

[3] ابن حيان،نفس المصدر، ص118.

[4] العذري، نفس المصدر، ص36. -Lévi .p. histoire… p389

[5] ابن حيان، نفس المصدر، ص127.

وأسر الثائر "محمد بن عبد الملك الطويل" الذي كان متحصنا بقاعدته "وشقة"، وقتل أكثر من كان معه واشترط "لب" من"محمد بن عبد المـــلك الطويل" مبلغا من المال (قدره مائة ألف دينار) مقابل إطـــلاق سراحه، فسدد له الطويل نصف المبلغ، وزوجه ابنته "السيدة" مقابل المبلغ المتبقي[1]، فكان هذا ســـببا في تلاشي العلاقة العدائية بينهما.

وقد خشي "لب بن محمد" على ضياع الانتصارات التي حققها على حساب جيرانه فبـــادر إلى إظهار الطاعة للأمير عبد الله ومُلاطفته، فما كان على الأمير عبد الله إلا أن «...أسجل له على تطيلـــة وطُرسونة، وأعمالها فتمسك بالطاعة وكف أذاه...»[2].ويبدو أن هذا الولاء وهاته الطاعة كانت من أجل ربح الوقت وتنفيذ المخططات الرامية إلى السيطرة على كامل الثغر الأعلى، فيذكر ابن عذاري أن "لب" خرج سنة (292هـــ/904م) لمحاصرة سرقسطة و«...شرع في البُنيان عليها، فلم كمل له ردم الخندق وبنيان ما فيه، رحل عنه وأدخل فيه ندبة من رجاله...»[3]، وكان غرض لب من هذا العمل الحفاظ على المكاسب التوسعية التي حققها، إضافة إلى التركيز على الجهة الشمالية للثغر، بمراقبة الحدود مع نـــصارى الشمال ومجابهة أي خطر محتمل.

استمر "لب" على هاته الحال إلى أن قُتل سنة(294 هـــ/906م) على يد نصارى الـــشمال في إحدى غزواته إلى بنبلونة[4]، وخلفه أخوه عبد الله الذي آثر مهادنة الثائر محمد بن عبد الملـــك الطويـــل والانضواء تحت لواء الإمارة، و دام هذا الوضع إلى آخر أيام الأمير عبد الله

ب- ثورة محمد بن عبد الملك الطويل [5] "بوُشقة":

عندما تولى الأمير عبد الله الحكم في الأندلس سنة (275هـــ/888م) أظهر محمد بن عبـــد الملـــك الطويل الطاعة، وبادر إلى بيعة الأمير حيث يذكر العذري أنه «...لما ولي الإمام عبد الله كتب إليه بيعته

---

[1] العذري، مصدر سابق ، ص37،ص65.

[2] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص17.

- Lévi. P. . histoire… p389

[3] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص142.

[4] كمال السيد ابو مصطفى،مرجع سابق،ص:70

[5] يعرف بالطويل نسبة إلى طوله الفائق، أنظر: محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، القسم الأول، العصر الأول، ص338 ، وينتمي هذا الثائر إلى أسرة "بني شبراط" المولدية ، أنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص500.

-Lévi. P . histoire… p393

–أي الطويل– وسجل له على وشقة ونواحيها...»[1].

ويبدو أن هذا الثائرإنتهج سياسة سابقيه من المولدين، وتطلع إلى الاستيلاء على أملاك جيرانه ومنهم "إسماعيل بن موسى القسوي"، فتمكن في سنة (276هـ/889م) من «...قتل موسى وأسر مطرف –ابنا إسماعيل– وتغلب الطويل على لاردة وبربطانية...»[2] وبذلك تمكن من ضم المدينتين إلى جملة أملاكه.

وقد حاول الأمير عبد الله الإيقاع بين "محمد بن عبد الملك الطويل" و"محمد بن لب" بقصد إضعاف قوهما، فقام الأمير بضم أملاك "إسماعيل بن موسى" إلى ابن أخيه "محمد بن لب"، ومن جملة الأملاك التي ضمها الأمير إلى "محمد بن لب" مدينتي "بربطانية" و"لاردة"، رغم أنهما كانتا تحت سيطرة الطويل، ولكن هذا الأخير فضل التخلي عن مدينة "لاردة" لمحمد بن لب[3]، وهذا من أجل تجنب الوقوع في فخ المؤامرة التي حاكها الأمير، إضافة إلى أن "الطويل" لم يكن يملك القوة الكافية التي تؤهله لمجابهة "محمد بن لب" والدليل على ذلك الهزائم الكبيرة التي تلقاها على يد "محمد بن لب"[4].

وفي خضم هذه الأحداث فقد لعب الأمير دور المتفرج، مادام أنه اتقى شر الثائرين "محمد بن لب" و"الطويل" وحتى التجيبيين في سرقسطة، وبقي يتابع الصدامات، وقد استفادت الإمارة من هذا الصراع الذي كان في صالحها.

وقد ساعدت أحقاد الطويل التي يكنها لأسرة "بني قسي" في توحيد الكلمة بينه وبين "التجيبيين" في سرقسطة، واستغل "الطويل" فرصة مقتل "محمد بن لب" سنة (285هـ/898م) أثناء حصاره لسرقسطة، فسارع إليها الطويل وأمد أهلها بالمؤن، وأغار على القوات المحاصرة وشتتها، ولكن لب بن محمد كان له بالمرصاد، إذ أسر "الطويل" وقتل جمعا كبيرا من أصحابه[5].

بعد أن أُطلق سراحه استفاد "الطويل" استفادة كبيرة من وفاة "لب بن محمد"، بحيث قضى على نفوذ بني قسي في الشمال الأندلسي وبدأ مرحلة جديدة في التوسع نحو الشمال، وسيطر على حصون

---

[1] العذري، نفس المدر، ج2، ص65.

[2] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث، ص87.

[3] نفسه، ص117.

[4] محمد بن إبراهيم أبا الخيل، مرجع سابق، ص191.

[5] العذري، مصدر سابق،ج2 ، ص65.

"ببشتر" و"القصر" و"بربطانية"، وفي سنة (295هـ/907م) ضم إلى مناطق نفوذه "حصن المنتـــشون" ومدينة "لاردة"[1].

يبدو أن الأمير عبد الله وبانشغاله بفتنة عمر بن حفصون في الجنوب الأندلسي، قد استفاد استفادة عظيمة من النشاط العسكري الذي أبداه "محمد بن عبد الملك الطويل" في الشمال الأندلـــسي، ففـــي السنوات الأخيرة من حكم الأمير خاصة ما بين سنتي (296-299هـــ/ 908- 911م) وجــه "الطويل" حملات عديدة إلى نصارى الشمال، وقتل جموعا كبيرة منهم[2]، وهذا ماجعل الأمير عبـــد الله يركز على منطقة الجنوب للقضاء على عمر بن حفصون وحلفائه.

من خلال ما سبق نستنتج أن مولدي الثغر الأعلى اشتغلوا بالفتن التي قامت بينـــهم أكثـــر مـــن انشغالهم بمحاربة الدولة الأموية، مما كان الأثر البالغ في إضعاف قوتهم، ونعتقد أنه لو شكل المولدون في الثغر الأعلى حلفا موحدا ضد سلطان الإمارة في قرطبة لكانت هاته الأخيرة في خبر كان ،وظلت الأمور على هذا الحال إلى أن تسلم الخليفة الناصر زمام الأمور وقضى على كل أشكال التمرد.

سادسا – ثورات المولدين في شرق الأندلس:

أ – ثورة ديسم بن إسحاق في منطقة "تدمير"Tudmir:

يعتبر الشرق الأندلسي من المناطق التي شهدت تمردات عديدة، ومن مختلف الطوائف، وهذا كغيره من مناطق الأندلس الأخرى، باعتبار المولدين من الطوائف التي خرجت عن طاعة الإمارة، فقد ظهرمنهم ثائر كان يعتبر في أيام الأمير عبد الله الأول من أبرز فرسان عمر بن حفصون وقد ملـــك هـــذا الثـــائر مدينة"لُورقة" وغلظت شوكته وكثُر أتباعه[3].

وبفضل السياسة التي اتبعها "ابن إسحاق"، فقد استطاع أن يكسب قلوب الناس، الشئ الـــذي جعل أنصاره في تزايد، وبهذا غلب على مدينتي "لورقة" و"مرسية" ، وما يليها من كورة تدمير، وكـــان ديسم بن إسحاق كما يذكر ابن عذاري «...مودودا من طبقات الناس، رفيقا برعيته جوادا...»[4].

[1] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص143-144.

[2] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص149.

[3] العذري، مصدر سابق، ص11.

[4] ابن عذاري، نفس المصدر، ج2، ص135.

تنامى نفوذ هذا الثائر بشكل كبير، مستفيدا من انشغال الإمارة الأموية بثورة عمر بن حفــصون واتخذ بلاطا على شاكلة الملوك، وقد كان كما ذكر ابن القوطية «...قد استكثر من الرجال، وشجعان الثغر وابتياع العبيد، حتى بلغ عددهم خمسة آلاف فارس سوى الرجال...»[1].

ولما رأى الأمير عبد الله تعاظم أمر هذا الثائر، جهز إليه جيشا بقيادة عمه "هشام بن الأمير عبــد الرحمان الأوسط" وكان ذلك سنة (283هــ/896م)، وهي السنة التي استعادت فيها الإمارة الأمويــة نوعا من القوة، خاصة بعد النصر الكبير الذي أحرزته ضد ابن حفــصون في معركــة "بلــي" ســنة (278هــ/891م)، وكذلك بسبب السياسة التي انتهجها الأمير عبد الله في الإيقاع بين المتمــردين في شتى أنحاء الأندلس.

وكانت الحملة تحت إمرة القائد "محمد بن أبي عبدة" الذي سار إلى كورة "تُدمير" وبدأ في إستقراء حصونها ونسف كل ما مر عليه من بلاد العصاة إلى نزل على حصن الفاسق ديسم بن إسحــاق على وادي "طادرو"فتلوم هناك أياما على الإفساد والقطع والإحراق، ورغم المقاومة الشديدة الــتي أبــداها رجال ديسم بن إسحاق، إلا أن جند القائد "ابن أبي عبدة" هزموهم «...هزيمة قبيحة حتى رموا بهم في الوادي...» وسار جند الإمارة إلى مدينة لورقة التي تحصن بها "ديسم" بعد فراره إليها ومخافــة مــن أن يُحاصر ديسم داخل المدينة ويقضى عليه، خرج «...في الخيــل والرجــال، فطــاش إلــيهم فرســان العسكر...»[2] واشتبك الفريقان في معركة طاحنة كانت خسائرها كبيرة على حد تعبير ابن حيان.

ومن حُسن حظ ديسم بن إسحاق فإن الظروف الطبيعية الصعبة من أمطار غزيــرة وعواصــف هوجاء، حالت دون القضاء عليه، ولكن القائد "ابن أبي عبدة" عزم على تحقيق مهمته مهما كلف الأمر حيث ذكر ابن القوطية أن ابن ابي عبدة أمر «...أحد العرفاء، بأن يقول: يا أهل تدمير، فيكم ديسم بن إسحاق؟، فقالوا: نعم يسمعك، فقال له القائد...لأِن لم تُضعف ما أمرناك به، لأبتدئن بتغيير هذه النعم فلا أبقي بتدمير حضرا، فصاح بلسانه: الطاعة، الطاعة...»[3].

-Lévi. P. histoire… p340

[1] ابن القوطية، مصدر سابق، ص119 .
[2] ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث، ص117.
[3] ابن القوطية، مصدر سابق، ص119.

وبعد أن أخذ القائد الأموي عهد الطاعة من هذا المتمرد اتجه صوب قرطبة بعد ثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوما من خروجه عنها[1]، وليؤكد ديسم بن إسحاق خضوعه وطاعته للإمارة الأمويـــة، فقـــد ضرب النقود باسم الأمير عبد الله[2]، وظل على حال الطاعة حتى توفي سنة (293هـ/905م)[3]وورثـــه على عرش "تدمير" ابنيه "عبيد الله وأمية" الذين واصلا سياسة أبيهما السلمية تجاه الإمارة حتى انقـــضاء عهد الأمير عبد الله.

لقد رأينا كيف سرى في عهد الأمير ضرام الفتن في كل ولاية، وفي كل مكان من أرض الأندلس وتضاءلت سلطة الدولة بها، ودخلت في سلسلة لا نهاية لها من المعارك المستمرة حتى تمزقـــت أوصـــالها واهتزت أسسها من الأعماق، وضاعت قواها ومواردها [4]،ورغم هذه الظروف الحالكة التي أضـــحت تتخبط فيها الإمارة الأموية إلا أن الأمير عبد الله استطاع بفضل حنكته وصرامته مع المتمردين المحافظـــة على إرث أجداده الأمويين[5]، إلى أن جاء عصر جديد مع عبد الرحمان الناصر الذي استطاع بجهوده أن يوحد الأندلس وينتشل الأسرة الأموية من لحظة السقوط الأخيرة.

---

[1] ابن حيان، نفس المدر، ص118.

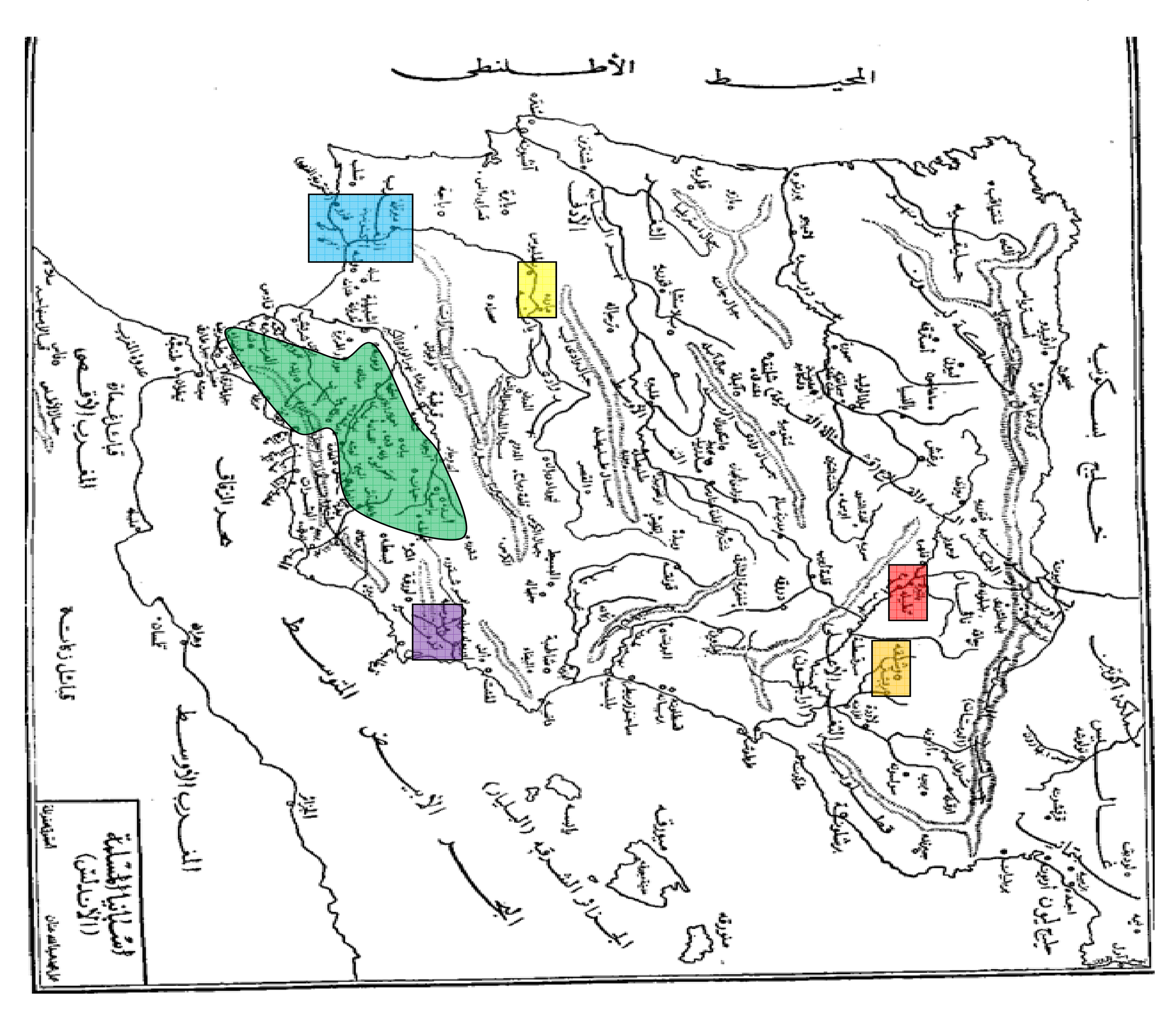
[2] العذري، مصدر سابق، ص12.

[3] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص142.

[4] علي حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م، ص211.

[5] Robertmantran.L'ExpansionMusulmane.7-11Siècle.5ème.Edition.Presses Universitaires.France.1995.p:198.

خارطة تمثل أهم المناطق المسيطر عليها من طرف المولدين عصر في الأمير عبد الله(275-300هـ/888-912م):



المنطقة التي سيطر عليها ابن حفصون .

المنطقة التي سيطر عليها بكر بن يحيى .

المنطقة التي سيطر عليها عبد الرحمان بن مروان الجليقي .

المنطقة التي سيطر عليها محمد بن لب القسوي .

المنطقة التي سيطر عليها محمد بن عبد الملك الطويل .

المنطقة التي سيطر عليها ديسم بن إسحاق

الفصـــــــل الرابع:الآثار التى خلفتها ثورات المولدين على الأندلس

- أولا: الآثار السياسية .
- ثانيا: الآثار الإقتصادية.
- ثالثا: الآثار الإجتماعية.
- رابعا: الآثار العمرانية و الأدبية.

أولا: الآثار السياسية :

1-ظهور الإمارات المستقلة :

لقد مُنيت البلاد الأندلسية في عهد الأمير "عبد الله بن محمد" بانقسامات و إضـــطربات كـــادت تعصف بِوحدها و تقضي على الوجود الأموي في الأندلس الذي عمر أكثر من قرنين مـــن الـــزمن ،و أصبحت الأندلس في هذا العصر مُمزقة الأوصال ،و انتشرت فيها المقاطعات المستقلة التي صارت أشـــبه بالدويلات منها بالولايات ،و ارتدت الأمور على "بني أمية" حلكا و ظلاما ،و تقلص حكمهم حـــتى صار لا يُجاوز العاصمة "قرطبة" .

و تعددت آثار الجانب السياسي الذي خلفته هاته الثورات ، و في حقيقة الأمر يعتبر هذا الجانـــب موضوع مستقل بنفسه ،و لكي لا نُعيد تِكرار الكثير من المعلومات التي مرت بنا سابقا ،نقتصر علـــى ذكر أهم الآثار ،و من أهمها : انقسام الأندلس إلى دويلات صغيرة ،في الفترة موضوع الدراسة ،على أن أهم هاته الدويلات ،دولة "بني حجاج" ،التي قامت في "إشبيلية" .

و لقد تعرضنا في الفصل الأول إلى أصول أسرة "بني حجاج" التي كان لها جذور إسبانية من ناحيـــة الأمومة ،و أخرى عربية من ناحية الأبوة ،و قد عاصر الأمير عبد الله أحد أفرادها و يدعى "ابراهيم بن حجاج بن عُمير بن حبيب اللخمي" الذي أقام الدعامة الأولى لدولة "بني حجاج" ،وقد استغل "إبراهيم" الظروف السياسية المتردية و الصراع الضاري بين الإمارة الأموية من جهة و المولدين بقيادة "عمر بـــن حفصون" من جهة أخرى ليعلن بذلك استقلاله ،و من دون الخوض في التفاصيل الطويلة لتاريخ هـــذه الدويلة فقد استمر وجودها حتى انقضاء عهد الأمير"عبد الله" و مجيء "الناصر لدين الله" الذي قضى على كل شكل من أشكال الانقسام .

ذكر "ابن الخطيب" أن "ابن إبراهيم بن حجاج" «...كبير هذا البيت ،لما كشف الوجه في الخلاف هادن الأمير "عبد الله بن محمد" على أن يُوليه ببلده ،و لا يعرض له ،فرضي منه بذلك...»[1] و يبدو أن الظروف المتردية في عهد الأمير "عبد الله" هي التي أجبرته على الاعتراف باستقلال "بني حجاج" ،و هذا من أجل التفرغ لبقية المتمردين.

و تُعتبر سنة (287هـ/900م) السنة التي قامت فيها هذه الدويلة بصورة واضحة ،حيـــث يذكر "ابن

Lévi P. .histoire … P:359-360

[1] ابن الخطيب ،أعمال الأعلام....،ص:34

حيان" أن الأمير "عبد الله" أطلق سراح "عبد الرحمان بن إبراهيم بن حجاج " من السجن في هاته السنة وأسجل لأبيه على «... "إشبيلية" و لأخيه "محمد" على قرمونة... » و توجه رسول الأمير "عبد الله" إلى "إبراهيم بن حجاج" بالكتب و الخلع فتقبلها هذا الأخير و سُر بها و اشترط عليه الرسول «...ضريبة من المال يحملها إلى الأمير من جباية البلد كل سنة... »[1]

و في واقع الأمر أن الخيط الوحيد الذي كان يربط العاصمة "قرطبة" بإشبيلية، كانت الطاعة الاسمية فقط و المال السنوي الذي يُحمل إلى دار الإمارة بقرطبة فضلا عن بعض الطرائف التي كان يرسلها "ابن حجاج" من هدايا "إشبيلية" إلى عاصمة الإمارة في المناسبات المختلفة .

و من هذا التاريخ عمل "بنو حجاج" على اتخاذ بلاط فاره تسوده الأبهة و الفخامة على شاكلة بلاط "بني أمية" في "قرطبة"، و بلاط "بني الجليقي" في مدينة "بطليوس" ،و جعل "إبراهيم بن حجاج" حرسا خاصا به و بدولته بلغ تعداده على حسب ما رواه "ابن حيان" خمسمائة جندي [2] و اتخذ "ابن حجاج" لمدينته قاض يقوم بالحكم و صاحب مدينة يقيم الحدود ،و جرى في كل ذلك مجرى السلطان في حضرته و لِحماية نفسه من أعدائه قام بتحصين مدينة "قرمونة" و حسن بنيان أسوارها ،و فيها كان مربط خيله المتخذة لركوبه ،كما يذكر "ابن عذاري"[3]

و قد أسهبت مصادر التاريخ الأندلسي في التعريف بشخص "إبراهيم بن حجاج" و عظمة دولته ،و قد وُصف بأنه كان جوادا ممجدا ،و يُجزل العطاء للشُعراء و يضاهي في فعله كبار الأمراء ،و قد عــاش في كنف دولته الأديب المؤرخ "أحمد بن محمد بن عبد ربه" صاحب كتاب "العقد الفريد" و من جميــل شعره في امتداحه "لإبراهيم بن حجاج " في قصيدة طويلة منها:

ألا إن إبراهيم لــُجة ساحل　　من الجود أرست فوق لجة ساحل

فإشبيلية الزهـــراء تزهى لمجده　　و قرمونة الغراء ذات الفضائل [4]

---

[1] ابن حيان،مصدر سابق ،القسم الثالث ،ص ص:130-131

[2] نفسه ،ص:131وما بعدها

[3] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص ص:126-127

[4] ابن حيان ،نفس المصدر ،ص 12.

تعددت الأشعار التي وصفت "إبراهيم بن حجاج" بجميل الصفات ،و لكن ما يهمنا نحن هنا ،أنـــه كيف استطاع "ابن حجاج" استغلال الظروف الهوجاء في عهد الأمير "عبد الله" و يعلـــن انفـــصاله و تكوين إمارة مستقلة تحت حكم عربي ؟ إضافة إلى أن هنـــاك الكثير من الشخصيات التي استطاعت أن تتنصل من حكم الأمويين و تكون دُويلات مستقلة في ظل الظروف السياسية المتردية،مثل البربر بقيـــادة "بني ذي النون" في الشمال الغربي للأندلس ،و عرفت هذه الأسرة أوج قوتها في عهد زعيمها "موسى بن ذي النون" ،و إذا تأملنا جيدا في هاته الفترة فإنه في حقيقة الأمر نستطيع جعل موضوع مستقل لدراسة الكيانات السياسية التي انفصلت عن الإمارة الأموية في عهد الأمير "عبد الله"، و للمزيد عـــن حركـــة الاستقلال التي شهدتها الأندلس إبان هذا العهد جعلنا الملحق رقم(2) خاصا بـــأهم المتمـــردين الـــذين استطاعوا إقامة دويلات

و هكذا أصبحت الأندلس مُنقسمة بين الأمويين في قرطبة و حكام يمثلون مختلف طوائـــف المجتمـــع الإسلامي في الأندلس ،أي بين عرب و بربر و مولدين و موال [1]،و كان معظم هؤلاء يحكمون مناطقهم باستقلال شبه تام ،و عملوا على الزيادة في قدراتهم الحربية و الرفع من مـــستوى التنظـــيم الإداري في الأقاليم التي يحكمونها ،و نذكر منهم على سبيل المثال "بكر بن يحيى" الذي استقل "بكورة أكشونبة" التي بناها و قام بتعميرها حيث كان له على حد تعبير ابن عذاري «...ترتيب و أهبة و رجال شـــجعان ،و عدة موفورة و كان يتشبه –بزعمه– في سلطانه "بإبراهيم بن حجاج" ،و كان له أصحاب للـــرأي ،و كُتاب للعمل ،و كان له عهد مؤكد إلى جميع من في طاعته بإضافة أبناء السبيل ،و قـــراء النـــــزيل ،و حفظ المجتازين ،فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله و أقاربه...»[2].

و قد وصل نشاط القوى المحلية في الأندلس حينذاك إلى أعلى قمته فتصدى مولدو الثغر الأعلى بقيادة "بني قسي" و "بني الطويل" للكيانات النصرانية في الشمال بكل قوة ،و انطلق البحارة الأندلسيون مـــن السواحل الشرقية للأندلس و كرسوا السيادة الإسلامية على جزر "البليار" التي كانت من قبل متأرجحة الولاء بين المسلمين و النصارى ،و كذلك فتحوا مناطق واسعة في جنوب فرنسا و غيرها من المناطق [3]

[1] أحمد مختار العبادي ،في تاريخ المغرب و الأندلس،(ب ط)،مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية ،(ب ت ن) ،ص 172 .
[2] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص:137،ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث، ،ص ص 15-16.
[3] محمد بن إبراهيم أبا الخيل ،مرجع سابق ،ص :424.

وهذا كله لدليل على انفلات زمام الأمور من أيدي الأمويين إلى أشخاص كُثُر عملوا علـــى تقويـــة نفوذهم و السيطرة على أقاليم شاسعة من الأندلس،و في ظل هذه الظروف كان الأمير "عبـــد الله" في أغلب الأحيان يقف بمقام المتفرج بهذه الأحداث الخطيرة ،التي كادت في كثير من الأحيـــان أن تمحـــو مبكرا آثـــار الوجود الإسلامي بالأندلس،حتى مجيء "الناصر لدين الله" الذي استطاع تأخير أفول أسرته لفترة فاقت القرن من الزمن.

ولاشك أن الأحداث الدامية التي تطرقنا إليها في الفصل الثالث تبرز مدى الوهن السيـــــاسي الذي كانت الإمارة الأموية تتخبط فيه، فكثرة المتمردين و انتشارهم في كل ناحية ،أجبر سلطـــات "قرطبة" على الاعتراف بالأقوياء منهم ،و القضاء على الضعفاء ،فكلما تحركت قوات الإمارة لإخضاع إقلـــيم معين نفر متمردون في أقاليم أخرى إلى الثورة و شقوا عصا الطاعة ،من دون أن ننـــسى النـــصارى في الشمال الذين استغلوا هاته الظروف أحسن استغلال ، و هاجموا المسلمين في الشمال في أكثر من مناسبة و لا شك أن العامل الوحيد الذي حفظ للإمارة تماسكها ،هو الصراع الذي كان ينشب من حين لآخر بين هاته الكيانات و الذي ساهم في أضعافها ،و إلا فكيف كانت الحال لو اتحدت في مجموعهـــا ضـــد سلطان "قرطبة" ،و استمرت الحال كذلك إلى أن جاء الناصر الذي وحد الأندلس تحت راية الخلافة .

2- انتشار التشيع لآل البيت:

كانت بلاد المغرب و الأندلس في العصر الوسيط أرضا خصبة لانتشار المد الشيعي و الحركـــات الخارجية بمختلف أنواعها ،إذ صادف ظهورها في الأندلس تمزق في الوحدة السياسية للـــبلاد عامـــة و الإمارة الأموية على الخصوص ،و لا شك أن فترة الأمير "عبد الله" محور الدراسة كانت الفترة الأهـــم التي ظهر فيها مثل هذا النوع من الحركات ،و قد حاولت هاته الحركات الإستفادة من الثورات الـــتي قامت لتجعل من المناخ السائد قاعدة لنشر مبادئها ،و نذكر على الخصوص حركة الداعي الشيعي "ابن القط" الذي ظهر في زمن كانت الإمارة الأموية فيه تعاني من مشاكل انفصال الأقليات ،أو تكاد تلفـــظ أنفاسها الأخيرة .

على أنه كما ذكرنا سابقا خلال الفصل الثاني و الثالث ،واجهت الإمارة الأموية أخطر ثورة امتدت أكثر من ثلاثة عقود من الزمن و هي ثورة "عمر بن حفصون" ،و شملت فترات كل من الأمراء "محمـــد بن عبد الرحمن" و ابنيه "المنذر" و "عبد الله" إضافة إلى حفيد هذا الأخير الخليفة "عبد الرحمان الناصـــر لدين الله" ،و استغل هذا الثائر انشغال الإمارة بمختلف الإنزلاقات السياسية ليعلن تأييده للعلويين ببلاد

المغرب و المشرق عله يفوز بتأييدهم و منهم :"إبراهيم بن القاسم بن إدريس بن إدريس" صاحب البصرة و الذي كان عمر بن حفصون يخطب له [1] ،كما حاول "ابن حفصون" ربط علاقات متينة مع الـــشيعة "الإسماعيلية" بالمغرب بقيادة "عبيد الله المهدي" ،هذا الأخير الذي حاول استغلال فرصة إرسال داعيـــين إلى "عمر بن حفصون" في منطقة "رية" لنشر المذهب الإسماعيلي بالأندلس كما أرسل معهما كمية من الذخيرة والسلاح، و يبدو أن نية الحليفين كانت متناقضة ،و اكتفى الداعيين بالإقامة علـــــــى أرض الأندلس لعدة سنوات شاركا خلالها في مختلف حروب "ابن حفصون" ليعودا أدراجهما إلى المغـــرب و معهما هدية من "ابن حفصون" إلى "عبيد الله المهدي"[2] وعلى أية حال لم تكن نية "ابن حفصون" ترمي إلى إعتناق هذا المذهب أو ذاك ،و لم يكن مخلصا للدعوة "العلوية" و لا "الإسماعيلية" ،بل كان يتخذهما مطية لأغراضه السياسية و التوسعية على حساب الإمارة و مُكايدا بها للأمويين في "قرطبة" متى شاء[3] .

و إلى جانب الثائر "عمر بن حفصون" الذي سعى بكل السُبل الى كسب ود و مـــساعدة أعـــداء الإمارة تظهر شخصية مغامر آخر ،حاول استغلال الأوضاع السياسية المزرية في الأندلس ،ليجعل منها مسرحا لأفكاره و هو "أحمد بن مُعاوية بن هشام بن معاوية ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية" المعروف "بابن القط".

كان "أحمد" هذا من أهل العناية بالعلم و الصناعة و النِجامة و معرفة الهيئة ،و كانت له حركة ،وفيه شراسة ،و قد خرج زمن الأمير "عبد الله بن محمد"- أوان ارتجاج الفتنة- يطلب الدولة و يظهر الحسبة و الرغبة في الجهاد ،إلا أنه كان يتكهن و يموه ،و اجتمع إليه خلق عظيم يقال أنهم بلغوا بـــين خيـــل و رجل ستين ألفا أكثرهم من برابِر الجوف و الغرب و من أهل "طليطلة" و"طلبيرة"[4] كما استطاع هـــذا المغامر كسب ود و تأييد البربر عن طريق تنبؤاته و دعواته للجهاد ضد النصارى ،ثم ادعى أنه المهدي

[1] ابن حزم الأندلسي ،جمهرة أنساب العرب، ج1،ص:50.

[2] ابن الخطيب ،أعمال الأعلام.....،ص:32،أيضا:سامية مصطفى مسعد،العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافـــة،(300-399ه/912-1008م)،ط1،عين للدراسات والبحوث،مصر،200م،ص83

[3] محمود علي مكي ،التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف ،صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،مج2، ع1+2 مطبعة المعهد المصري ،مدريد،1954،ص:101.

[4] ابن الأبار ،مصدر سابق ،ج2،ص ص:368-369.

المنتظر ،حتى صار أتباعه يعتبرونه النبي القادر على صنع المعجزات [1] ،و على الرغم من أن هذا الثائر كان أحد أفراد البيت الأموي إلا أن اللون الفاطمي كان واضِحا على حركته كل الوضوح ،على اعتبـــار أن تسميته لنفسه بعدة ألقاب منها "المهدي" و "فائز الدين" و "عاصم المسلمين" و هي ألقاب لم يذكر لهـــا قبيل بالأندلس من ذي قبل ،و قد تشبه إلى حدكبير بمهدي الشيعة الإسماعيلية أي إنسان يجـــري عليه ما يجري على البشر من حياة أو موت ،و هذا بخلاف الشيعة الإثناعشرية الذين يعتقدون بأن المهدي لم يمت بل هو حي يرزق ،اختفى في سرداب و أنه يضل كذلك حتى يظهر مرة أخرى حين تستدعي الأحوال ظهوره [2] .

و قد أصاب"إبن القط"حين اختار البربركتجربة لأفكاره لأنهم أكثـــر ســـذاجة مـــن العناصـــر الأُخرى،إضافة إلى أنهم كانوا يتحينون الفرصة المناسبة التي تجمع شملهم للانقضاض على سلطان "قرطبة" و اعتمد هذا الداعي كوسيلة لإيهام البربر ،على إظهار بعض كراماته المتمثلة في إحاطته بالعلوم تـــارة و تأثيره عليهم بواسطة تكهنه لهم تارة أخرى، و قد مارس "ابن القط" على أنصاره السحر و الكهانة كما فعل داعي الإسماعيلية "عبيد الله الشيعي" بالمغرب.

إضافة إلى أن "ابن القط" اتخذ لنفسه داع يجمع شمل أنصاره و يرتب له الأمور على شـــاكلة داع الإسماعيلية "أبا عبد الله الشيعي" بالمغرب ،حيث أن داعي "ابن القط" إسمه "أبي علي السراج" ،و يذكر "ابن حيان" في هذا المقام أن "السراج" ادعى إقامة الحق و إزهاق الباطل ،فاستغوى طرائـــف النـــاس و استأ لف قبائلهم و تكهن لهم و أجمل موعدهم ،فأضلهم و أعمى أبصارهم ،و دعاهم إلى إقامة الجهـــاد و حركهم لنصرة الدين ،و ذم إليهم إمامهم "عبد الله" أمير الجماعة.[3]

و في ظل الظروف السياسية المُتردية التي طبعت الأندلس في أواخر النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ،استغل الشيعة هذا الأمر في إرسال جواسيسهم نحو الأندلس بغرض تقصي حقيقة الوضـــع ،و استغلال الفرصة المناسبة لبسط نفوذ المذهب الإسماعيلي على بلاد الأندلس ،فكان الجواسيس يدخلون

[1] ماريا إيزابيل فِييرو ،الزندقة و البدع في الأندلس ،ترجمة :يعقوب دوابي،مجلة الحضارة العربية الإسلامية في الأنـــدلس ، ج2 ، ط1 تحرير :سلمى الخضراء الجيوسي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،1998م،ص:1251.

[2] محمود علي مكي ،مرجع سابق ،ص:102.

[3] إبن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ،ص ص 133-134.

تحت غطاء التجارة أو طلب العلم أو السياحة الصُوفية، و هذا بغرض التعرف على المداخل الـسهلة و مواطن الضعف و دراسة النظم السياسية و الدينية ثم القيام ببث الدعاية قدر المستطاع.[1]

و إلى حد كبير نجح "ابن القط" في بث دعوته بين بربر الثغر الأوسط و الأدنى ،و لقيت ترحابا كبيرا منهم ،على إعتبارأنه وعدهم بالانتقام من ملك "إشتوريس" "ألفونسو" وتحقيق النصرعليه ،وكذلك تدمير قلاعه القريبة من الأراضي الإسلامية لا سيما قلعة "سمورة"[2] "Zamora" و لتحقيق اللحمة بين بربر الثغر الأدنى و الأوسط و تقريبهم إلى صفه أكثر اصطنع "ابن القط" بعض الحيل لإبهار الجموع المنهالة عليه ،فذكر ابن حيان أنه أوهمهم بأنه «...لن يأتي مدينة و يدنوا إلى صورها إلا خر قدامه و انفتحت له حتى فُتن به كثير من الناس...و أقاموه مقام النبي الصادق...و زعموا أنه كان يأخذ عدة أعواد يابسة ،فيضعها في كمه ،و يشد عليها شبه المُعتصر حتى يقطُر منها رشح يشبه الماء...و يقول هذا من بعض ما أعطانيه الله من الكرامة و سأريكم أكثر من هذه في أوقاته... »[3]

لقد فُتن "بابن القط" الكثير من ضعفاء العقول ،و سُفهائهم ،و بادر إلى رفقته خلق عظيم خاصة من "ماردة"و "بطليوس" و"طليطلة"و "طلبيرة" ووادي الحجارة ،فاجتمع إليه كما ذكرنا حوالي ستين ألفا من الرجال و الخيل ،و تهافتوا حوله إلى الجهاد ضد "إشتوريس" التي طالما عان سكان هاته المدن من ضرباتها القاصمة بسبب تعاوُنهم مع الإمارة الأموية ضدها.

بعد تنامي قوته و تكاثُر أنصاره رأى "ابن القط" أن الفرصة مواتية للتحرك نحو الطاغية "أذفونش" و بالفعل فقد تحرك "ابن القط" بقواته قاصدا قلعة "سمُورة" "باشتوريس" ،عبر "وادي تاجة"وكان هذا في سنة(288هـ/901م) ،و انتهى به المطاف عند الشق الجنوبي لنهر "الدويرة" ،و كتب في هذه الأثناء إلى الطاغية "أذفونش بن أردون" ملك جليقية و جميع من اجتمع إليه من وجوه النصرانية كتابا يدعوهم فيه إلى الإسلام ،و يُنذرهم بالصاعقة، و أمر "ابن القط" رسوله أن يستعجل منه جوابه و لا يتوقف عندهم ، و إن هم أبو من مجاوبته عاد بالخبر إليه .[4] وقد اغتاظ "ألفونسو" كثيرا لهذا الأمر ،و صمم على

---

[1] أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي،ثلاث وثائق في محاربة البدع والأهواء في الأندلس:مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى تحقيق :محمد عبد الوهاب خلاف،ط1،المركز العربي الدولي للإعلام،القاهرة،1981م،ص44،أيضا: محمود علي مكي ، نفس المرجع ص 111 و ما بعدها.

[2] سمورة:وهي في أرض قشتالة، وهي من المدائن الكبار والمشهورة...،أنظر:الزهري،مصدر سابق،ص106 .

[3] إبن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث ،ص 135.

[4] نفسه ،ص 136.

القضاء على "ابن القط" و اعتبر ذلك استخفافا بشخصه ، فزحف بنفسه نحو حوض نهر"الدويرة" لُملاقاة "ابن القط" ،حيث وقعت المعركة في هذا المكان ،و كان النصر مبدئيا لقوات "ابن القط" بقتل الكثير من المشركين.

و في هذه الأثناء رأى "زعال بن يعيش" و رجال بربر "نفزة" ما فتح الله لهذا الداعي ،فحـسدوه على هذا النصر لأنهم رأوا فيه الزعيم الجديد الذي يسلُبهم مكانتهم فقرروا الغدر به ، و قالوا فيما بينهم «... إن تم لهذا الرجل هذا الفتح العظيم ،و انصرف إلى ما قبلنا لم نسكن بلدنا...فهلم فالنُقر عليـــه الهزيمة... »[1]،و استطاع "زعال بن يعيش" استمالة الكثير من البربر و تحريضهم ضد "ابن القط" الذي لم يبقى معه إلا نفر قليل .

وصلت أنباء هذا الانشقاق الذي حصل في صفوف قوات "ابن القط" إلى مـــسامع "ألفونـــسو" فكانت فرصته للانتقام من الهزائم التي لحقت به ،فسارع إلى استجماع من بقي من قواته ،و انقض على المسلمين بأن باغتهم و فرق جُموعهم التي فرت إلى نهر "الدويرة" عبر طريق العودة ، و هنـــا اســتغل "ألفونسو" تدافعهم عند عبورهم للنهر ، فأحل بهم مقتلة عظيمة و أدرك "ابن القط" أنه غير ناج مـــن الموت حيث ذكر ابن حيان أنه «...همز فرسه و استعرض العدو مقبلا عليهم بوجهه فقاتل حتى قتل ،و جُز رأس الداعي "ابن القط" فجيء به إلى الملك "أذفونش" فأمر بنصبه على باب "سمورة"... و تعــرف هذه الواقعة عند أهل الثغر بيوم "سمورة" و كانت لعشر بقين من رجب سنة ثمان و ثمانين و مائتين...»[2] الموافق ل10 يونيو 901م.

3- تنامي الترعة الشعوبية:

تُعتبر الترعة الشعوبية من بين الآثار التي خلفتها ثورات المولدين لدى هاته الفئة ،و قد تعدت بذلك لتشمل عناصر أُخرى مثل "الصقالبة" و "الموالي" أو حتى العرب أنفُسهم الذين امتازوا بعصبية كبيرة كما مر بنا مع أحداث كثيرة سابقة، بدون أن ننسى فئة المستعربين التي رأت أن وجود الإسلام في الأندلس ككل خطر عليهم و على بني جلدتهم ،و لأن التجارب بينت تضعضُع حال الأسرة الأمويــة و عـــدم قدرتها على التحكم في زمام الأمور، فإن هاته العناصر رأت في هذا فرصة للمناداة بأفكارها على أننا في هذا السِياق نُحاول التركيز على عنصر المولدين محور الدراسة ،و كيف أنهم استغلوا مختلف الظروف

[1] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث ،ص ص:136-137

[2] نفسه، ص :136،عبد المحسن طه رمضان ،مرجع سابق ،ص ص:500-501.

لينادوا بهذه الفكرة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ،و قبل ذلك نحاول التعرف على مدلول هاتــه الكلمة أولا ثم أهم مظاهرها بالأندلس في هاته الفترة .

أ–تعريف الشعوبية :

الشُعوبية لغة مشتقة من الشعب و جمعه شعوب و هو الجيل من الناس و هو أوسع من القبيلة ،أمــا معنــاها الاصطلاحي فهو انتصار فريق من الأعــاجم للشعوب المغايرة للقبائل [1] ،و يعرفها "الألوسي " بقوله: «فرقة من الناس سُمُو بذلك لإنتصارهم للشعوب دون القبائل» [2] ،و جاء في لسان العرب لابــن منظور:«و قد غلبت الشعوب ،حتى قيل لمحتقر العرب شعوبي ،أضافوا إلى الجمع بغلبته على الجيل الواحد و الشعوبي الذي يُصغِر شأن العرب و لا يرى لهم فضلا على غيرهم » [3] و إذا تأملنا في قوله تعالى «يأيها الذين آمنوا إنا جعلناكم شُعوبا و قبائل» [4] ،وجدنا أن مصطلح القبائل يخص العرب و مصطلح الشعوب يخص العجم و في هذا الصدد يذكر "ابن عبد ربه" [5] أن الشعوبيين اتخذوا مـــن الآيـــات القرآنيـــة و الأحاديث النبوية التي تشير إلى المساواة بين جميع الناس حجة على المسلمين، و مثال ذلك قـــول الـــنبي (صلى الله عليه و سلم) و قوله أيضا «أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية و فخرهـــا بالآبـــاء ،كلكم لآدم و آدم من تراب ،ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى» [6] .و إذا أمعنا النظر في هـــذه الحجج التي اتخذها الشعوبيون ضد العرب على هذا النحو تبين أن العرب ساهموا بطريقة أو بـــأخرى في تفشي هذه الظاهرة في المجتمع الإسلامي في وقت مبكر ،و قد تعددت المفاهيم التي قامت عليهـــا هاتـــه النزعة ،فنجدها في بعض الأحيان تقوم على قاعدة المساواة بين كل الأمم ، و أنه لا فضل للعرب علـــى غيرهم و أحيانا أخرى على مبدأ الأفضلية أي على نزعة احتقار العنصر العربي ،و تجاوز الأمر إلى حـــد اعتبار العرب أحط الأمم .

---

[1] عبد الهادي الفكيكي ،الشعوبية و القومية العربية ،ب ط،دار الآداب ،بيروت ،1961م،ص13.

[2] السيد محمود شكري الألوسي،بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،ج1،شرح وتصحيح:محمد بهجة الأثري،بيروت،دار الكتـــب العلمية ،1314ه،ص160وما بعدها .

[3] إبن منظور ،مصدر سابق ،ص :227.

[4] الآية : (13) ، سورة : الحُجُرات .

[5] إبن عبد ربه ،مصدر سابق ،ج3،ص ص251-252.

[6] إبن الحُسين مُسلم ابن الحجاج ابن مُسلم ابن ورد النيسابوري(ت261هــ) ،صحيح مُسلم ،ج 2 ، (ب د) ، دار الكتب العلمية بيروت ،(ب ت ن) ،حديث رقم :2699

هذا إلى جانب أن الشعوبية تألفت من عدة جنسيات ،تجمعهم رابطة الكره للإسلام و المــسلمين و التنكر لمبادئ هذا الدين و تعاليمه السمحاء ،فالشعوبية جنسية أممية يتمتع بشعارها الفارسي و التركي و الزنجي و الهندي و البربري و الاسباني و غيرهم[1] ،و على هذا النحو فالشعوبية ليست حركة فئة معينة أو طبقة اجتماعية إن جاز التحديد ،بل إنها تمثل الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لزعزعة السلطان العربي و لإضعاف الإسلام و إرباكه و لصد تيار الثقـــافة العربية الإسلامية ، و كل من هؤلاء الشُعوبيين يُفاخر بنفسه سواء كان فارسيا أو أوروبيا أو إسبانيا [2] .

لم تظهر الشُعوبية بشكل مفاجئ فجذورها تمتد إلى البدايات الأولى للفتح الإسلامي و لكنها ظلت خافتة مدة من الزمن ،و يعود السبب في ذلك كون تعاليم الإسلام الحنيف و مبادئه السياسية كانـــــت متغلغلة في نفوس الحُكام مُتغلبة على العصبية العربية ،إضافة إلى أن المسلمين الجدد كانوا متحمسين لهذا الدين ،و لكن هذا لم يمنع من وقوع الإصطدامات ،و ظلت الحالة هادئة حتى كان العصر الأموي ،فقد طفت فيه إلى السطح ،العصبية العربية ،مُصطدمة بالشعور القومي للأقليات في المجتمع الإسلامي .

و بعد تعريفنا لمصطلح الشعوبية و الأسباب التي أدت إلى انتشارها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي نتطرق إليها بشيء من التفصيل في المنطقة الغربية من العالم الإسلامي و بالــضبط الأنــدلس ،محــاولين استقصاء الأسباب و الحقائق التي ساهمت في انتشارها في هاته المنطقة ،و حيث أننا تطرقنا في الفــصل الأول إلى مجموعة العناصر السكانية التي تألف منها المجتمع الأندلسي و لاحظنا كيف أن هذه التركيبــة كانت معقدة ، فإنه في حقيقة الأمر كان حتميا ظهور هاته النزعة في المجتمع الإسلامي في الأندلس الغير متناسق في أصوله ،يضاف إلى هذا ما رافق الأمويين بقيادة " عبد الرحمان الداخل" –بعد إحكام قبضته على الأندلس–من جذور العصبية العربية التي حملوها معهم من المشرق إلى الأندلس الإســلامية،و مــع مرور الزمن بدأت فئة المولدين تُحس من تلقاء نفسها تناقص دورها في هذا المجتمع ،و بخاصــة الأســر الكبرى مثل ،"بنو قسي" و "بنو شبراط" و "بنو عمروس" و لذا فقد بادروا إلى القيام بعــدة ثــورات، خاصة في الفترة الأخيرة من عصر الإمارة محاولين بذلك زعزعة النظام الأموي ،و القضاء على سلطان

---

[1] عبد الهادي الفكيكي ،مرجع سابق ،ص :20.

[2] زاهية قدورة ،الشعوبية و أثرها الاجتماعي و السياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ،ط1،دار الكتاب اللبناني،بيروت 1972 م ،ص :23.

العرب و محو وجوده نهائيا ،و تزعم هذا المسعى مجموعة من الزعماء المولدين ،كان أبرزهم "عمر بـــن حفصون" في "كورة رية" .

لم تظهر الشعوبية صريحة عند المولدين و عجم النصارى في الأندلس في عصر الولاة ،و إن كانـــت قائمة مُستترة في النفوس ،فلم ينس هؤلاء أن العرب و البربر أطاحوا بإرث أجدادهم و أسقطوا دولـــة "القوط الغربيين" ،و استولوا على بلادهم و تسروا ببناتهم و نعموا بخيراتهم ،و لكنهم كتموا ما بأنفسهم نظرا للتفوق العسكري للمسلمين ،و انشغال العرب بصراعاتهم العصبية و بعد سنوات قلائل من قيـــام الإمـــارة الأموية و ارتقاء الحكم "بن هشام الربضي"إلى سُدة الحكم – و الذي كان معروفا بفسقـــــه ومُجونه– ،استغل المولدون في "قرطبة" و "طليطلة" الفرصة ليتمردوا عليه ،و لكن النتيجـــة كانـــت أن قـــام "الحكم" بالقضاء على الكثير منهم سنة(202هــ/815م) في موقعة تنسب إلى الضاحية الجنوبية من "قرطبة" و هي موقعة "الربض" [1]، إذ راح ضحيتها مئات من المولدين حيث محقت دورهم و اجتثت من الأرض ،لهذا لم ينس المولدون في العقود المتتالية من حكم الإمارة هذا الأمر ،و كـــانوا يتحينـــون الفرصة من وقت لآخر و يثيرون الاضطرابات حتى كان أضعف العهود عهد الأمير "عبد الله" .

و قد شهدت السنوات الأخيرة من عهد الأمير "عبد الرحمان الأوسط" دسا شُعوبيا حاكت خيوطه فئة المستعربين ،إذ أن سياسة التسامح الديني و ازدهار العلوم العربية في هذا العصر مكنت الكـــثير مـــن النصارى من التعمق في ثقافة العرب و أصبحوا كثرة مع مرور الوقت ،و رأى النصارى أن هذا خطـــر على إخوانهم فكافحوا هذا الأمر بكل الوسائل فعمدوا إلى سب الرسول صلى الله عليه وسلم" و إنكار نبوته و الاستخفاف بدين الإسلام ،و تزعم هذه الحركة "إيولوخيو وألفارو" و دعـــوا المـــستعربين إلى الطعن في الإسلام علنا ،و لم تنطفئ هاته البدعة إلا بوفاة "إيوخوليو" زعيم هاته الحركة سنة (246هــ 859م) [2] و بعد أيام قلائل من اعتلاء الأمير "محمد" عرش الإمارة الأموية اجتاحت الأندلس موجة تمرد

---

[1] عن هاته الواقعة أنظر بالتفصيل،ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص75وما بعدها،أيضا:ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص68وما بعدها أحمد إبراهيم الشعراوي ،هـــياج الربض:ثورة شعبية على الحكم الأمـــوي بالأندلس،ندوة بحوث الأنـــدلس ،الدرس و التاريخ،جامعة الإسكندرية ،تقديم :عبد المحسن التركي ،(ب. ط) ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1415هـــ/1995م ،ص ص:39- 57.

[2] السيد عبد العزيز سالم ،بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة و الآثار،القسم الأول ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1411هـــ 1991م،ص :398.

كبيرة تزعم لواءها المولدون في غالب الأحيان و انتشرت في كل مكان كما بينا سابقا ،و قد لجأ الكثير من زعمائهم إلى طلب العون من الممالك المسيحية نكاية في العرب ،و كما رأينا سابقا في الفصل الثاني مع أهل "طليطلة" الذين استعانوا "بأُردون" ملك "إشتوريس" فأمدهم هذا الأخير بقواته في أكثر مــن مناسبة .

و يعد "عمر بن حفصون" من أكثر الشخصيات التي تميزت بهذه النزعة كما تُشير إلى ذلك المصادر فمن أول يوم رفع فيه لواء الثورة و أعلن فيه شق عصا الطاعة ،ما فتئ يُحرض بني جلدته من المولديــن على الإطاحة بسلطان العرب ،وقد ساعدت هذا الثائر الظروف الكارثية التي سادت الأندلس في عهــد الأمير "عبد الله بن محمد" ،و كذا تعسف عُمال الإمارة في مختلف الأقاليم و قيامهم بجمع الضرائب قصرا من السكان ،و على سبيل المثال نذكر عامل كورة "رية" ،الأمر الذي كان له أثر في حصول نقمة شعبية و مُولدية على الخصوص عانت الأندلس من ويلاتها لسنوات عديدة.

و من أهم العبارات التي كان يرددها "عمر بن حفصون" على مسامع الناقمين على العــرب مــن المولدين ،ما ذكره "ابن عذاري" أن "ابن حفصون" قال في إحدى خطبه «طالما عنف عليكم السلطان و انتزع أموالكم ،و حملكم فوق طاقتكم و أذلتكم العرب ،و استعبدتكم ،و إنما أريد أن أقوم بثــأركم و أُخرجكم من عبوديتكم» فكان "ابن حفصون" لا يورد هذا على أحد إلا أجابه و شكره [1] و بهذا تحول "عمر بن حفصون"من ناقم على الأوضاع السائدة إلى شخص يتوق الى حكم أجداده من الإســبان و القضاء على كل عنصر دخيل على هاته البلاد،و رغم أن المصادر تشير إلى أن أغلب أتباعه كانوا مــن شُطار الناس و شُرارهم ،إلا أنه مع مرور السنين بينت الأحداث أن "ابن حفصون" استطاع أن يجمــع هؤلاء تحت كلمة واحدة ، و يُوقض فيهم مجد أجدادهم كما استطاع أن يصنع منهم رجالا قادرين على الصمود في وجه الإمارة .

و على هذا النحو أضحى "عمر بن حفصون" زعيم فئة المولدين من دون منازع ،و عبر الــسنوات التي تمرد فيها ضد الإمارة ،لم يتوقف عن جمع الأنصار و تأليبهم ضد سلطان العرب ،و كان لهــذا دور كبير في تفاقم حدة التوتر و الصراع بين المولدين و الطوائف الأخرى إذ راح ضحية هذا الصراع خلــق كثير كان منهم المولدي "عبد الله بن عمر بن الخطاب" الذي قتله الموالي و كان هذا العالم معروفا بغزارة

[1] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص:114.

علمه ،فقد ذكر "ابن الفرضي" أنه ملأ "إشبيلية" علمـــا و بلاغـــة و لـــسانا و حـــدث هـــذا ســـنة (276هـــ/889م) [1] وقد تم قتل هذا العالم بتحريض من العرب ضد هذا العالم.

إضافة إلى "ابن حفصون" هُناك ثائر آخر هو "ديسم بن إسحاق" الذي وصفه العذري بقوله «...أنه كان من فرسان "عمر بن حفصون" المتميز في "ببشتر"...»[2] و قد تمسك هذا الثائر بموالاة حليفـــه ،و اشترك معه في عديد الحملات ضد الإمارة، و يضاف إلى هذين الثائرين، ثائر آخر هو "خير بن شاكر" و الذي تميز بعصبيته للمُولدين ضد العرب و ظاهر "عمر بن حفصون" في هذا الأمر واستغل المـــشاكل التي كانت قائمة بينه و بين "سوار بن حمدون الألبيري" في عهد الأمير "عبد الله" ،و قام بالإغارة عـــلى بعض الحصون بِكُورة "ألبيرة" و التي كانت تحت سيطرة العرب و أباد بها خلقا كثيرا على حد تعبير "إبن حيـــان" [3] .

كما أن "سعيد بن مستنة" الذي تطرقنا إلى ثورته ضد الإمارة في الفصل الثالث كان معروفا بغُلوه في دعوة المولدين ضد العرب ،و كان مُوافِقا "لابن مستنة" في الرأي و المعصية ، ومن خلال مـــا أورده "ابن حيان" الذي ذكر أن "ابن مستنة" «...أكثر من قتلِ العرب و أبادهم وأرجلهم عن الخيل و حمـــل المولدين عليها...»[4] ،و قد وصل الأمر في عصبية المولدين إلى حد تزويج بناتهم بين بعضهم البعض أو تزويجهم للملوك المسيحيين في الشمال خاصة أسرة "بني قسي" التي كان لها رابطة قوية في هذا المجال مع مُلوك "بنبلونة" ،و قد وصف "ابن حيان" ما فعله "عبيد الله بن أمية بن الشالية" حيث زوج ابنتـــه مـــن "جعفر بن عمر بن حفصون" الذي «...نقلها إلى حصن "ببشتر" ووصل يده بيده ،فاعتز جانبه...»[5]

و في الفترة المذكورة كان "ابن حفصون" يترصد الفرصة المواتية لهدم سلطان قرطبة ،خاصة بعـــد الانتصارات المتلاحقة التي حققها ضد جيوش الإمارة و عُمالها في مختلف أقاليم الأندلس ،ففي أحـــداث السنة الأولى لاعتلاء الأمير "عبد الله" عرش الإمارة (275هـــ/888م) وصف "ابن حيان" خطورة

[1] ابن الفرضي ،مصدر سابق ،ج1،ص:255،ترجمة رقم :649.

[2] العذري ،مصدر سابق ،ص ص:11-12.

[3] ابن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ،ص:24.

[4] نفسه ،ص:27.

[5] نفسه ،ص :10.

الوضع الذي آلت إليه أحوال الإمارة بقوله «...و تحزبت المسالمة مع المولدين و تحيزت إليهم نـــصارى الذمة فصار جميعهم إلبا على العرب ،قائِمين بدعوة "عمر بن حفصون" إمام تلك النحلة...»[1] .

و من خلال هذا الوصف نستخلص مدى الحقد الشديد الذي استغلته الطوائف الأخرى لتعقد لواء التمرد مع "عمر بن حفصون" الذي نجح في بث سياسته العدائية تجاه الإمارة ،و تمكن في عديد المرات من إلحاق هزائم ثقيلة بجُند الإمارة ،و جمع عددا غفيرا من الأنصار و الأتباع الناقمين علـــى ســـلطان "قرطبة".

و لم تقف أعمال "ابن حفصون" عند هذا الحد بل نراه يعقد تحالفات مع زعماء من بني جلدته و غيرهم لتحقيق أهدافه ،حيث أننا تطرقنا في الفصل السابق إلى الاتصالات التي ربطها "ابن حفصون" مع المتمردين في الثغر الأعلى ،و منهم "محمد بن لب القسوي" سنة (285هـــ/898م) ،و ذلك بغـــرض عقد حلف هدفه القضاء على الإمارة الأموية، و لكن هذا الحلف لم يقدر له النجاح لأن "محمد بن لب" بلغه وفاة أبيه ،فعاد أدراجه إلى الثغر [2] ويشكل هذا النوع من الأحلاف السرية الـــتي عقـــدها "ابـــن حفصون" مع الثوار الآخرين من المولدين في وجه الإمارة نوعا من أنواع الدس الشعوبي الخفي ،و الذي جاء كرد فعل على الأرستقراطية العربية خاصة في عهد "الأمير عبد الله" [3] و لو كان قدر لهذا الحلف و انعقد لكانت النتيجة كارثية على العرب في الأندلس ،وما يهمنا هنا هو الترعة العدائية التي كان يضمرها "ابن حفصون" في نفسه و التي جعلته يستعمل جميع الوسائل لتحقيق مآربه.

و تحالف "ابن حفصون" كذلك مع "إبراهيم بن حجاج"صاحب "إشبيلية" و عقد معه حلفا فـــي ضواحي "قرمونة" ،رغم أن "ابن حجاج" كان عربيا بانتسابه إلى "اللخميين" من جهة الأب ،و في نفس الوقت كان أجداده من جهة الأم من "الإسبان"[4] إلا أن مطامعه التوسعية من جهة ، و ضعف الإمـــارة من جهة أخرى جعلته يقبل هذا الحلف و لو لمدة قصيرة أملا في تحقيق مطامعه.

---

[1] نفسه ،ص :51

[2] عن هذا الحلف أنظر الفصل الثالث ،ص :84

[3] James .T.Monroe .the Shu'ubiyya in Al-Andalus :the Risala of Ibn Garcia and Five Refutations .press-Berkeley .London .1970.PP:4-5.

[4] حمدي عبد المنعم محمد حسن ،التاريخ السياسي لمدينة "اشبيلية" في العصر الأموي ،مؤسسةشباب الجامعة،الإسكندرية،1407هـــ 1987م ،ص 91.

كما سعى "ابن حفصون"إلى استقبال الفارين من عاصمة الإمارة "قرطبة" و قام بالإحسان إليهم ،و في المقابل من ذلك عمل على تأليبهم على عمال الإمارة بغرض اجتثاث سلطان العرب من الأندلس ،و قام "ابن حفصون" بتقليدهم مناصب عليا في جيشه و نذكر منهم "شربند بن حسان القومس" الذي فر من قرطبة سنة (278هـ/891م) و لحق "بابن حفصون" ففرح به هذا الأخير ،و اشتد بـه سروره و«...كرم مثواه و قلده الغارة بمن ضمهم إليه من المُفسدين في الأرض على أهل الطاعة...» [1] .

و تعتبر سنة (286هـ/ 899م) نقطة تحول كبيرة في تاريخ الثائر "ابن حفصون" و هي السنة الـتي أظهر فيها نيته الحقيقية تجاه الإسلام و المسلمين ،إذ أعلن صراحة ارتداده عن الإسلام ،و في هذا يقـول "ابن حيان" :«...و فيها –أي هذه السنة– أظهر اللعين "عمر بن حفصون" النصرانية و باطن العجـم نصارى الذمة ،و استخلصتم بالكلمة و أيدهم و فضلهم ،وتعصب على المسلمين و أساء الظن بهم ...» [2]

و بهذا التصرف كشف "ابن حفصون" السِتار الذي كان يختبئ وراءه و رغم أن أنصـاره كانوا كُثر، ومن عناصر ذات أصول مختلفة و منهم حتى العرب ،إلا أن هذا التصرف أفقده الكـثير مـن الأتباع ،حيث كان جميع المُسلمين يرون أن حربه جهاد[3].

وكان غرض "ابن حفصون" من إعلانه النصرانية بهدف جلب أنظار الممالك المسيحية في الـشمال طمعا في مساعدتهم لضرب الإمارة ،و لكن هل كان "ابن حفصون" –العقل المفكر للثـورة– يجهـل عواقب هذا الإعلان و هو يعلم أن المسلمين يُشكلون لحمة ثورته ؟ و ربما اتخذ ذلك الإجراء كخطـة سياسية أكثر منها عقائدية لجلب عطف "ألفونسو الثالث" ،و لكن هذا الأخير كان منـشغلا بمحاربـة أمراء المسلمين بالثغر الأعلى [4] ،و على أية حال فإن "ابن حفصون" كان يُضمر الحقد و العصبية للمسلمين ،و لو لم يكن كذلك لما أقبل على هاته الخُطوة و الدليل على ذلك أنه تسمى باسم"صموائيل" نكاية في العرب ،و بهذا تخلى عنه جمع غفير من أنصاره الذين ساندوه و حاربوا إخوانهـم المُوالين

[1] ابن حيان ،مصدر سابق القسم الثالث ،ص :102.

[2] نفسه ،ص :128.

[3] إبن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص:139.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش ،مرجع سابق ،ص ص:111-112،أيضا:ابراهيم بيضون ،مرجع سابق ،ص: 278.

للإمارة ، و على غرار النزعة الشعوبية التي تفاقمت مع "ابن حفصون" و أنــصاره ،لم تــسلم المــدن الأندلسية هي الأخرى من تأثيراتها ،و على سبيل المثال كورة "البيرة" التي كانت أيــام الإمــارة تعــج بساكنتها من المولدين و العرب و كان لكلا الفريقين رئيس يقوم بأمرهم ، فبعد اغتيال رئيس العــرب "يحيى ابن صقالة" في هذه الكورة خلفه "سوار بن حمدون" الذي يذكر "ابن حيان" في أحــداث ســنة (276هــ/889م) أن أنصاره من العرب كثروا و اعتزوا به ،و لم ينس سوار ما فعله المولدون بقدوته "يحيى ابن صقالة" حيث تحرك إلى حصن "منت شاقر" الذي كان يتحصن به جمــع مــن المولــدين و النصارى أصحاب "نابل و الشميس" الذي ذكرناهما في الفصل الثالث ،حيث هاجمهم "سوار" بنحو ستة آلاف رجل في حصنهم حتى قهرهم و أخرج "نابلا" رئيسهم و قتل معظم مــن كــان في الحــصن و غنـــم أموالهم ،و بإحرازه لهذا النصر جعل جموع العرب تنظم إليه من كل مكان و صار كما ذكــر ابن حيان وبالا على «... المولدين و نكالا لهم...»[1] .

و لم تقف انتصارات "سوار ابن حمدون" على المولدين و التنكيل بهم -عند هذا الحد- حيث أحرز انتصارا ساحقا عليهم حينما اجتمعوا للانتقام منه فكانت الدائرة عليهم في موقعة قرب "غرناطة" و أوقع منهم حوالي إثنا عشر ألف قتيل ،و في هذه الوقعة أنشد "سعيد بن جودي" يقول :

لقد سل سوار عليكم مهندا   يجُزُ به الهامات جز المفاصـــــل

به قتل الله الذين تحزبـــــوا   علينا و كانوا أهل إفك و باطل[2]

و على إثر الهزائم الثقيلة التي حلت بالمولدين بحاضرة "ألبيرة" كان عليهم البحث عن طريق آخــر للانتقام من العرب ،فكانت الوُجهة هذه المرة نحو زعيم المولدين "عمر بن حفصون" الذي أخــرج إلى العرب قائده "حفص بن المرة"، و تمكن هذا القائد من الإيقاع بسوار و أصحابه و قتله سنة (277هــ/890م) و قام بنقل جثته إلى حاضرة "ألبيرة" ،و هنا وصف "إبن حيان" ما قامت به نــساء المولــدين بقوله «...فملأتهم شماتة و فرحة ،و ذكر أن الثكالى من نسائِهم قطعن لحمه مزقا ،و أكله كثير منــهن حنقا عليه لما قد نالهُن به المرة بعد المرة من الثكل في بُعولتهن و أهليهن و اليُتم في أبنائهن...»[3] .

---

[1] إبن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ،ص ص:55-56.

[2] ابن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث،ص ص:57-58.

[3] نفسه،ص :60،أيضا:ابن الأبار ،مصدر سابق ،ج1،ص ص:147-151.

تولى عصبية العرب بعد مقتل "سوار بن حمدون" أشخاص ضِعاف أمثال "سعيد بـــن جـــودي" و "محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمذاني" ،و لكنهم لم يكونوا في مستوى قوة "سوار"،حيث ضـــعف مركز العرب في هذه الحاضرة، و انتقل هذا الدور إلى المولدين الذين اشتدت قوتهم بدخول "عمر بـــن حفصون" مسرح الأحداث ،و بقي هذا الوضع إلى غاية انتهاء عهد الأمير "عبد الله" .

لقد كانت الوسيلة الأكثر تعبيرا عن هذه النزعة لكلا الفريقين المتخاصمين تتمثل فيما جادت بـــه قرائح فطاحلهم من الشعراء الذين يتميزون بألسنة سليطة ،و قد مثل هذا الدور مـــن جانـــب العـــرب الشاعر "محمد بن سعيد بن مُخارق الأُسدي" الذي عاصر الأحداث الدامية التي شهدها عـــصر الأمـــير "عبد الله" ،و من قوله في تحريضه للعرب ضد المولدين .

يا أيُها العرب النائي محلتُهـــــــم أنتم نيام و من يشنأكم سهـــر
ما عيش عدنان دون الحُر من يمن أو عيش ذي يمن قد خانها مُضر
إن السهام إذا ما فُرقت كُســـرت و إن تُجمعن تبقى ليس تنكســـر
أنتم قليل كثير في عنايتكــــــــم و غيركم قُلل فيكم و إن كثـــــر

إلى قوله:

قُل للقبائل من هُود و مـــن أدد و التابعون و قد آوو و قد نصـــروا
ما إن تركت لكم نصحا لُمنتصح و النُصح عند ذوي الألباب مُذخر[1]

وفي المقابل كان للمولدين شاعر لعصبيتهم يسمى "عبد الرحمان بن أحمد العِبلي" الذي لم نعثر على ترجمته الكاملة سوى اسمه ،و في هذا السياق أورد "ابن حيان" في خضم الأحداث التي شهدتها "إلـــبيرة" في عهد الأمير "عبد الله" ،أنه لما ظهرت العرب على حاضرة "البيرة" و سجل الأمير لأميرهم "سعيد بن جودي" على هاته الحاضرة ،أتاهم شاعرهم العبلي يمتدحه بشعر قاله فيه ،فاستمع إليه "سعيد بن جودي" و أمر له بجائزة ،و لكن "ابن جودي" لم يستصغِ الأبيات جيدا لأنها –كما ذكر من كان في مجمع "سعيد بن جودي"- كانت قدحا للعرب ،فأمر "ابن جودي" في حينها «...بأخذ هذا العبلي و إخراجـــه و أن يقتل و يرمى به في بئر غامضة... » و من شعر العبلي الذي أورده "ابن حيان" في هذا الصدد:

فكما طلت دماؤهم لديهم و هاهُم عندنا في البئر طلُ[2]

[1] ابن حيان، مصدر سابق،القسم الثالث ،ص ص:63-66.
[2] نفسه ،ص 66،السيد سالم عبد العزيز سالم ،بحوث إسلامية ....،ص 408.

و لكن الحال تغير في عصر الخلافة ،إذ استطاع الناصر لدين الله بفضل سياسته الصارمة أن يُعيـــد للأندلس وحدتها و هيبتها ،فقضى على الزعامات العربية و المُولدية ،و التي كانت مثـــارا للإضـــراب و العصبية ،و كذلك أزاح من الأندلس الزعامات البربرية الوافدة من المغرب و شدد الرقابة على حـــدود مملكته للقضاء على أي دخيل يمكنه الاستقلال ببعض الأقاليم و إثارة الفوضى من جديـــد ،و بـــذلك اختفى من المجتمع الأندلسي –و بشكل كبير- مرض العنصرية الذي فتك بالمجتمع الأندلسي لعقود طويلة و هذا على الأقل في الستين سنة التي قضاها الناصر لدين الله في حكم الأندلس.

ثانيا:الآثار الاقتصادية:

1-في الزراعة:

تضررت الزراعة في الأندلس بمختلف أنواعها بشكل كبير جراء الفتن التي شهدتها الأندلس خلال هاته الفترة، فعوض أن يشتغل فلاحو الأندلس بخدمة أراضيهم الشاسعة و الخصبة ، شغلتهـــم الحروب الطاحنة عن هذا الأمر ، فلا يكاد يخلو مصدر من المصادر التاريخية عن التحدث عن تخريـــب المقـــاتلين للمزارع التابعة لأي طرف ،و رُبما تسبب هذا في خُلو أهم المخازن العامة و الخاصة من أهم المـــؤن ،و كانت هذه الطريقة هي الأمثل في إضعاف قوة الخصم ،و لكن هذا كان له دور في حـــدوث مجاعـــات قاسية بسبب القحط الذي ضرب الأندلس في آخر سنوات عهد "الأمير عبد الله" .

و لقد كانت إستراتيجية الجيوش في هجومها على المتمردين في قلاعهم و حصونهم الشامخة – إذا لم تجد مدخلا سهلا إليها – تقوم بتخريب المزروعات المحيطة بها في خُطوة للقضاء على قوة الخصـــم الاقتصادية ،مما ينتج عنه انقسامات كبيرة في صفوف المتمردين ،و على سبيل المثال ذكر "ابن الخطيب" قوله أن "ابن حفصون" هجم على "قرطبة" انطلاقا من حصن "بلاي" «...فجلت الكنبانية...»[1] عنها و "الكنبانية" هم الفلاحون أو المزارعون الذين يمارسون نشاطهم في الأراضي المنبسطة ،و هـــذه الكلمـــة مأخوذة من الأصل الاسباني "CAMPESINO" [2] و لقد اضطرت هؤلاء ظروف الفتنة التي خربـــت محاصيلهم إلى ترك العاصمة "قرطبة" ،و البحث عن أماكن أكثر أمنا.

و كانت أكثر المناطق تضررا جراء هاته الفتنة هي منطقة الجنوب الأندلسي ،و بالتحديد "كـــورة رية" التي كانت تحت سيطرة الثائر "عمر بن حفصون" ،خاصة في السنوات الأولى من اعتلاء الأمير "عبد

[1] ابن الخطيب ،الإحاطة...،ج4،ص41.
[2] نفسه ،ص 41،هامش رقم(2).

الله" عرش الإمارة الأموية ،و بذلك اضطرت جيوش الإمارة لإضعاف هذا المتمرد و أنصاره باللجوء إلى تخريب المحاصيل الزراعية الكبيرة و التي كانت تابعة "لابن حفصون".

فحِصن "ببشتر" معقل الثائر "ابن حفصون" كانت حوله أراضي عالية الخـــصوبة ،تتـــوفر علـــى محاصيل زراعية كثيرة على حد تعبير "الحميري" صاحب كتاب "الروض المعطار"، الذي وصف المنطقة بقوله «...و لهذا الحصن قرى كثيرة و حصون خطيرة ،و ما حوله كثير المياه و الأشجار و الثمار و الكُروم و شجر التين و أصناف الفواكه و الزيتون... » و لكن هذا الوضع تغير بسبب الحروب الـــتي دارت رحاها في هاته المنطقة ،إذ أن «...فتنة ابن حفصون أتت على أكثر ذلك...»[1]

و من خلال تصفحنا لمصادر التاريخ الأندلسي ،و البحث عن تفاصيل الحملات التي قادتها جيوش الإمارة في هاته الفترة ،ضد جميع المتمردين في مختلف نواحي الأندلس شمالا و جنوبا ،شرقا وغربا،وجدنا عبارات كثيرة تدل على تضرر الجانب الزراعي بصورة خطيرة ،فالجيوش تلجأ إلى أسهل طريق لمعاقبـــة هؤلاء ،بإتلاف اقتصادهم ،و خاصة إذا لم تجد أمامها المقاومة المباشرة و قد جاء هذا في المصادر بعبارات و أوصاف مختـــلفة ، و امتلأ بها كتاب "المقتبس" "لابن حيان" ،و منها :"إفساد الغلات" و"الثمـــــار" "تحـــطيم الزروع و الأشجار" ،"إفساد الزروع و قطع الأشجار" ،"إحراق القرى" ،إضافة إلى عبارات "الإحراق و التدمير" و "الإنتساف و التغيير" .[2]

و على هذا النحو كان الخاسر الأكبر هو الاقتصاد الأندلسي الذي تضرر بشكل كبير من خـــلال هاته الأعمال التخريبية ،و التي و إن كانت وسيلة سهلة من وسائل القضاء على قوة الخصم ،إلا أن هذا تسبب في أيام القحط إلى حدوث مجاعات رهيبة ،قضت على الكثير من ساكنة الأنـــدلس ،إضـــافة إلى زيادة الأعمال الانتقامية.

2- في التجارة:

تعتبر الطرق التجارية في الأندلس شريانا هاما لا يُستغنى عنه في جميع شؤون الحياة ،نظرا لِقـــسوة التضاريس ووُعورة المسالك، و هذه الطرق بدورها لم تسلم من الكارثة التي حلت بالأندلس إبان الثلث الأخير من القرن الثالث هجري ،إذ تصدعت حركة التجارة و أصبحت القوافل عرضة لخطر النهب من

[1] الحُميري ،مصدر سابق ،ص 79.

[2] ابن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ،أنظر صـــفحات مختلفـــة :ص 53-99-109-111-112-113-114-115-116 -117 -140-141-142-143.

طرف المتمردين ،و نذكر على الخصوص من هاته الطرق ،التي كانت تربط بين العاصمة "قرطبة" و بين المدن الأخرى مثل "طليطلة" و "اشبيلية" و غيرها ،هاته الأخيرة التي كانت على رأس المدن التي تربطها علاقات تجارية مع قرطبة،إلا أن حبل التجارة بينهما انقطع لفترة طويلة بسبب الفتنة ،و لكن هذه الحال زالت مع إنعقاد الصلح الذي تم بين الأمير "عبد الله" و زعيم "اشبيلية" "إبراهيم بن حجاج" حيث يذكر "ابن القوطية" أن الأحوال الاقتصادية صلُحت بين "اشبيلية" و "قرطبة" بانفتاح باب "اشبيلية" إليها .[1]

على أن أخطر ما واجه المسافرين و التجار عبر شبكة الطرقات الداخلية هو انتشار اللصوص و قطاع الطرق ،و اعتراضهم سبيل الناس و ممتلكاتهم، خاصة في الفترة المذكورة كما أشرنا إلى ذلك ،و غالبا ما كان الثُوار هم من يقوم بهاته الأعمال ،و يُحرضون عليها ،و كان رد فعل سلطان "قرطبـــة" أن طبـــق سياسة حجز الرهائن من أهالي المتمردين لضمان حفظ الأمن في الطرقات و المدن [2] .

و استغل اللصوص الضعف الذي انتاب الإمارة الأموية ،و ضعف الأمير "عبد الله" و عدم قدرتـــه على حِفظ الأمن في شتى رُبوع الأندلس ،و من هنا وجد اللُصوص الفرصة مناسبة للقيام بأعمال السلب و النهب ،و قد أشار "ابن حيان" إلى هذا بقوله «...ظهر في الطريق بين "قرطبة" و "اشبيلية" رجل من البربر من بعض أرباع "قرمونة" ،يدعى "الطماكشة" يقطع الطريق و يُفـــسد في الأرض و زاد الحـــال ضيقا... » [3]، و اتخذ هذا الرجل عصابة من اللصوص لهذا الغرض ،و يبدو أن السكان في هاته الجهـــة تأذوا من هاته الأعمال ،فكونوا فرقة من المتطوعين لقطع الطريق أمام "الطماكشة" و منعه من مواصـــلة عمليات السلب و النهب و السطو على أموال الناس و ممتلكاتهم [4] و ذلك حين شـــعروا أن الإمـــارة الأموية عاجزة عن توفير وسائل الأمن عبر هذا الطريق التجاري المهم ،و استأذنوا الأمير "عبـــد الله" في بناء حصن على هذا الطريق بقرية "شنت طُرش" لضمان صلاح الطريق ،و ليكون هذا الحصن مركـــز مراقبة و منع المفسدين من قطعه فكان لهم ذلك .

[1] ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص:123.

[2] ابن حيان ،نفس المصدر،صفحات مختلفة :100-111-139...

[3] ابن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ،ص:70.

[4] خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر ،النشاط الاقتصادي في الأنـــدلس في عصر الإمارة (138-316هـ/755-928م) ،مكتبة الملك فهد بن عبد العزيز ،الرياض ،1414هـ/1993م،ص :251.

و تسببت هذه الأزمة في غلاء أسعار السلع في جميع كور الأندلس [1] و بخاصة المواد المهمة ،و يعود هذا في المقام الأول إلى الفتن المتلاحقة التي حلت بالأندلس ،فكان طبيعيا أن يقل العرض بسبب المشقة و معاناة فلاحي الأندلس في تحصيل الرزق ،الأمر الذي أدى إلى عدم استقرار في الأسعار ،حيث أن الإنتاج الزراعي الذي يعتبر أساس المجتمع الأندلسي كان قد تضرر جراء الحروب الداخلية و انعدام الأمن إضافة إلى العمليات التخريبية التي لحقت بمختلف أنواع المزروعات من أشجار العنب و الزيتـــون و أصـــناف الفاكهة و المحاصيل الزراعية الأخرى ،كالقمح و الشعير الذين يُعتبران عصب الاقتصاد الأندلسي .

و لم تقف الأُمور عند هذا الحد ، فقد نال الأسواق العامة نصيب من الأضرار الناتجة عن هذه الثورات و الفتن ،حيث كان تدمير الأسواق إستراتيجية مُتبعة لإضعاف المتمردين ،و ترجيح كفة النصر إلى أحد الطرفين ،فمثلا روى "ابن حيان" ، أن "المُطرف " بن الأمير "عبد الله" في إحدى حملاته علـــى مدينـــة "سجيلة" قام بتدمير حماماتها و حوانيتها [2] ، و كان ذلك سنة (281هــ/894م) و أراد المطرف مـــن خلال هذا العمل تتبُع آثار "ابن حفصون" و أنصاره الكثر ،و أغلب الظن أن هاته الحوانيـــت كانـــت الممون الرئيسي لـــ"ابن حفصون" بمُختلف الحاجيات ،لذا عمد "المطرف" إلى تدميرها .

3- انتشار المجاعات:

تُعد المجاعات من أكبر الكوارث التي أصابت الأندلس خلال هاته الفترة أو بعدها بسنوات قليلة و لم تكن المجاعات من بين الآثار المباشرة و التي نحن بصدد التطرق إليها في هذا العنصر، و إنما كانت نتاج تفاعل مجـــموعة العناصر التي تطـــرقنا إليها ســـابقا ،لتـــؤدي في الأخـــير إلى هدم البنية الاقتصاديـــة للأندلس بسبب الفتنة ،إضافة إلى عامل طبيعي آخر لا يقل أهمية عن العوامل السابقة ،و المتمثل أساســـا في القحط و الجفاف الذي أصاب الأندلس و تزامن حدوثه مع ما شهدته الأندلس من فتن و اضطرابات عصفت باقتصادها الذي تميز بازدهار كبير في فترات و أحيان كثيرة على عكس هاته الفترة .

و من بين المجاعات القاتلة التي ضربت الأندلس تلك التي حدثت في سنة (285هــ/898م) و في هذا يقول "ابن حيان" «...و فيها كانت بالأندلس الشدة التي عمتها المجاعة...فأجحفت بالناس و شهر اسمها بسنة لم أظن...» [3]، والظاهر من خلال هذا الاسم الذي أطلقه المؤرخون على هذه السنة ،أن

---

[1] ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص166.

[2] ابن حيان ، نفس المصدر ،القسم الثالث، ص:110.

[3] ابن حيان ،مصدر سابق ، القسم الثالث ،ص 127،ابن عذاري ،مصدر سابق،ج2،ص:139.

الناس لم يتوقعوا حدوث هذه الكارثة ،و لم يكونوا على أُهبة الاستعداد لمثل ما حـــدث ،و لأن الفتنـــة المدمرة منعتهم من ممارسة نشاطاتهم الزراعية ،و اتخاذ التدابير اللازمة لمُواجهة أي خطر قد يصدر مـــن الطبيعة .

كما أن هاته المجاعة امتدت لتشمل بلاد المغرب ، كما أشار إلى ذلك "ابن أبي زرع الفاسي" حيث ذكر أنه في هذه السنة «...كانت المجاعة الشديدة التي عمت جميع بلاد الأندلس و بلاد العُدوة حتى أكل الناس بعضهم بعضا...» [1] ،و لم تقف الكارثة عند هذا الحد بل إن هاته المجاعة أدت إلى هلاك الكثير من الناس بسبب الوباء و الأمراض القاتلة التي أعقبت هاته المجاعة فكان «...يُدفن في القبر الواحد أعداد من الناس لِكثرة الموتى و قلة من يقوم بهم و كانوا يدفنون من غير غُسل و لا صلاة...» [2] .

و من خلال ما ذكره "ابن أبي زرع" فإن وقع الأمراض و الأوبئة كان شديدا حيث حـــصد آلاف الأرواح من البشر، و للأسف لم تُورد المصادر التاريخية أرقاما كأمثلة على ذلك ،و إنما بالغت في وصف نتائج هذه المجاعة التي أتت على الأخضر و اليابس ، كما أنه لا تتوفر لدينا نصوص تاريخيـــة تـــشير إلى حدوث هجرات جماعية ، خاصة إلى بلاد العدوة (المغرب) لأن الوضع بها كان شبيها بما حـــــدث في الأندلس ،إضافة إلى أن المصادر لم تشر إلى حدوث هجرات نحو المناطق المجاورة كجنـــوب فرنـــسا أو غيرها و لا بد أن الوضع كان نفسه في هاته المناطق .

و لم يكد المُسلمون في الأندلس ينسون الفاجعة التي حلت بهم في سنة (285هـــ/898م) حـــتى ظهرت مجاعة أُخرى سنة (297هـــ/909م) و تزامنت هذه المجاعة مع اشتداد حركـــة التمـــــــرد خاصة في كورة "جيان" التي شهدت أعنف المعارك بين جيوش الإمارة من جهة و المتمردين من جهـــة أخرى، ووصف "ابن حيان" هاته المجاعة بأنها «...عمت الأندلس و مات بعاديتها أكثر الخلق ،و عـــبر كثير منهم إلى أرض العدوة،و هذه تعرف بسنة جوع جيان...» [3] ولعل تسمية سنة هذه المجاعة باســـم كورة "جيان" لأن وقعها كان في هذه الكورة أنكى من أي كورة أخرى في الأندلس و قد تقوى هذا

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي ،مصدر سابق ،ص:97.

[2] مؤلف مجهول ،تاريخ الأندلس ،ص:200.

[3] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص 146.

التوقع كونها –بخلاف بقية الكور– قد استمرت مسرحا للصراع بين القوات الأموية و أولئك المتمردين الذين أصروا على العصيان حتى نهاية عهد الأمير "عبد الله"[1] .

و يبدو أن القحط و الجفاف امتد ليشمل حتى السنوات الأولى من عهد "الناصر لدين الله" كما تشير إلى ذلك مختلف المصادر[2] و أدى إلى وفاة الكثير من الناس ،و لابد أن السبب الأول يعود إلى الفتنة التي شهدتها فترة حكم الأمير "عبد الله" إذ أنها شغلت الناس –كما ذكرنا سابقا– عن ممارسة نشاطهم الفلاحي و تخزين محاصيلهم لوقت الحاجة، إضافة إلى الانقطاع و الشلل الذي أصاب الطرق الداخلية و الخارجية لِتجارة الأندلس مما كان له الأثر في حدوث ركود اقتصادي أدى في الكثير من الأحيان إلى شل حركة التصدير و الاستيراد التي كانت الطريق الثاني لِتزود أهل الأندلس بأهم المواد الضرورية .

ثالثا:الآثار الاجتماعية:

1– الخسائر البشرية:

من بين الآثار التي خلفتها ثورات المولدين على الأندلس الخسائر البشرية ،و التي كانت كارثية على الأندلس ،بسبب الحروب و التطاحنات العسكرية بين جيوش الإمارة من جهة و المولدين من جهة أخرى ،و ترتب على هذا النحو ضحايا ،قدرت المصادر أعدادهم بالآلاف ،إضافة إلى المذابح الجماعية التي كانت تقع من حين إلى آخر جراء الإنتقامات المُتبادلة ،و في كثير من الأحيان كان ضحيتها العزل و الموالون لأي من الجانبين ،و قد حفلت مصادر تاريخ الأندلس بذكر الأعداد الهائلة للضحايا فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات هاته المصادر من ذكر القتلى و المُشردين ،و نذكر على الخصوص كتاب "المقتبس""لإبن حيان" ، الخاص بفترة الأمير "عبد الله" ،على أننا في هذا المضمار سنكتفي بذكر الأحداث البارزة ،لِنُوضح الآثار الكارثية التي خلفتها الثورات على هذا الجانب .

و من الأمثلة الدالة على ذلك ما قام به المولدون في الثغر الأعلى من مذابح إنتقامية ضد العرب ،و قد ذكر "العُذري" في هذا الصدد عن أخبار "موسى بن موسى القسوي" الذي «...قتل عرب "سرقسطة" من قبائل شتى حيث أخرجهم إلى "بقيرة" فقتلهم بمرج يُعرف بمرج العرب...»[3] على أن العرب فعلوا الشيء نفسه بالمُولدين و العجم ،بمدينة "إشبيلية" حيث حملوا عليها و قتلوا من «...بداخل المدينة و

[1] محمد بن ابراهيم أبا الخيل ،مرجع سابق ،ص :417.

[2] أنظر على سبيل المثال :ابن عذاري ،مصدر سابق،ج2 ،ص ص:167-168.

[3] العُذري ،مصدر سابق ،ص:31.

أحوازها و على من ضامهم من الأعاجم ،فلم يدعوا أحدا إلا و قتلوه ،و أخذوا ماله ،ففنيت المولـــدة باشبيلية إلا قليلا...»[1] و قد كان للإمارة الأموية دور كبير في حدوث مثل هذه الإقتتالات و الصراعات العصبية ،فعملت على التحريض بين المتخاصمين كما مر بنا مع أمثلة سابقة لإضعاف قوتهم ،و استغلال هذا في التفرُغ لمتمردين آخرين.وكنا قد تطرقنا فيما سبق إلى المعارك الضارية التي دارت أحداثها بـــين العرب و المولدين في كورة "البيرة" و كانت النتيجة أن قُتل الآلاف من الجانبين خاصة بعـــد انـــضمام "عمر بن حفصون" إلى مسرح الأحداث ، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به "سوار بن حمـــدون" ســـنة (276هـــ/889م) انتقاما لزعيم العرب "يحيى بن صقالة" على إثر مقتله ،حيث جمع العرب ،و قام بالهجوم على حصن "منت شاقر" الذي اجتمع فيه خلق عظيم من المولدين و العجم بلغوا نحوا من ســـتة آلاف فأباد الكثير منهم و ملك الكثير من حصونهم [2]، كما كان لاحتدام الصراع بين حكومة "قرطبة" و "المولدين" أثره في انضمام بقية طوائف المجتمع الأندلسي إلى حلبة الاقتتال ،طمعا منها في الاســـتقلال إذ أن البربر ساهموا بنصيب وافر في العمليات الإقتتالية التي شهدتها هاته الفترة حيث ذكر "ابن حيـــان" أنهم هاجموا قرية "طلياطة" من أعمال "اشبيلية" و «...قتلوا بها كل من وجدوه...ثم ما لبثوا أن رحلـــوا عنها...بعد أن أفقدوا خلقا من أهلها...»[3]

2- حركة الأسر:

إلى جانب موجة العُنف و التقتيل التي عاشتها الأندلس مع مطلع الثلث الأخير من القرن الثالـــث الهجري ،صاحب ذلك حركة أسر كبيرة ،فمن نجى من الموت المؤكد في مختلف الصراعات ،كان مآلـــه حتما الأسر ،و قد كان الأسرى في الغالب يُستعملون كورقة ضغط بين الطرفين المتناحرين لإطـــــلاق سراح أسرى آخرين ،خاصة إذا كان هؤلاء من أهالي و أبناء المتمردين ،على أن بعض الأسرى كـــانوا يتعرضون لعملية التصفية كإجراء انتقامي ،مما كان له الأثر الكبير في زيادة حدة الصراع .

و الأمثلة في هذا المقام كثيرة نحاول التركيز على المهمة منها خاصة التي كان لها صدى كبير في تاريخ هاته المرحلة ،و منها ما ذكره "ابن حيان" في الوقائع الخاصة بسنة (276هـــ/889م) والتي دارت بين المولدين من جهة و العرب من جهة أُخرى في كورة "إلبيرة" ،حيث و من خلال بعض الأبيات الشعرية

[1] ابن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ،ص :84.
[2] نفسه ،ص :55.
[3] نفسه ،ص :69.

صور لنا "سعيد بن جودي" شاعر العرب ما حل بالمولدين على يد "سوار بن حمدون" الذي قتل الكثير منهم ،و أسر الكثير و من قول سعيد في هذا:

فصرنا عليهم و الرماح تنوشهم كوقع الصياصي تحت وهج القساطل

فلم يبق منهم غير كان مصفــد يقاد أسيرا موثقا في السلاســـــل [1]

وفي صائِفة سنة (282هــ/895م)التي خرج فيها "المطرف " بن الأمير "عبــد الله" إلى ضــواحي "اشبيلية" في عملية تأديبية للمخالفين ،ذكر "ابن حيان" أن "المطرف" بن الأمير في خروجه هذا أسر الكثير من المولدين ،و منهم خمسة و عشرون من وجوههم[2] و قد كانوا الرؤوس المدبرة للفتنــة الــتي حلت باشبيلية و قضت على الكثير من ساكنتها .

و في الحوادث الدامية التي شهدتها منطقة الثغر الأعلى الأندلسي سنة (283هــ/896م) و كانت في مُجملها تهدف إلى السيطرة على بعض مناطق النفوذ كما ذكرنا سابقا ،قام "محمد بن لب" ،بقتــل الكثير من أنصار "محمد بن عبد الملك" الملقب بالطويل و أسر «...منهم جماعة فــيهم –أخــو محمــد الطويل- "فرتون بن عبد الملك" ...»[3] و كانت هذه الصدامات التي دارت بــين المولــدين أنفــسهم بتحريض من الأمير "عبد الله" الذي وجد الفرصة مناسبة للإنشغال بثورات أخرى .

و هنالك أمثلة كثيرة حول هذا الموضوع ،ذكرها "ابن حيان" خاصة ما تعلــق بثــورات "ابــن حفصون" ضد الإمارة و ترتب على ذلك موجة كبيرة من الأسرى راحوا ضحية الانتقامات ،خاصــة الموالون "لعمر بن حفصون" ،حيث استعملتهم الإمارة الأموية كورقة ضغط ضده للحد مــن أعمالــه العدائية ،ففي سنة (284هــ/897م) التي شهدت عدة خرجات لجيوش الإمارة إلى "عمر بن حفصون ترتب عنها أسر الكثير من أتباع الثائر و مقتل عدد آخر ،إضافة إلى الاستيلاء على كميات كبيرة مــن الأموال و الذخيرة و الخيول ، مما كان له الأثر البارز في إضعاف قوة "ابن حفصون"، و باستعمالها لهاته الطريقة المبتكرة تمكنت الإمارة من الإطاحة بكثير من المتمردين في عدة مناسبات .

و لم تسلم من هاته الحركة مجموعات الأهالي والتي لم تكن طرفا مباشرا في الــصراع ،إذ تعــرض بعض سُكان المُدن للأسر بسبب موالاتهم لهذا الطرف أو ذاك ، "فعُمر بن حفصون" مثلا حين قيامه

[1] ابن حيان ،مصدر سابق ،القسم الثالث ، ص ص:57-58.

[2] نفسه ، ص:113.

[3] نفسه ،ص:118،أيضا:العذري ،مصدر سابق ،ص:65.

بالهجوم على مدينة "بيانة" في الـــسنة المواليـــة لاعـــتلاء الأمـــير "عبـــد الله" للإمـــارة أي في ســـنة (276هـــ/889م) قام بقتل الكثير من أهلها و «...أخذا أموالهم،و سبي ذراريهـــم...»[1]، وكـــذلك استطاع البربر استغلال الصراع المولدي الأموي في الهجوم على بعض المدن واستباحة ما فيها،حيث و في السنة نفسها ،هاجم البربر قرية "طلياطة" قرب "اشبيلية"و قتلوا «...كل من وجدوه بهـــا واســـتباحوا أموالهم وسبوا ذراريهم...»[2] .

و لاشك أن هاته الأوضاع كان لها رد فِعل إيجابي من بعض العلماء الذين عاصروا أحداث الفتنة ،و منهم "محمد بن وضاح" [3] الذي انتقد الحالة العامة التي أضحت الأندلس تتخبط فيها ،و من أقوالـــه في هذا المقام «...كتاب الله قد بدل و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم» قد غيرت و دماء قد سفكت و كرائِم قد سبيت...»[4]

و تعـــددت الأمور إلى أن أصبح الأحرار يباعون و يشترون في هاته الأوضاع الفوضوية ، إذ أشـــار "الوُنشريسي" في معياره إلى أنه «...كثُر بيع الأحرار في فتنة "ابن حفصون"...»[5] و لا شك أن الحالـــة المتردية كانت السبب في هرب الكثير من العبيد من أسيادهم ،فأصبحوا بذلك عرضة لخطـــر الفوضـــى حيث كانوا سلعة سهلة للتجارة و الربح السريع ،و تعددت الفتاوى من طرف العلماء المعاصرين لهـــذه الأحداث في هذا الأمر ،حيث ذكر "الونشريسي" بخصوص هذا أن العالم "ابن زرب" سُئل حول هـــذه المسألة فأجاب أنه على السيد المالك للعبد «...إقامة البينة على صحة ابتياعه و أن المملوك كان ملكـــا لبائعه...» [6] و الأمثلة في هذا الجانب كثيرة تقتصر على ما ذكرناه فحسب تجنبا للإطناب في الكلام.

[1] إبن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص:122.

[2] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص:69.

[3] محمد بن وضاح بن بزيغ :مولى الإمام عبد الرحمان بن معاوية ،من أهل قرطبة ،له رحلة إلى المشرق كانت سنة 218 هـــ لقي بها علماء أجِلاء أمثال يحيى بن معين و أحمد بن حنبل و غيرهم و كان ابن وضاح عالما بالحديث بصيرا بطرقه متكلمـــا ،مولـــده ســـنة 199هـــ ووفاته كانت سنة 287هـــ ،ابن الفرضي ،مصدر سابق،ج2،ص ص 17-19.ترجمة رقم:1136 و للمزيد عن حيـــاة هذا العالم أنظر :حسين مؤنس ،شيوخ العصر في الأندلس ،ط2،دار الرشاد ،القاهرة ،1417هـــ/1997م،ص49 و ما بعدها.

[4] نقلا عن محمد بن ابراهيم أبا الخيل، ص409

[5] الوُنشريسي ،مصدر سابق ،ج9،ص220.

[6] نفسه ، ص ص:219-220.

3- الهجرة :

لقد تسببت الفتنة التي اجتاحت الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري إلى حدوث حركـــة هجـــرة واسعة بين المدن و المناطق الداخلية للأندلس ،و هذا هروبا من الواقع المرير ،و ضراوة الإقتتالات الـــتي دارت بين جند الإمارة و المتمردين و هذا في نواحي مختلفة ،ضِف إلى ذلك المجاعات و السنين العجاف كان لها أثر في تحرك مجموعات كبيرة من السكان نحو مناطق تتوفر فيها ظروف العيش بصورة أحسن ،و لاشك أن هذا أثر و إلى حد كبير على البنية الديمغرافية لمدن الأندلس ،ففي الوقت الذي خلت فيه مدن و قرى بأكملها ،عمرت مدن أُخرى بالساكنة من كل جهة ،و في هذا المقام نذكر عدة أنواع من الهجرة ،هجرة السكان و هجرة أخرى من نوع خاص و هي :هجرة العلماء الذين أجبرهم الفتنـــة إلى التنقل إلى أماكن تكون أكثر أمنا.

و قد أمدتنا كتب التراجم الأندلسية بتحركات هؤلاء العلماء ،و نقتصر على ذكر بعضهم و منهم "تميم بن علاء بن عاصم التميمي" الذي كان يسكن مدينة "إستجة" و قد ذكر ابـــن "الفرضـــي" أنـــه «...خرج عنها زمن الفتنة و نزل "شذونة" بقرية يقال لها "بريشة"...»[1] و كذلك فعل العالم الحـــافظ "محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصِدفي" و الذي كان "بتطيلة" و لكن الأوضاع المأساوية بها أجبرته على تركها لينتقل منها زمن الفتنة إلى قلعة أيوب ، و من هؤلاء العلماء أيضا "عبد الله بن هذيل الكناني" و هو أحـــد تلامذة "محمد بن وضاح" و هو من أهل "جيان" ، و نظرا لتـــردي الظروف بهاته الكورة فقد اضطر إلى الرحيل إلى "قرطبة" التي سكن بها زمن الفتنة و قضى بها بقية حياته إلى أن توفي [2]

و يُضاف إلى هاته القائمة العالم الآخر "إسحاق بن إبراهيم بن عيسى المُرادي" الذي يكـــنى بـــأبي إبراهيم" و هو من أهل "إستجة" و قد رحل عنها زمن الفتنة قاصدا العاصمة "قرطبـــة" و لم يلبـــث أن توفي بها.[3] ، و من هؤلاء العلماء أيضا الفقيه المفتي "حباب بن زكريا" الذي اضطرته ظروف الفتنـــة إلى الفرار من "بطليوس" عند إهتياج الفتن بها و رحل إلى "قرطبة"[4] التي كانت تعتبر من بين المدن الآمنة ،و

---

[1] إبن الفرضي ،مصدر سابق،ج1،ص:117،ترجمة رقم :306.

[2] إبن الفرضي، مصدر سابق ،ج1،ص265 ،ترجمة رقم :678.

[3] نفسه ،ج1،ص 86،ترجمة رقم :230.

[4] نفسه ،ج1، ص 126،ترجمة رقم :334.

تزامن فرار هذا العالم و هجرته إلى عاصمة الإمارة مع فتنة "ابن الجليقي" الذي أعيى الإمـــارة بتمرداتـــه المتتالية.

و يبدوا من خلال ما سبق أن مجموعة كبيرة من المهاجرين سواء كانوا علماء أو من بقية طبقـــات المجتمع الأندلسي كان ملاذها الآمن العاصمة "قرطبة" ،نظرا لما تتوفر عليه من حماية ،فكانـــت مقـــصدا للعلماء الفارين من هول الفتنة ،و هم كُثُر امتلأت بهم كتب التراجم الأندلسية و لكن الأمـــر الـــذي سكتت عنه المصادر ،هو موقف هؤلاء من الصراع الدائر بين الإمارة الأموية من جهة و بقية طوائـــف المجتمع الأندلسي من جهة أخرى و بخاصة المولدين.

و من خلال قراءتنا لمختلف مصادر التاريخ الأندلسي ،وجدنا الكثير من النصوص التاريخيـــة الـــتي أشارت إلى هجرة أعداد كبيرة من السكان هربا من الفتنة التي اجتاحت الأندلس خلال هاته الفترة الأمر الذي ترتب عنه خُلو مدن بأكملها من السكان هربا من الاقتتال الدائر و إن صح التعبير نطلق على هذه الظاهرة بعملية تصفية للمدن ،كما أدى هذا إلى تزايد عدد سكان بعض المدن الأندلسية الأخرى الآمنة بشكل كبير على أن بعض المدن الأندلسية الأخرى تعرضت لهجرة جزئية لسكانها ،و هـــذا راجـــع إلى طبيعة سكان هذه المدن ،فمثلا إذا كانت الظروف في صالح فئة معينة مثل المولدين اضـــطر العـــرب إلى الهجرة ،و ترك دورهم خاوية ،و العكس صحيح .

و في هذا المقام نذكر بعض الأمثلة الدالة على هذا الجانب ،و على سبيل المثال الحملة التي قادهـــا "المطرف" بن الأمير "عبد الله" إلى كورة "إلبيرة" سنة (281هــ/849م) في بادِرة إلى تعقُـــب "ابـــن حفصون" الذي سيطر على معظم أرجاء الجنوب الأندلسي، حيث بلـــغ "المطرف" مدينة "سِجيلة" التي ألفاها «...خالية فأقام عليها أربعة أيام يُدمر ما حولها ،بعد أن هدم المدينة ،و خرب حمامها و حوانيتها فصيرها براحا...» [1] ، و يبدو أن سكانها كانوا من المولدين الذين انضموا إلى "ابن حفصون" و حـــين علموا بحملة الإمارة عليهم اضطروا إلى تركها و الفرار إلى جهة أخرى، و بدوره "المطرف" لم يترك لهم فرصة العودة إذ قام بتدمير مدينتهم.

كما أفضت الفتنة التي دارت بين العرب و المولدين في كورة "إلبيرة" سنة (276هــ/889م) إلى فِرار قسم كبير من العرب ،نظرا لإحكام المولدين سيطرتهم على هاته الكورة في السنوات الأولى لحكم

[1] إبن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص ص109-110.

الأمير "عبد الله" و قد أشار ابن حيان إلى تغني شاعر المولدين "عبد الرحمان بن أحمد العبلي" و تشفيه في العرب جراء ما لحق بهم من هزائم و من قوله:

منازلهم منهم قفار بلا قـــــــع تُجارى السفا فيها الرياح الزعازعُ

وفيالقلعة الحمـــراء تدبير زيغِهم و منها عليهم تستديرُ الوقائـــــعُ[1]

و في مقابل ما ذكرنا ،أدى نزوح أعداد كبيرة من السكان عن مدنهم الأصلية إلى عملية إعمارلمدن أندلسية أخرى ،و أدى هذا إلى اكتظاظها بالسكان هربا من جحافل الفتن ، فمـــثلا مدينـــة "بجانـــة" الساحلية ،كانت ملاذا آمنا لعدد كبير من النازحين،فأمها«...الناس من كل جهة و إنجفلوا إليها من كل ناحية فارين من الفتنة التي كانت إذ ذاك شاملة ،فكانت أمنا لمن قصدها و حرما لمن لجأ إليها ،و كانت المِيرة تجلب إليها من العدوة ،و ضروب المرافق و التِجارات ،و كان ذلك أيضا من الأسباب الداعية إلى قصدها و استيطانها...»[2] إضافة إلى أن واليها "عبد الرزاق بن عيسى" حرس على حماية مدينتـــه مـــن الأخطار التي قد تنقلت من الوسط الأندلسي صوب مدينته، وفي هذا المقام ذكـــر "ابـــن حيـــان" أن المسافرين إلى مدينة "بجانة" كانوا «...يضعون أمتعتهم ورحالهم بالأسواق والشوارع مطروحـــة بـــلا حارس ،فلا يكاد يضيع شيء منها ،وكان ذلك من أعظم اجتماع الناس إلى "بجانة" مـــن الآفـــاق ،و إعتباطهم بحلولها وسكونهم إلى ضبط أميرها...و تحصينه الفروج و الأموال...»[3]،وأدت الزيادة السكانية التي شهـــدتها مدينة "بجانة" ، الى اتساع مساحتها بشكل كبير ،وهذا راجع الى الحالة الأمنية الجيدة التي أضحت عليها ، بفضل واليها "عبد الرزاق" ،و هي بذلك تمثل إحدى المدن الأندلسية الناجية من الفتنة و على هذا النحو ذكر ابن حيان أن أهلها كثروا واتسعت «... عمارتها و حسنت حـــال مـــن فيهـــا فلحقت بكبار أمصار الأندلس ،و حمت إستعبادتها من قبل البحر فجل قدرها...»[4] .

و إلى جانب مدينة "بجانة" التي كانت مقصدا لكثير من الفارين من هول الفتنة ،كان بعض سكان المدن الأندلسية الأخرى يعملون جاهدين على درأ الخطر عن مدنهم ،مما جعلها مقصدا لأعداد هائلة من النازحين ،و على سبيل المثال مدينة "شنت برية" مقر سكن بربر "بني ذي النون" ، فعلى الرغم من

---

[1] نفسه ،ص ص :62-63.

[2] الحميري ،مصدر سابق ،ص ص :78-79.

[3] ابن حيان ،نفس المصدر ،ص :88.

[4] إبن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث، ص 89.

تمردهم ضد سلطان "قرطبة" في هاته الفترة إلا أن هذا لم يمنع هؤلاء من حماية مدينتهم من الأخطار المحدقة بها ،حيث ذكر "ابن حيان" واصفا حال هاته المدينة بقوله :إنها كانت دار منعة في عهد الأمير "عبد الله" حيث أقام البربر بها «...الحصون و المعاقل ،و أحدثوا بها القرى و المنازل فعمرت بهم و كثر أهلــها و حمت مرافقها و حمو الأضداد دخولها...»[1] .

و كان للعصبية في الأندلس دور كبير في تشكيل الخارطة السكانية للأنــدلس الإســلامية ،إذ أن العنصر الغالب على مدينة ما يترتب عنه فرار العنصر الأقل عددا ،خاصة إذا كان والي المدينة من هذا العنصر أو ذاك ،كما حدث في السنوات الأولى للفتح ،و مثال ذلك "إلبيرة" التي كانت تحت ســيطرة العرب بقيادة "سعيد بن جودي السعدي" ،فأصبحت في أيام الفتنة قبلة للعرب من كل ناحية و نظــرا للعصبية المفرطة "لسعيد بن جودي" فقد هوت «...إليه أفئدتهم و قصدوه من كل كورة حــتى لجــأه البكريون من أهل قلعة رباح...»[2] .

و لاشك أن العاصمة "قرطبة" كان قد ازداد فيها السكان بشكل لافت جراء التــدفقات البــشرية عليها من كل ناحية ،نظرا لما أضحت تتميز به من ظروف أمنية و معيشية مناسبة ،إضافة إلى أن أهلــها كانوا يتمتعون بمُعاملة جيدة من طرف سلطان "قرطبة" الذي أجبرته الظروف على استقبال أي كــان ليكون في خدمة العاصمة و حمايتها في أوقات أخرى .

و قد وصف "ابن حوقل" الذي زار الأندلس في عهد "الناصر لدين الله" سنة (337هــــ/945م) مــدينة "قرطبة" بقوله «...ليس بجميع المغرب لها شبــيه ولا بالجزيرة و لا بالشام و مصر ما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة...» [3]،ولا شك أن الهجرة الكثيفة إلى هاته المدينة في عهد الأمير "عبد الله" هــي التي جعلتها تشهد هذا التطور و الازدهار في كل الجوانب ،و بالُموازاة مع هذا استطاع أحد الباحثين أن يجري مُقارنة عددية من حيث السكان في "قرطبة" بين فترة الأمير "عبد الله" و فترة حكم حفيده "عبــد الرحمن الناصر لدين الله"، فإذا نظرنا إلى الجموع القرطبية التي حشدت لمحاربة "ابن حفصون" في معركة "بلاي" سنة (278هـــ/891م) وجدناها بلغت حسب أقرب الروايات إلى الحدث – أربعة عشر

[1] نفسه ،ص 17.

[2] نفسه ،ص 29.

[3] ابن حوقل ،مصدر سابق ،ص:107.

ألف- وكان الجيش الرسمي منها أربعة آلاف و الباقي من أهالي "قرطبة" من الموالي و الحشم [1] ،و لمـــا كان خطر "ابن حفصون" قد استفحل و تفاقم أكثر ،فإنه من المتوقع أن جميع من يستطيع القتال و حمل السلاح قد نفر إلى المعركة بلا استثناء لدفع هذا الخطر ،و إذا فرضنا أن الرجال القادرين علـــى حمـــل السلاح في مدينة "قرطبة" وصل عددهم إلى هذا الحد و قدرنا مثلهم من الصبيان و كبار الـــسن مـــن الرجال و مثلهم جميعا من الناس ،فإن العدد سيصل إلى ستة و خمسين ألفا ،و هذا العدد يمثل عشر مـــا قدره بعض المؤرخين لعدد سكان "قرطبة" في عهد "الناصر" ،حيث وصل إلى نصف مليون نسمة [2] .

أما بخصوص الهجرة خارج الأندلس فالنُصوص التاريخية شحيحة و قليلة في هذا المجال ،على غـــرار تلك الهجرات التي كان سببها في غالب الأحيان المجاعات التي اجتاحت الأندلس في السنوات الأخيرة من عهد الأمير "عبد الله" ،الأمر الذي اضطر البعض من السكان إلى الفرار نحو المغرب ،فعلى إثـــر المجاعـــة القاتلة التي عمت الأندلس سنة (297هـــ/909م) عبر الكثير من السكان إلى أرض العدوة [3] و لاشك أنه كان للفتنة دور كبير في حدوث هذا الأمر لأن هاته الكارثة أخرت الفرصة على الكثير من ســـاكنة الأندلس الاستفادة من أراضيهم الخصبة و حصد محاصيلهم الزراعية على اختلاف أنواعهـــا و تخزينـــها لوقت الحاجة ،فكانت النتيجة أن وجد الناس أنفسهم في ظل هاته الأوضاع مجبرين على البحـــث عـــن أماكن أكثر أمنا تتوفر على مصادر الرزق .

4- انتشار اللصوصية:

إلى جانب اللصوصية التي شهدتهاطرق التجارة في الأندلس ظهر نوع آخرمنها تمثل في النهب والسلب الذي مارسه المتمردون الذين تطرقنا إليهم سابقا ،إضافة إلى متمردين مـــن عناصـــر أخـــرى رأت في الظروف التي تمر بها الأندلس فُرصة للسطو على مُمتلكات الناس ،و مِلأ خزائنهم بمُختلف الأموال الـــتي تصلها أيديهم،ووصل الأمر إلى حد إبادة أُناس لا علاقة لهم بالصراع الدائر و غنم أموالهم ،و أدى هذا إلى انتشار العمليات الانتقامية من العناصر المُوالية لسلطان "قرطبة" ،و لدينا في هذا الصدد الكثير مـــن الأمثلة نقتصر على ذكر بعضها.

---

[1] ابن عبد ربه ،مصدر سابق ،ج5،ص:238.

[2] محمد بن إبراهيم أبا الخيل ،مرجع سابق ،ص ص:422-423،محمد دياب، تاريخ العرب في إسبانيا ،ط1،مكتبة الثقافة الدينيـــة مصر 1421هـــ/2001م ،ص:366.

[3] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص :146.

فمع مطلع السنة الثانية من اعتلاء الأمير "عبد الله" سدة الحكم أي سنة (276هـ/889م) روى "ابن حيان" أن مجموعة من اللصوص من بعض ساكنة "شذونة" ،أغاروا على جزيرة "المُنذر بـــن عبـــد الرحمان" عم الأمير "عبد الله" و أخذوا منها مائتين من البقر و مائتين من الخيل ،و قتلوا الوكيل المكلف بحراستها [1] .

و دأب "ابن حفصون" على سلوك هاته السياسة حتى السنوات الأخيرة من عهد الأمير "عبد الله" و لأنها كانت عملا أساسيا على تقوية مركزه بين أتباعه، حيث كان يُوزع الأموال التي جناها من حركة السلب و النهب على أتباعه ليزيد من ثِقتهم في شخصه ،و لقد وجد "ابن حفصون" العون من طـــرف بعض الثُوار الآخرين في ممارسة النهب و منهم "سعيد بن مستنة" و "سعيد بن هذيل" ففي أحداث سنة (297هـ/909م) روى "ابن حيان" أن "ابن حفصون" و حليفيه المذكورين أغاروا علـــى نـــواحي "جيان" «...فأصابوا الدواب و البقر و المواشي ،فانقلبوا و انضووا إلى حصن "جريشة" بالغنائم... » [2] وكثيرا ما كانت هذه الأعمال سببا في امتناع أهل "الكور" عن دفع الجباية السنوية المفروضة عليهم ،و أدى هذا في كثير من الأحيان إلى نُقص الأموال في خزينة الدولة ،و هذا بدوره أدى إلى تخلي الكـــثيرين من جند الإمارة عن آداء خدمتهم بسبب تقليص رواتبهم.

و لم تقف الأمور عند هذا الحد ، بل إن عناصر أخرى من المجتمع الأندلسي استغلت هذه الأوضاع و مارست نفس أسلوب النهب و السلب و السطو على ممتلكات الآخرين ،و نذكر من هؤلاء البربـــر الذين استغلوا إشتعال الفتنة في "كُورة إشبيلية" مع بداية سنة (276هـ/889م) فقاموا بشن الغـــارات على جميع جهاتها و«...لاأحـــد يعترضهم حتى ملؤوا أيديهم بالغنائم...»[3]ونفس الشيء فعله العرب في " كُورة البيرة" بقيادة زعيمهم "سوار بن حمدون" الذي نكل بالمولدين و العجم ،و نهب أموالهم إنتقاما للعرب الذين لاقوا نفس المصير خلال الفترة التي تلت وفاة "المنذر" و اعتلاء "عبد الله" عرش الإمـــارة و في هذا المقام ذكر "ابن حيان" أن "سوار ابن حمدون" هاجم المسالمة و النصارى "بكورة البيـــــــرة" و افتتح حُصونهم حصنا بحصن ،و ظفر بهم و غنم أموالهم.[4]

[1] ابن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث ، ص72.

[2] نفسه،ص 145.

[3] نفسه ،ص 69.

[4] ابن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص :55.

لقد ساهمت حركة السلب و النهب التي مارسها المتمردون داخل المدن أو اللصوص عــبر أهــم الطرق التجارية إلى تدهور الحالة الإقتصادية لكثير من الأقاليم و المدن الأندلسية في عهد الأمير عبــد الله مثل "ماردة" و "اشبيلية" و "البيرة" و غيرها ،كما كان لها آثار بعيدة المدى خاصة في منطقة الجنــوب الأندلسي التي تضررت جراء فِتنة المتمرد "عمر بن حفصون".

رابعا: الآثار العمرانية و الأدبية :

1- الجانب العمراني :

تضررت المعالم العمرانية في الأندلس جراء الفتنة التي تسبب فيها المولدون والإمارة الأموية على حد سواء خلال الفترة المذكورة سابقا ،إذ حدث في بعض الأحيان تدمير شامل لبعض المدن و الحصون التي كان يحتمي بها المتمردون، فكانت جيوش الإمارة تلجأ إلى هذا الأسلوب من أجل القضاء على قوة هؤلاء، و منعهم من التمرد لاحقا و لكن هذا كان له بالغ الأثر على الكثير من المعالم العمرانية في مختلف أنحاء الأندلس .

ولدينا عدة أمثلة بخصوص هذا الجانب ،فمثلا مدينة "باغة" إحدى أعمال "كورة البيرة" ،و التي كان يتحصن بها الثائر "سعيد بن وليد بن مستنة" خُربت كليا ،على إثر الفتنة التي تسبب فيها هذا الثــائر ،و كان يُسيطر إلى جانب هاته المدينة على أربعة حصون لا مثيل لها في المنعة و هي "الغالية" و "النظرة" و "لفونش" و "أقوط"، و يضيف "ابن حيان" أن "سعيد بن مستنة" ملك حصون أخرى كثيرة لا نظير لها في الحصانة [1] و لكن "ابن حيان" لم يورد أسماء هاته الحصون، و الظاهر من خلال هــذا أن الحــصون كانت وسيلة ناجعة للنجاة من هول الحروب ،فاهتم المتمردون بتحصينها و تعميرها من الداخل ، لكي تبقى صامدة في وجه الجيوش لُمدة أطول قد تصل إلى ستة أشهر كما حدث مع جيوش الإمارة في كثير من المرات .

و لأِن تشييد مثل هاته الحُصون كان يتطلب أشهرا عديدة ،فقد ســعت ســلطات "قرطبــة" إلى إضعاف المتمردين ، و ذلك بتهديم معاقلهم "فسعيد بن مستنة" مثلا حينما خرج إليه الأمير "عبد الله" في حملة سنة (279هــ/892م) لم يقبل توبته و رضوخه إلى الطاعة كما ذكر ابن حيــان حــتى عهــد إلى«...هدم حصن "كركبولية" ففعل ذلك بمرأى من الأمير ،حتى غادره قاعا صفصفا...»[2]

---

[1] نفسه،ص 27.

[2] ابن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص:106.

و من مظاهر تخريب المعالم العمرانية أيضا ،ما جرى في حوادث "إشبيلية" سنة (276هـ/889م) حيث ترتب عن الصراع الذي قام بين العرب و المولدين تخريب لبعض معالم المدينة و منها حصن "محمد بن غالب" الذي هدمه "جعد بن الغافر" و فرق «...من كان فيه و عفى أثره...»[1] و محى وجوده من على وجه الأرض ،انتقاما لما حل بقواته في هاته المدينة .

و خلال الصراع الذي دار بين جيوش الإمارة من جهة و "عمر بن حفصون" من جهة أخرى تضررت كثير من المدن الأندلسية الواقعة في الجنوب بسبب المعارك المختلفة ،ففي حوادث سنة (280هـ/893م) روى "ابن حيان" نقلا عن "الرازي" ،أن الإمارة الأموية سيرت حملة إلى "ببشتر" قاعدة الثائر "ابن حفصون" بقيادة "المطرف" ولد الأمير "عبد الله" ،وحين وصول الجيش شرع في هدم "المُنية"[2] الخاصة "بابن حفصون" ،إضافة إلى هدم المباني المحيطة بها ،و لم تسلم حتى الكنيسة التي كانت تقع بالقرب من حصن "ببشتر" حيث صُيرتا دكا[3]، و نفس الشيء اتبعه "المُطرف" في إحدى صوائفه صوب "إشبيلية" سنة (282هـ/895م) حيث و في طريق عودته إلى "قرطبة" قصد حصنا في طريقه يسمى حصن"الزعواق" فأغار «...على جميع ما كان فيه من الأطعمة و العُدة و الأثاث و غير ذلك، ثم هدمه و أحرقه و قطع أشجاره و عفى آثاره ،و أمر فأحرقت المراكب بفنائه و الخشب و الآلات التي كانت فيه فصُيرت قاعا صفصفا...»[4] ،و لاشك أن هذا الأسلوب الذي انتهجته جيوش الإمارة كإستراتيجية لمحو آثار معاقل المتمردين قد نجح إلى حد كبير في إضعاف هؤلاء ،و الدليل على ذلك أن المصادر لا تُورد أخبار هؤلاء المتمردين ،إلا بعد سنوات طوال ،أو أنهم انضموا إلى هذا الثائر أو ذاك فكانت المشقة والمعاناة كبيرة في إعادة بناء هاته الحصون ، و إن تم ذلك فلا بد أن يتم بموافقة من حاكم "قرطبة" ، و قد كانت هذه الإستراتيجية من المظاهر السلبية التي أضرت بعمران الأندلس و بخاصة الحصون التي كانت في يوم من الأيام مراكز دفاعية ضد الأخطار الخارجية خاصة من الشمال .

وفي مقابل هذا كانت الفتنة في الأندلس سببا في دفع الكثير من المتمردين إلى تقوية مراكزهم الدفاعية مما كان له الأثر في ظهور ما يسمى بالعمارة الحربية ، و التي امتازت على حد تعبير مؤرخي

[1] نفسه ،ص:73.

[2] المنية :قصر ريفي تُحيط به مزرعة ،حسين مؤنس ،فجر الأندلس ،ص 594.

[3] ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ص:108-109.

[4] نفسه، ص ص:113-114.

الأندلس بالمناعة و الحصانة البالغة مثل القلاع و الحصون ، و إن تعذر على البعض من هؤلاء البناء الذي يتطلب الوقت و الجهد الكبير لجئوا إلى ترميم بناءاتهم المختلفة لدرء خطر الإمارة عن أنفسهم.

و الأمثلة في هذا المقام كثيرة نقتصر على ذكر الأهم منها ، فقد أورد "ابن حيان" و "ابن عـــذاري" الكثير من أخبار المتمردين الذين واجهوا الإمارة الأموية بهاته الوسيلة ،نظرا لضعف قوة جيوشهم ،و من أمثلة هذا نذكر "بكر بن يحيى" الذي تعرضنا لثورته في الفصل الثالث ،حيث قام بتحصين إحدى مدنـــه المسيطر عليها و هي مدينة "شنت مرية" «...واتخذ عليها أبوابا من حديد،و كان له ترتيب و أهبة...»[1] و من دون شك فإن الأبواب الحديدية كانت أفضل من غيرها ،لأن الأبواب الخشبية عادة ما تتعـــرض للحرق أو التكسير ،و لم يقف "بكر بن يحيى " في أعماله عند هذا الحد ،بل قام بتلبيس هذه الأبواب بأنواع من المعادن الأخرى ،لكي يظهر بمظهر السلطان ،و تشبه إلى حد كبير "بإبراهيم بـــن حجـــاج" صاحب "إشبيلية" [2] .

و نفس الشيء فعله البربر الذين تمردوا في "كورة شنت برية" في الثغر الأوسط مـــن الأنـــدلس ،إذ وخوفا من نار الفتنة التي امتدت أوصالها في جميع نواحي الأندلس ،و انضمامهم إلى قائمة المتمردين كان لزاما عليهم اتخاذ جميع الاحتياطات، و ذلك بتجديد بعض الحصون و بناء ما أُتلف منها للتحصُن بهـــا عند الحاجة ،و يذكر "ابن حيان" في هذا المقام أنهم «...شادوا الحصون و المعاقل ،و أحدثوا بها القرى و المنازل،فعمرت بهم و كثر أهلها و حمت مرافقها...»[3]، و كذلك فعل "إبن عطاف العُقيلي" الذي كان جنديا من جنود الإمارة الأموية كما يذكر "ابن حيان" ،و لكنه إنفصل أيام الفتنة التي عمت الأنـــدلس أيام الأمير "عبد الله" ،وأراد بهذا الإنشقاق تكوين إمارة مستقلة على شاكلة "إبراهيم حجاج" ، ولكنـــه خاف من الإنتقام الذي قد يطاله من "ابن حفصون" ، فعمد إلى حصن "المنتلشة " فبناه و حصنه و امتنع فيه ،و كان ذلك في أولى أيام الأمير "عبد الله" [4].

و كذلك حدثت نفس الأمور في كورة "البيرة" إبان الفتنة التي دارت رحاها بين العرب و المولدين حيث ازدهرت العمارة الحربية إذ قام زعيم العرب في هذه الكورة "يحيى بن صقالة" بإعادة بناء و تحصين

---

[1] إبن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص137.

[2] إبن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص116.

[3] نفسه ،ص:17.

[4] إبن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص:29.

حصن "منتشاقر" [1] ،و أحسن ترميمه و اتخذه مُنطلقا لحملاته ضد المولدين و العجم حتى وفاتـه سـنة (276هـ/889م)، و نفس الشيء فعله خُلفاءه من بعده أمثال "سوار بن حمـدون" و "سـعيد بـن جودي" الذين جدوا في تحصين بناءاتهم لاتقاء شر الانتقامات من طرف المولدين في هاته الكورة التي لم تهدأ بها الأمور حتى بداية عهد "الناصر لدين الله" .

كما اتخذ "عمر بن حفصون" كامل احتياطاته خلال صراعه الطويل مع حكومة "قرطبة" ،حيـث اتخذ من حصن "ببشتر" قاعدة له قبل اعتلاء الأمير "عبد الله" للحكم بسنوات ، و أحكم بناءه ،و جعل فيه بعض الكنائس ليتعبد بها خاصة بعد ارتداده عن الإسلام سنة (286هـ/901م)، و قـد وصـف الحميري هذا الحصن بقوله أنه «...حصن منيع تزِل عنه الأبصار فكيف الأقدام على صخرة صماء منقطعة لها بابان...» [2]، و لدرجة أن "عبد الرحمان الناصر لدين الله" احتار في طريقة بناءه و تحـصينه عند فتحه لهذا الحصن و دخوله إليه سنة (316هـ/928م) إذ ذكر "ابن عذاري" أن "الناصر لـدين الله" أيقن أنه «...لا نظير لهذا الحصن في الأرض حصانة و منعة و اتساع قرارة ،فأكثر من حمد الله عز و جل...» [3] .

و قد كان لهذا الحِصن دور كبير في تقوية مركز "ابن حفصون" و الزيادة في نشاطاته العـسكرية ضد الإمارة ،هاته الأخيرة التي لم تستطع القضاء عليه، و على غرار هذا الحصن كان "لابن حفـصون" حصن آخر هو حصن "بلاي" الذي كان منطلقا لحملاته على "قرطبة" فعمـد "إبـن حفـصون" إلى «...تحصينه غاية التحصين و شكه أشد الشوكة... » [4] فكان الملجأ الثاني بعد حصن "ببشتر" خاصة و أنه قريب من "قرطبة" ،و كان من السهل على "ابن حفصون" شن غاراته منه ،و إذا كانت الإمـارة في حالة قوة توجه "ابن حفصون" إلى "ببشتر" الحصن الأكثر أمانا.

و إلى جانب هذا لا ننسى ما فعلته الإمارة الأموية ،حيث عمـدت إلى بنـاء بعـض المـدن و الحصـــون كإستراتيجية لمراقبة المتمردين و القضاء على نشاطاتهم في المهد ،و يدخل في هذا الإطـار مدينة "لوشـة" التي بناها "المطرف" بن الأمير "عبد الله" و عمرها بالحصون و أتقن أسوارها بأمر من

[1] نفسه ،ص:61.

[2] الحميري ،مصدر سابق ، ص:79.

[3] إبن عذاري ، مصدر سابق،ج2 ، ص 196.

[4] إبن حيان ، نفس المصدر ،ص ص:91-92.

والده [1]،و كان ذلك سنة (280هــ/893م) و هذا لتكون مركز مراقبة للثائر "عمر بن حفــصون" و أتباعه ،إضافة إلى هذا قامت الإمارة الأموية بتشييد بعــض الحــصون و شــحنتها بــالجنود [2] ســنة (297هــ/909م) لتكون أيضا مراكز مراقبة للثائر "سعيد بن هذيل" صاحب حــصن "المنتلــون" و الموالي "لعمر بن حفصون" كبير الثوار.

2- التقارب بين الطوائف:

لقد كان من الضروري أن تلتقي المجموعات المختلفة المكونة للشعب الأندلسي مع بعضها البعض في مناسبات عديدة كالإقامة في المدن ،أو الاحتكاكات العسكرية ،أو عمليات الأسر ،أو حركة الهجرة من مدينة إلى مدينة بسبب الفتن ،و هذا لتلتقي جميعها في بوتقة واحدة و تنصهر في محــيط واحــد ،و تكون بذلك مُجتمعا جديدا يضم العديد من العناصر .

و على الرغم من التباين في نمط الحياة لكل من هاته العناصر ،إلا أن مسألة التعايش أضحت أمرا لا مفر منه ،على أن ضرورات الحياة المختلفة – في أحيان كثيرة– اضطرت الجميع إلى التسامح و في بعض الحالات إلى التلاقي و التعاون في مجالات الحياة العديدة [3] ،و كان من أهــم مظــاهر هــذا التفاعــل الاجتماعي بين هاته المجموعات –سواء ا كانو عربا أو مسيحيين أو يهود أو غير ذلك – تلاشى إطلاق لفظ المولدين على أبناء المسلمين من الآباء و أبناء الإسبان من جهة الأمهات خاصة في النصف الأخــير من عهد الأمير "عبد الله" [4] ، إضافة إلى ذلك لم يعد منصب القضاء –أهم منصب في الدولة الإسلامية– حكرا على العرب بل تعداه ليشمل عناصر أخرى ،فهذا "إسحاق بن ذوبان" المتوفى في عهد الناصر سنة (303هــ/915 م) تولى هذا المنصب في مدينة "طليطلة" و كان من المولدين ،و تولى نفس المنصب في مدينة "قرطبة" في الأيام الأولى من عهد "الناصر لدين الله" [5]، كما أن هذا الأخير – أي الناصر– عزل

[1] إبن حيان،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص :109.

[2] إبن عذاري ، مصدر سابق ،ج2، ص:146.

[3] الطاهر أحمد مكي ،دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة ،ط3،دار المعارف ،القاهرة ،1987م،ص43.

[4] حسين مؤنس ،فجر الأندلس ،ص425.

[5] إبن الفرضي ،مصدر سابق ،ج1،ص86،ترجمة رقم :228.

في أيامه الأولى لحكمه الأندلس القاضي "أسلم بن عبد العزيز" [1] عن قــضاء "قرطبــة" وولى مكانــه رجلا«...كان في أبويه عجمة...» [2] و هذه بادرة قلما شهدتها الفترات السابقة ،إذ أراد "الناصر لــدين الله" للأندلس أن يشارك في صنع حضارتها جميع فئات المجتمع الأندلسي.

و من خلال هذين المثالين يتضح لنا أن العصبية العُنصرية في الأندلس -آنئذ- بدأت تــضمحل ،أو ربما اضمحلت من النفوس بالفعل ،فلم يعد يُنظر إليها بعين الاعتبار ،لأن الحكومة الأموية منذ قيامهــا حتى هذا الوقت الذي نتحدث عنه ،كانت تولية منصب قاضي الجماعة لأحد من غير العرب من الأمور القليلة على غرار"عمر بن عبد الله" الذي كان من الموالي،و لكنه أقرب من الفئات الأخرى إلى العرب [3] بالإضافة إلى هذا هناك مظهر آخر للتعايش الاجتماعي بين فئات المجتمع الأندلسي ،حيث امتزجت — بفضل الاحتكاكات الدائمة بين أفراد المجتمع– العامية العربية بالعامية اللاتينية (Romance) [4] و كان من نتائج هذا التمازج ظهور لون جديد من ألوان الشعر و هو الموشحات ،هذا الجنس الغنائي الجديــد الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بعربية الشارع الأندلسي و باللغة "الرومانسية" ،كما انشقت من هذا التمازج لغة كانت تستخدم في الحديث اليومي ،و أصبحت لغة البيت ،وهي جنس بلغ من الحيوية و النضج حدا عاليا في شبه جزيرة "إيبيريا" و إمتد تأثيره حتى خارجها [5] و كما ذكرنا سابقا يعد "مُقدم بن مُعــافر" أول من اكتشف ثمرة هذا التمازج و هي "المُوشحات"ويعتبر"مقدم" من شعراء الأمير "عبد الله بن محمد المرواني" و قد أخذه عنه " أحمد بن عبد ربه الأندلسي" صاحب كتاب "العقد الفريد"[6]

---

[1] أسلم بن عبد العزيز بن هاشم ين خالد بن عبد الله بن حسين بن جعد بن أسلم ابن إبان بن عمرو مولى عثمان ين عفان رضي الله عنه ،الخشني ،مصدر سابق ،ص 155،ترجمة رقم :45.

[2] الخشني، نفس المصدر ،ص 160.

[3] محمد بن ابراهيم أبا الخيل ،مرجع سابق ،ص 427.

[4] أحمد هيكل ،الأدب الأندلسي :من الفتح إلى سقوط الخلافة ،ط7،دار المعارف مصر ،1979م،ص ص:143-144.

[5] الطاهر أحمد مكي ،مرجع سابق ،ص 186 و ما بعدها.

[6] إبن خلدون ،مقدمة ابن خلدون ،ص 817 و ما بعدها ،أيضا:إحسان عباس ،تاريخ الأدب الأندلسي ،عصر الطوائف و المرابطين ط1،دار الشروق للنشر و التوزيع ،عمان ،الأردن ،1997م،ص 177 و ما بعدها .

3- في الحياة الأدبية:

لقد كان للجو المشوب بالحروب و الفوضى في عهد الأمير "عبد الله" انعكاس على الحياة الأدبية و بخاصة منها الشعر العربي ، ففي هذه الفـــترة تعدد الشعراء الذين وصفُوا الأمير و حملاته على أعدائه ونذكر منهم على الخصوص الشاعر و الأديب "أحمد بن عبد ربه" [1] صاحب كتاب "العقد الفريـــد" ،و قد عاش هذا الشاعر في كنف الإمارة لسنوات عديدة ،لينتقل منها إلى بلاط "إبراهيم بن حجاج"

صاحب اشبيلية ،و لهذا الشاعر قصائد رائعة في وصف "إبراهيم بن حجاج" و إمارته ،وذكر "ابن حيان" أن الأمير "عبد الله" كان يُجزل العطاء لهؤلاء الشعراء لقاء ما يُنشدونه فيه و في دولته و هـــذافي قولـــه «...و يصلهم بما قد عودهم عليه فيريح عليهم بما يُحرزه من بارع أقوال صُواغهم في مديحه مما يضاهي قدره ،و يخلُد ذكره ،فهاتيك أماديحهم بجودهّا بأفواه الرواة سائرة... » [2] و قد كان لُمختلف الشعراء في عهد الأمير توقيعات شعرية بليغة حفظتها لنا مختلف المصادر الأدبية و التاريخية، على أن عميد هؤلاء بدون منازع هو "ابن عبد ربه " الذي عاصر دولة الأمير "محمد بن عبد الرحمان" و ابنيه "المنذر" و "عبد الله" .

و مما لاشك فيه أن الأديب "ابن عبد ربه" عاصر أحداث الفتنة التي طغت على هاته الفترة ،فكان من الطبيعي أن يتأثر بها ،الأمر الذي جعله يُخرج ما في جُعبته مما جادت به قريحته في الثناء على الأمير "عبد الله" عند اعتلائه عرش الإمارة الأموية، و رأى فيه الشخص الذي بمقدوره تخليص الأندلس من محنتـــها حيث و مع مطلع الأيام الأولى من عهد الأمير أنشد قصيدة يقول فيها :

و لي قولة في الناس لا أبغي بها   من الناس إلا أن يقال صديـــقُ
ألا تشكُرون الله إذا قام فيكم   إمام هدى في المكرمات غريقُ
و أحكم حُكم الله بين عباده   لسان بآيات الكتاب طليـــــقُ

[1] أحمد بن محمد بن عبد ربه :عالم ساد بالأندلس و رأس و أُقتبس به ما اقتبس و شهر بالأندلس حتى سار إلى المـــشرق ذكـــره ،و استطار شرر الذكاء فكره ،و كانت له عناية بالعلم و ثقة ...أما الأدب فكان حُجته ....،أنظر:المقري ،مـــصدر ســـابق ،ج7،ص ص49-53 ،كان مولده سنة 246هـــ/860م ووفاته كانت سنة (328هـــ/ 940م)، و عن حياته بالتفصيل أنظر ،ابن عبد ربه مصدر سابق ،ج1 ، مقدمة المحقق ،ص ص:أ- هـــ ،أيضا:محمد بن زكريا عناني ،تاريخ الأدب الأندلسي ،ب ط ،دار المعرفة الجامعة ،الإسكندرية ،1999 ،ص 74 و ما بعدها ...

[2] إبن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص 41.

خلافة عبد الله حج عن الـــورى فلا رفث في عصرها وفســـوقُ
إِمام هدى أحيا لنا مهجـــة و قد جشأت للموت وهي تفوقُ
حقيق بما نالت يداه من العُلى و ما نالنا منها به فهو حقيــــقُ

....

ووصف "ابن عبد ربه" الفتنة التي عصفت بالأندلس في قوله من نفس القصيدة :
تجلت رياح الحيف عن نور عد له كما در في جنح الظلام شروق[1]

و إلى جانب ابن عبد ربه هناك شعراء آخرون ذكرهم "ابن حيان" في مقتبسه نذكر منهم "عبيد الله بن يحيى بن إدريس الخالدي" و قد أثنى "ابن حيان" على مقاطعة الشعرية كثيرا ،و لكنه لم يُورد أي أمثلة لأشعاره ،و ذكر أن شعره كان يضاهي شعر "ابن عبد ربه" في وصف مآثر الأمير "عبد الله" و منــــهم أيضا الشاعر "عبيديس بن محمود" الكاتب ،و الشاعر "إسماعيل بن بدر" و "ملِك بن محمد بن ملك بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم " المعروف "بالعُرواني" و الذي تفــنن في ضُـــروب الأدب و امتاز ببلاغة عالية في الترسيل ،و منهم أيضا "محمد" و "عمر" ابنا "إبراهيم بن عبد الرحمان بن معاوية بن المنذر القرشي"[2] بدون أن ننسى "مُقدم بن مُعافر" الذي كان له الفضل في ظهور فن "الموشحات" كما ذكرنا سابقا، و قد ذكره "ابن خلدون" في مقدمته، إضافة إلى هؤلاء القائمة طويلـــة نقتصر على ما ذكرناه تجنبا للخروج عن الموضوع .

و لقد كانت للفتنة التي نشبت بين المولدين و العرب في حاضرة "إلبيرة" آثارها على هذا الجانـــب حيث تطرقنا سابقا إلى أن الأمير حاول بكل الوسائل الإيقاع بين المتمردين ،مولدين كانوا أو عرب ،و في هذا الصدد ذكر "ابن حيان" أن الأمير "عبد الله" في أحداث سنة (276هـــــ/889م) عــزل «... "جعد بن الغافر" عن كورة "إلبيرة" لإرضاء "سوار"...»[3] و كان "جعد" هذا موالي للمولدين ،الأمر

[1] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص ص:43-44 ،أيضا:ابن عذاري ،مصدر سابق، ج2،ص 121.
[2] ابن حيان ، نفس المصدر ،ص : 46.
[3] نفسه ،ص : 56.

الذي أغضب قوات المولدين و جعلها تهاجم قوات "سوار" قبالة "غرناطة" ، فكانت الدائرة عليهم ممـــا جعل "سعيد بن جودي" صاحب "سوار" يثني على هذا الأخير في قصيدة طويلة مطلعها :

يقُول بنو الحمراء لو أنا جنحنـــــا   يطير لعشاكم بشوبوب وابـــلِ

و ضقتم به ذرعا و جاشت نفوسُكم   و ما منعتكم مانعات المعاقـــل

فقد كان طرد الجنح إذ طار نحونــــا   كِذبات حسن أو كدود المزابلِ

....

لظلت سيوف الهند تحصد جمعكـــــم   حصاد زروع أينعت للمناجـــلِ

و قال واصفا لشجاعة "سوار":

يقُودهم ليث هُزبر ضـــــــارم   محث حروب ماجد غير خامـــلِ

أخُو ثقة محض النجار مـــــهذب   له حسب ذاك كريم الأوائـــــلِ

به قتل الله الذين تخربـــــــوا   علينا و كانوا أهل إفك و باطـــلِ[1]

و "لسعيد بن جودي" الكثير من القصائد في مدح "سوار بن حمدون" و رجاله في مختلف الوقائع التي دارت بين المولدين و العرب في كورة "إلبيرة" ،و قد كان "للأمير عبد الله" دور كبير في تأجيج الأوضاع بينهما و هذا من أجل الانشغال بإخضاع بقية المتمردين .

كما كان للمولدين شاعرهم الخاص الذي يدافع عنهم بكل ما أوتي من بلاغة شعر ،فهـــذا "عبـــد الرحمان بن أحمد العبلي" يصف عرب "غرناطة" لما اشتد عليهم الأمر و حاصرهم المولدون في هاته المدينة بقوله :

منازلهم منهم قفار بلا قـــــــع   تجارى السفا فيها الرياح الزعـــازعُ

و في القلعة الحمراء تدبير زيغهم   و منها عليهم تستدير الوقائـــــــعُ

كما جددت أباؤهم في خلالهـــا   أنستنا و المُرهفات القواطـــــــعُ[2]

[1] إبن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص ص:57-58.

[2] نفسه،ص :63، إبن سعيد المغربي ،مصدر سابق ،ج2،ص125.

و هاته الأبيات دليل قاطع على ما بلغه المولدون من فصاحة في اللغة العربية مكنتهم من قول الشعر الذي يعجز عنه العرب أنفُسهم في كثير من الأحيان ،حيث عد "ابن حيان" الشاعر "العبلي" من فطاحل شعراء المولدين في زمانه.

و تُعتبر القصيدة التي نظمها "ابن عبد ربه" بمناسبة النصر الذي أحرزه الأمير "عبد الله" ضد "عمر بن حفصون" -في المعركة الفاصلة بحصن "بلاي" (278هـ/891م)-، تعتبر هاته القصيدة من أروع القصائد التي نُظمت في هذا الشأن ،حيث صور لنا "ابن عبد ربه" في هاته الآبيات حيثيات المعركة مـــن بدايتها إلى نهايتها ،و ظروف اندلاعها و النتائج التي تربت عنها ،و هي –بالإضافة إلى النصوص التاريخية التي تناثرت بين ثنايا المصادر– تعتبر مصدرا تاريخيا شاهدا على الإنجاز الذي حققته جيوش الإمارة ضد "عمر بن حفصون" و أتباعه من المولدين. ويمكن القول أن هاته المعركة تعتبر الحد الفاصل بين القـــوة و الضعف الذين ميزا ثـــورة "ابن حفصون" من بدايتها إلى نهايتها في عهد "الناصر" و في هذا الشأن يقول "ابن عبد ربه":

هو الفتح منظوما على إثره الفتـــح   و ما فيها عهد و لا فيهما صلـــحُ
سِوى أن صفحا كان من بعد قُدرة   و أحسن مقرون إلى قُدرة صفـــحِ

سل السيف و الرمح الرديني عنهما   فتسمع ما ينبي به السيف و الرمـــحُ
لقد تسفعت يوم العروبة عندهـــا   فعيد لنا فيه السلامة و النجـــــحُ
ذبائح راحت يوم عيد لحومهـــا   و ما إزدان عيد لا يكون فيه ذبـــحُ
قربناهم سجلا من الحرب مـــرة   و عشرا ركيكا ليس في طعمه ملـــحُ
و مقربة تعتز في النفح كمتهـــا   و تخضرطورا كلما بلها الرشـــــــحُ
تزامن في نضح الدماء كأنمـــــا   كساها عقيقا أحمرا ذلك النضـــــــحُ[1]

....

و ذكر "ابن حيان" أن "عمر بن حفصون" كان يطلق عبارات استهزائية إذا سمع بخروج الأمير "عبد الله" نحوه بقوله «...إذا سمع بتهيئة الأمير "عبد الله" لغزوِه و عمله على الخروج نحوه يتضاحك و يقول

[1] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص ص:97-98.

هذا توهيم للبيطة يعني جماعة البقر بالعجمية... » [1] بيد أن خروج "بلاي" كان الضربة القاصمة الـــتي شتتت قوة "ابن حفصون" ،و جعلته يفر من المعركة و في هذا يقول "ابن عبد ربه":

و كان ابن حفصون يُعد جيـــاده   سراحيل قبل اليوم فهي لنا صرحُ
نجا مستكنا تحت جنح من الدجى   و ليس يود شكرا ما أنعم الجنـــحُ
دعته من كانت عليه منيــــــة   فترحاله منها و قل له التـــــــرحُ
سربل الليل خامس خامســـــة   فكلهم في كل جارحة جـــــرحُ
يودون لو أن الصبح ليل عليهم   و نحن نود الليل لو أنه صبـــــــحُ[2]

و أضاف قائلا من نفس القصيدة في وصف قتلى المولدين و خسائرهم في المعركة :

أقادح نار كان طعم وقودهـــــا   بعينـــك فأنظر ماذا أضاء لك القِدحُ
محا السيف مازُخرفت أول وهـــلة   و دُونـــك بعد ذلك ما يمــــــحُ
فكم شارب منكم أضحى بعد سكـــرة   و ما كان لولا السيف من سكره يصحُ
كأن بلايا و الخنازيرُ حولهـــــــــا   مُقطعة الأوصال أنيابها كلــــــــــحُ
ديار الذين كذبوا رسل ربهـــــــــم   فلاقوا عذابا كان موعده الصبــــــــحُ

فلو نطق السفحُ الذي قُتلوا بـــــــــه   إذا لبكى من نتن قتلاهم السفــــــــحُ
دماء شفت منها الرماح غليلهـــــــا   فود قضيب المبان لو أنه رمـــــــــحُ
و لله ما أزكى تجارة صفقـــــــــــة   يكون لهم خُسرانها و لنا الربـــــــحُ
أقمنا عليها اللهو في يوم عيدهـــــــم   فكم له فصحانه قطع الفصــــــــــحُ
ألا تعِست تلك الوُجوه و قُبحــــــت   فما خلقا إلا لها التعس و القبـــــــحُ[3]

وفي الأبيات الأخيرة من هاته القصيدة يتفاخر "ابن عبد ربه " بالأمير "عبد الله" و يثني على تحقيقـــه هذا الإنجاز الكبير الذي عجز عنه أخوه المنذر و أبوه محمد .

فيا وقعة أنست وقيعة راهـــــط   و يا عزمة من دونها البطن و النطح

[1] نفسه،ص 97.
[2] نفسه ،ص 98.
[3] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص 98.

و يا ليلة أبقت لنا العز دهـــــرا   و ذلا على الأعداء صل به التـــرح
بدولة عبد الله ذي العز و التقى   يخبر في أدنى مقاماته المـــــــــــدح[1]

و"لابن عبد ربه" قصيدة أخرى يهنئ فيها الأمير "عبد الله" على النصر الذي أحرزته قواتـــه ضـــد المتمرد ،و هي طويلة نقتصر على ذكر بعض الأبيات منها :

الحق أبلج واضح المنهـــــــاج   و البدر يشرق في الظلام الداجِ
و السيف يعدل ميل كُل مخالف   عمِيت بصيرته عن المنهــــاجِ

....

نشر الخليفة للخلاف عزيمـــــة   طوت البلاد بجُحفل رجـــــراج
جيش يلز كتائبا بكتائـــــــب   ويضم أفواجا إلى أفـــــــواجِ

....

لما جفلن إلى بلاي عشيـــــــة   أقوت معاهدها من الأعـــــلاجِ
فكأنما جاشت خلال ديارهـــم   أُسد العرين خلت بِسرجِ يعــاجِ

و من نفس القصيدة وصف "ابن عبد ربه" الهزيمة التي حلت بقوات "ابن حفصون" الذي اضـــطره هول المعركة إلى الفرار منها ،و قد صور الشاعر المشهد في أبيات نذكر منها :

و نحى ابن حفصون و من يكن الردى   و السيف طالبه فليس بنــــاجِ

في ليلة أُسرِت به كأنمــــــــــا   خيلت لديه ليلة المعـــــــراجِ
ما زال يلفح كل حرب جائـــــل   فاليوم فتحها بشد نتـــــــاجِ
فإذا سألتهم موالي من هـــــــم   قالوا موالي كل ليـــــــل داجِ
ركب الفرار بعصبة قد جربــــوا   غب السرى و عواقـــب الأدلاجِ
و بقية في الحصن إرتج دُونهـــم   باب السلامة إيما إرتيـــــــاجِ
نكمت ضلالتهم على أعقابهـــــا   و انصاح كفرهم علـــى الأدراجِ

....

أضـــحى كبيرهم كان جبينــــــه   خضبت أسرته بماء الـــــــزاجِ

[1] نفسه ،ص 99.

لما رأى تـــاج الخلافة خالـــــــــه   قام الصليب له مقام التــــــــاجِ

هذي الفتــوحات التي أذكــت لنا   في ظُلمة الآفاق نُور سِــــــــراجِ[1]

كما كان لهذا النصر الذي أحرزه الأمير "عبد الله" نصيب وافر من الثناء و المدح من طرف شُــعراء آخرين ،و منهم الشاعر "معاوية" الذي أنشد "لسعيد بن عمرو العكي" الشاعر الآخر،قصيدة يهنئ فيها الأمير على انتصاره في معركة "بلاي" ،و منها هذه الأبيات :

أحل لحظ طرفِ الناضرِ المتأمــلِ   ترى البحر يطفُوا فوق سهل و أجبلِ

ترى الأرض وقفا لا تسير و إنها   لركب تهوى كالتُقى المُتهيــــــــــلِ

....

كأنما سماء النقع تبدى كواكبــا   بأكنُفها من لمح رُمح و مِنصــــــــلِ

فقل لابن حفصون رويدك إنهــا   كتائب دقت قمطريرا بأكفـــــــــلِ[2]

و من جانب آخر ذكر "ابن حيان" أن الولد إبان بن الأمير "عبد الله" خرج في آخر سنوات حكـــم أبيه أي سنة (296هـــ/908م) للإغارة على بعض حصـــون الثائر "سعيد بن وليد بن مستنة" بناحية "بُبشتر" فافتتح "المُطرف" الحصون ،و قفل عائدا إلى "قرطبة" ،فقال الشاعر "عبيد الله بـــن يحـــيى بـــن إدريس" في هذه يهنئ الأمير "عبد الله" بهذا الفتح :

على من لحظُه سيفان سلهُمــــــا   فكم بقاء أسير بين سيفيــــــنِ

إلا كقدر بقاء الجانبين معــــــــا   من بين جُندين للتقوى معديــنِ

الله أيد عبد الله حين غــــــــــدا   يذُب عن دينه الأرض عدويــنِ

....

و جاءك الفتح في العيد الكبير فما   رأيت في اليوم مثلهما عيديـــــنِ

فتح تجددت الدنيا بجدتـــــــــه   و استقبل الناس في فصل الزمانينِ

....

هو بن مستنة و الغاوي صاحبــه   في النار لما أجابا داعي الحيـــــنِ

---

[1] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص ص:100-103،أيضا:إبن عذاري ،مصدر سابق ،ج2،ص ص:132-133.

[2] ابن حيان،نفس المصدر ،ص ص:103-104.

رميت بذلك بداء لا دواء لـــــه منه و غادرت هذا بين حربيـــــنِ

....

هذا النجاح إمام المسلمـــين و ذا هو القفول الذي أوفى بعيديـــــنِ

تم الأعادي بحتف نازل بهـــــــم معجل هلكهم من قبل شهريـــــنِ

كالذي أنبأ الشاري طليطلـــــة إن البلاء عليها بعد عاميـــــــنِ[1]

و على الرغم من أن الأمير "عبد الله" وُصف بأنه كان شاعرا بليغا بصيرا باللغة ،إلا أن توقيعـــه في هذا المجال كان غائبا كُليا، و يعزو أحد المؤرخين المحدثين سبب ذلك إلى الفِتنة التي تصاعدت في عهده والتي لم يعد قادرا على التصدي لها و أو التخفيف من حدة اندفاعها، فانكفأ على نفسه في القصر وقورا غامضا و زاهدا إلى حد ما ،ربُما هذا راجع إلى تأثير هذه الفتنة في شخصيته [2] .

هذه جملة من الأشعار التي قيلت في مدح الأمير "عبد الله" و جيوشه التي أنزلت هـــزائم ســـاحقة بقوات المولدين في مختلف نواحي الأندلس ،و هناك قصائد أخرى ،امتلأ بها كتاب "المقتبس" و لكنـــها تتعلق بمناسبات ووقائع أخرى ،سواء كانت بين العرب و المولدين أو بين العرب و الإمارة ، و نحن آثرنا انتقاء هاته الأبيات ،لكي لا نخرج عن إطار النتائج الأدبية التي أفرزها الصراع الذي دار بين الإمارة من جهة و المولدين بقيادة "عُمر بن حفصون" من جِهة أخرى.

[1] ابن حيان ،مصدر سابق،القسم الثالث ،ص ص:144-145.

[2] إبراهيم بيضون ،الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس :دراسة في آداب السلطة ، ب ط ،دار النهضة العربية و النـــشر ،بـــيروت 1987م ،ص:183.

الخاتمـــــة

الخاتمـــــــــة

من خِلال ما سبق نستنتج أن الثورات ضلت متواصِلة طِيلة العهود التي خضعت الأنـــدلس فيهـــا للعرب،و الأمثلة السابقة التي أوردناها دليل على أن تلك الثورات لم تهدأ أبدا ،و أنها ما انفكت تندلع في مُختلف الأنحاء الأندلسية ،و لاشك أن هذه الثورات المتوالية ضد الحكومة المركزية ما كانـــت لِتُتـــيح للوجود العربي أن يشعر بالاستقرار التام أو يطمئن على مصيره ،فلقد عاش الأمويون في هذه الفترة تحت رحمة هزات و رجات عنيفة في غالب الأحيان كادت تُزعزع جذورهم من الأساس ، و جعلت هـــذه الثورات الوجود العربي يعيش على أعصابه ،و يقوم على ألسنة الحراب ،و في هذا الجو المشوب بالخوف الدائم كان يتهدد العاصمة "قرطبة" سُوء المُنقلب وسُوء المصير ،ثم إذا نحن دققنا النظر في أصول القائمين بهذه الثورات أو المُحرضين عليها ،وجدنا أنها ترجع إلى إسبانيا إما كليا أو جزئيا ،فقد كان معظمهم من الإسبان الأقحاح أو من أولئك الذين ترجع أصولهم من جهة أمهاتهم إلى اسبانيا .

و مما لاشك فيه أيضا أن هذه الثورات كانت من أهم العوامل القوية التي عجلت بالكارثة ،إذ مـــن المعلوم أن انعدام الاستقرار في أمة ما كثيرا ما يُفوِت عليها – مهما كانت عظمتها وقوتها– لا الاهتمام بالبناء و التشييد في الداخل الَذين هما الأساس المتين لاحتفاظ الأمة بدمائها متجـــددة قويـــة زاخـــرة بالمعطيات و الحياة ،إضافة إلى أن اللا أمن يعرض مصير مناطق هامة من تُرابهـــا إلى انعـــدام وجودهـــا الروحي فيها ،ثم الخروج عمليا عن سلطانها ، و في هذا العصر الذي نحياه الآن من هذه الحقيقة صـــور واقعية مُرة تتجدد يوميا و في فترات لا تُحصى ،ومن المستحيل على أمة لا تشعر بالاستقرار الداخلي أن تتجه إلى الإنشاء و البناء ثم الخلق و الابتكار ،و إنما تتحول – حينئذ و عن طريق اللا اطمئنـــان مـــن الأوضاع اللاإستقرارية – إلى اليأس من إمكانية الإصلاح ثم الإرتجال الذي يُحول الطاقات الشـــعبية إلى طاقات سلبية ، وفي ظِل هذه الظروف غاب كل شعور بواجب التضامن و نُكران الـــذات في ســـبيل الصالح العام ، وضاقت بهؤلاء بدون استثناء دنيا الهدوء و الاستقرار و أصبحوا مع مـــرور الأيـــام– و بسبب تراكم رسوبات اليأس من القيام برسالة الوجود العربي الحقيقية– لا يحسون في أعماقهم بقدرتهم على مُواصلة رسالة الفتوحات خارج مُحيطهم المليء بالفوضى ،و هكذا انقلبوا على بعضـــهم الـــبعض يتناحرون و يتطاحنون و يُدبرون المؤامرات حتى ضد آبائهم و إخوانهم و ما قصة الأمير "عبد الله" مـــع ولديه و إخوته ببعيدة عن الأذهان .

و صفوة القول أن هذا التناحر أدى إلى زيادة الضغينة و الأحقاد، و هذا بــدوره أجــج لهيــب الثورات، ثم الانتفاضة على كل شيء ، ثم الاستنجاد بالأجنبي و طلب الإعانة منه ، و هذا هو الأمــر الخطير الذي أَضر بوحدة أجزاء الأندلس في تلك الفترة .

و الأخطر من هذا أنه كان يصحب الثورات الداخلية من أعمال التخريب و انعدام المســؤولية و الانحلال الخلقي ، و التفسخ الديني ، ما جعل عناصر أخرى ترى أن العرب الذين كانوا بالأمس القريب يدعون إلى الرحمة و الأخوة و العدل و المساواة و التعاطف ،قد نفضوا أيديهم من كل ذلك ،ليصــبحوا مجرد مغامرين لا يتورعون عن ارتكاب كل ما من شأنه أن يُحقق أغراضهم و يوصلهم بأسرع وقــت ممكن إلى سدة الحكم .

و في هذه الخاتمة و نحن نتحدث عن هذه المآسي يجب أن لا يفوت بالنا أن الثورات الداخلية كان نتيجتها الحتمية الوحيدة التي انتهت إليها هو تكوين ما عرف في تاريخ الأندلس المسلمة "بعهد ملــوك الطوائف" ، و من دون شك فإن تلك الثورات قد كلفت الدولة الإسلامية في الأندلس ثمنا باهضا مــن الدماء و الأموال ،و حالت دون تجميع الجهود و تعبئة القوة الإسلامية لمناهضة العدو التقليدي للإسلام ذلك العدو الذي استمر دائما يستغل كل فرصة و يتحينها للإجهاز على العرب و الإسلام .

لقد تزامن ظهور قوة المولدين في هذا العصر مع إحساسهم بأنهم كانوا مُضــيعين في دولــة هــم أصحابها الحقيقيون ، و رأوا أن حقوقهم كانت تُهدر على مر الأيام ، و تزامن هذا مع اتجاه أمراء بــني أمية إلى الاعتماد على فئة "الموالي" و "الصقالبة" في إدارة شؤون دولتهم ،في الوقت الذي ازدادت فيــه إعداد المولدين باطراد ،في ظل تعاليم الإسلام الذي يدعو إلى العدل و المساواة ، و مضى هذا الازديــاد في أعداد المولدين إلى انتشارهم في كامل ربوع الأندلس ، و كان أشد ظهورا في المدن الكــبرى مثــل "قرطبة" و "طليطلة" و اعتقد هؤلاء أنهم هم الأحق بإرث أسلافهم ،و أصبح هذا الجيل الثالث أو الرابع يشعر بمركب النقص و أنه مُبعد عن أمور الدولة و تقاليدها ، فزادت الهوة بينهم و بين أمراء بني أميــة اتساعا.

و ليس أدل على هاته المحنة مما ذكره "لسان الدين بن الخطيب" الذي عدد الأسباب التي أدت إلى كثرة الثوار و المتمردين في الأندلس و دوافعهم للقيام بالثورة على حكومة الإمارة في "قرطبة" و هــي تتلخص في ثلاثة أسباب :

1- منعة البلاد و حصانة المعاقل و بأس أهلها بسبب تجاورهم مع النصارى في الشمال.

2- عُلو الهمم و شموخ الأنوف وقلة الاحتمال للطاعة ،لأن من دخل الأندلس من العــرب و البربــر كانوا أشرافا يأنف بعضهم من الإذعان لبعض.

3- الاستنجاد عند الضيق و الاضطرار إلى ملوك النصارى الذين كانوا يحرضون على ضرب المســلمين بعضهم بعضا .

صحيح أن هذا التاريخ كان له جانب مضيء و مؤثر في الحضارة الإنسانية عامــة و في النهضــة الأوروبية على وجه الخصوص ،و لكن من الواجب على المسلمين تقصي حقيقة الوضع الــذي أدى إلى خروج المسلمين من الأندلس و عودتها إلى أحضان المسيحية ،ومن الواجب على المســلمين أن يعرفــوا الدوافع التي أدت إلى هاته النتيجة ،لأنه مازال وسيضل هناك أقطار إسلامية تتعرض أو قد تتعرض لمثــل هذا الموقف المحزن ، و من الواجب على المسلمين أيضا تجاه أنفسهم وتجاه أبنائهم و أحفادهم وأجيالهم القادمة أن يأخذوا حذرهم من مثل هذا المصير الأليم ،و ما ذلك إلا بالوقوف على ما حدث في الأندلس ،حتى يأخذوا حذرهم و يحصنوا أنفسهم ضد ما قد يحدث في المستقبل ،ثم عليهم اتخاذ كل الاحتياطات و الإجراءات المضادة للوقوف في وجه الانقسام و التفكك الذي يعد العامل الأول في سقوط الدول .

و في الأخير هذه بعض النقاط التي استخلصنا ها من البحث ككل:

- عم الاضطراب معظم أنحاء الأندلس ، و ظهور ما يسمى بالإمارات المستقلة التي استغلت الظروف المتردية لتعلن استقلالها .

- أن جل العناصر السكانية في الأندلس كانت تميل إلى العيش و التكتل في مناطق خاصة بها ،فمــثلا كان العنصر العربي الغالب على العاصمة "قرطبة"، و المولدين العنصر الغالب على "طليطلة" ، و كــان لهذا أثره البالغ في الميل إلى الاستقلال و الخروج عن الطاعة ، مما كان يستلزم استعمال القوة العســكرية للحفاظ على الوحدة السياسية .

- اتكأت السياسة التي انتهجها الأمير عبد الله على ضرب المتمردين بعضهم ببعض للإطاحة بهــم أو على الأقل الإضعاف من قوتهم ،و كان هذا الأسلوب من أنجع الوسائل للحفاظ على عرش الإمارة .

- إضافة إلى أن التنافس على الرياسة كان من أهم الأسباب الــتي أدت إلى الاضــطراب في المجتمــع الأندلسي .

- أن الثورات لم تقتصر على عنصر المولدين فقط في هذه الفترة ، بل شاركت فيها جــل طوائــف المجتمع الأندلسي .

- أن العامل الجغرافي كان له دوره في انعزال و استقلال المتمردين بمواقع هامة و رئيسة في الأندلس مما ساعدهم على تقوية نفوذهم .

- اعتماد "عمر بن حفصون" كبير الثوار لسياسة التحالفات الداخلية و الخارجية و الـــتي زادت مـــن انحطاط هيبة الإمارة الأموية خاصة في وجه الممالك المسيحية في الشمال .

- حققت ثورة "ابن حفصون" نوعا من التوازن الاجتماعي بمناداتها بضرورة المساواة و القضاء علـــى الأرستقراطية العربية .

- ساهمت هذه الثورات عموما فيما يمكن أن يطلق عليه بتطور العمارة الحربية من حصون و قلاع.

- تحول الدور الاقتصادي - لفترة معتبرة - من إمارة "قرطبة" إلى إمارة " ابن حفصون" الفتية الـــتي أصبحت تتحكم في المسالك الرئيسية للتجارة الأندلسية .

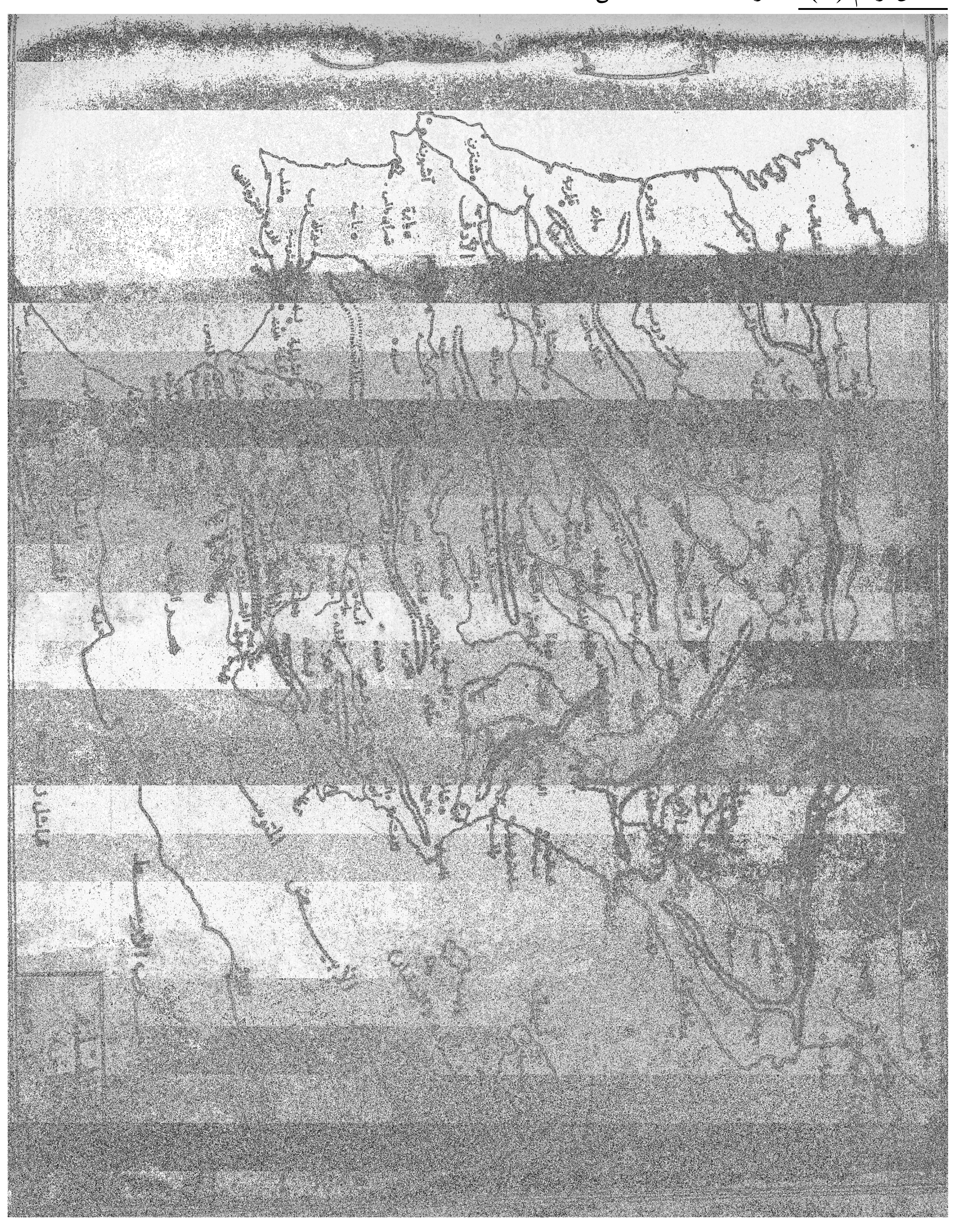
- لقد أدى ضعف الإمارة الأموية في هذه الفترة و قيام الثورات ضدها إلى ظهور الكثير من البدع و الخرافات و انتشار المد الشيعي .

- ظهور أطماع الممالك المسيحية في الشمال في توسيع رقعة أراضيها على حساب الأراضي الإسلامية و دعمها للحركات الانفصالية بكل الوسائل .

- حدوث انهيار اقتصادي تسبب في نقص المؤن من خلال المجاعات التي ضربت الأنـــدلس في هاتـــه الفترة مما نتج عنه هلاك الآلاف من الأرواح .

الملاحق

ملحق رقم (1): خارطة عامة للأندلس .



المرجع : محمد عبد الله عنان ،دولة الإسلام ،القسم الأول ،العصر الأول ،ص 13.

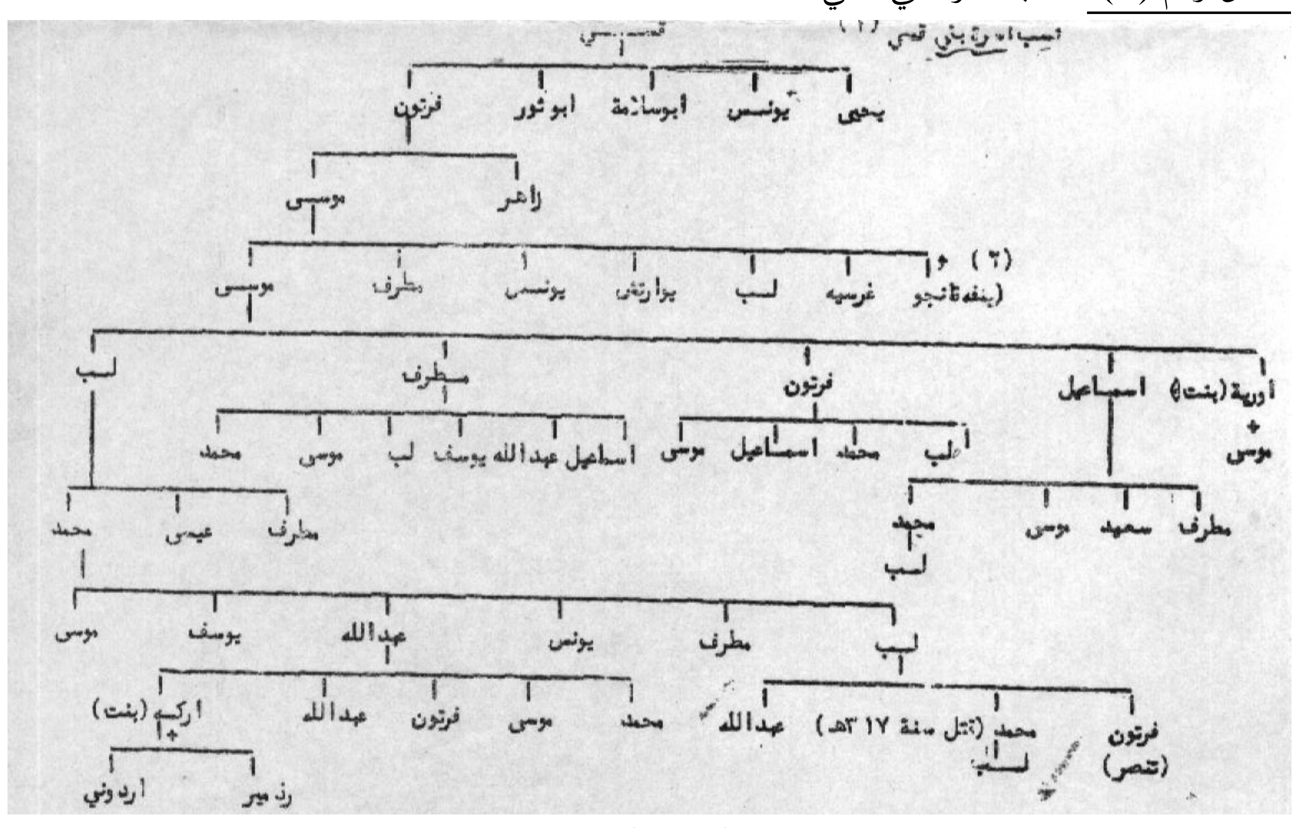
ملحق رقم (2): جدول يمثل أهم المتمردين على الإمارة الأموية و مناطق تمركزهم.

الكورة أو المقاطعة	المتمردون ومراكز تمردهم في الكورة أو المقاطعة							
	المتمردون من المولدين		المتمردون من العرب		المتمردون من البربر		المتمردون من الموالي	
	الاسم	المركز	الاسم	المركز	الاسم	المركز	الاسم	المركز
إشْبِيلِيـة			بنو حجاج بنو خلدون	إشبيلية (الحاضرة) إشبيلية (الحاضرة)				
أُكْشُونْبَة	بكر بن يحيى	شَنْتَمَرِيَّة						
إِلْبِيرَة	سعيد بن مَسْتنة	بَاغُة	سعيد بن جودي سوار بن حمدون محمد بن أضحى	غَرناطة غرناطة حصن الحمَّة	خليل بن مهلب سعيد بن مهلب	حصن قَرْذيَرة حصن اشْبَرَغِيَرة	عبد الوهاب ابن جرج	حصـن بكور
بَاجَة	عبد الملك ابن أبي الجواد	بَاجَة (الحاضرة)						
تَاكُرُنَّا							عَوْسَجة بن الخَليع	حصـن قِنيط
تُدْمِير	ديسم بن إسحاق	مُرْسِية						
الثغر الأعلى	محمد بن عبد الملك محمد بن لُبّ القَسَوي	وَشْقَة المناطق الغربية من الثغر	محمد بن عبد الرحمن التُجيبي	سَـرَقُسْطة				

الكورة أو المقاطعة	المتمردون ومراكز تمردهم في الكورة أو المقاطعة							
	المتمردون من المولدين		المتمردون من العرب		المتمردون من البربر		المتمردون من الموالي	
	الاسم	المركز	الاسم	المركز	الاسم	المركز	الاسم	المركز
جيّان	خير بن شاكر سعيد بن هذيل عبد الله بن الشالية	حصن شُوذَر حصن المَنْتِلُون جبل شُمُنْتَان	إسحاق بن إبراهيم	حصن مَنْتِيشَة	عمر بن مُضِمّ	جيّان الحاضرة		
ريّة	عمر بن حفصون	حصن بِبَشْتَر						
شذونة			سليمان بن محمد بن عبد الملك	شريش	عبد الكريم ابن إلياس	قلعة ورد	طالب بن مولود منذر بن إبراهيم	حصن أقوط مدينة بني السّليم
شَنْت بَرِيّة					الفتح بن موسى المطرف بن موسى موسى بن ذي النون يحيى بن موسى	حصن أُقْلِيش حصن وَبْذَة شَنْت بَرِيّة (الحاضرة) حصن وَلْمَة		
لَبْلَة			عثمان بن عمرون	لَبْلَة (الحاضرة)				
مَارِدَة	عبد الرحمن الجليقي	بَطَلْيَوْس			زَعال بن يعيش محمد بن تاجيت	حصن أم جَعْفَر مَارِدَة (الحاضرة)		

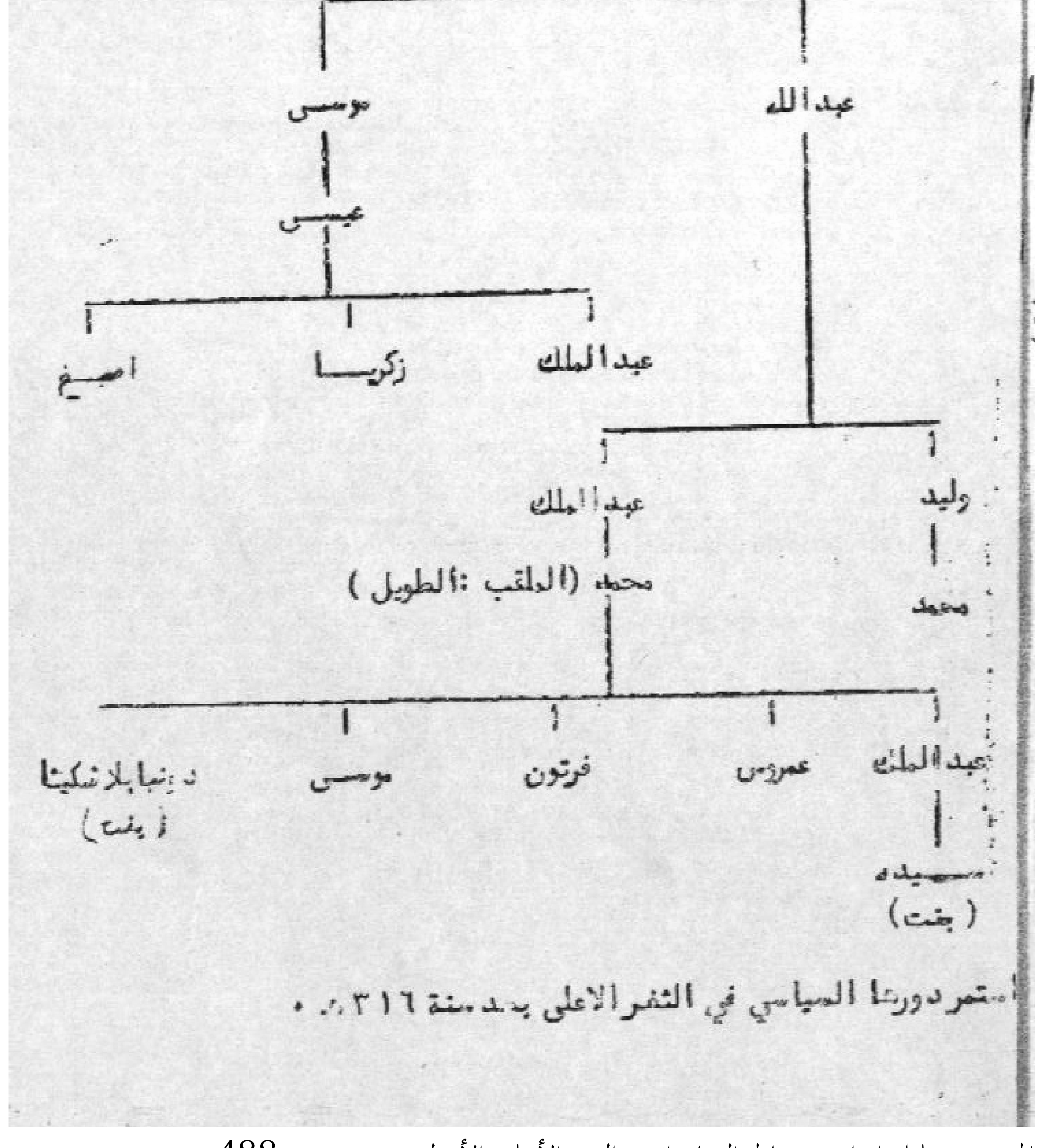
المرجع :محمد بن إبراهيم أبا الخيل ،الأندلس من الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ،ص ص:439-440 .

ملحق رقم (3): نسب أسرة بني قسي.



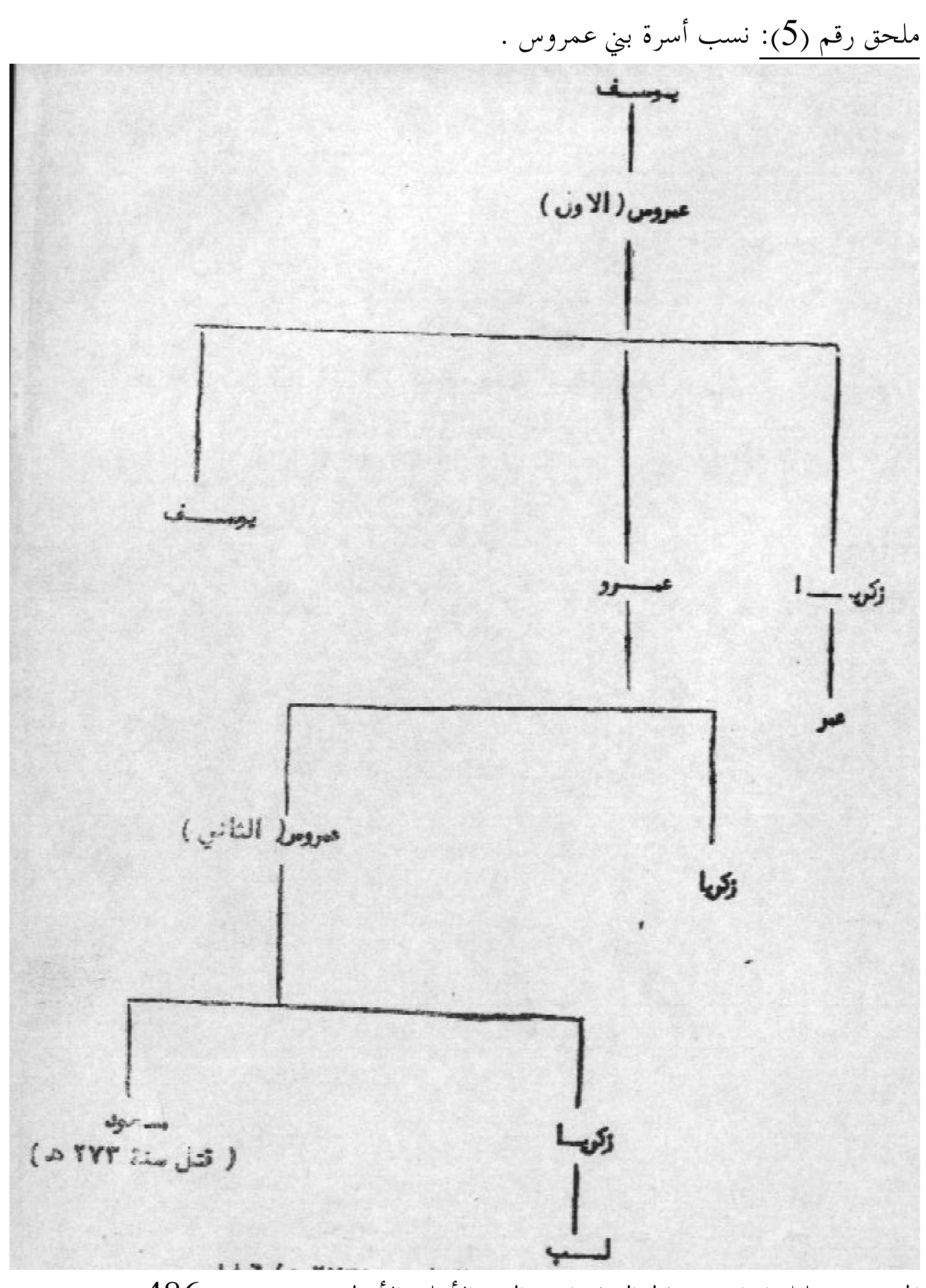
المرجع :خليل ابراهيم صالح السامرائي،الثغر الأعلى الأندلسي........،ص487

ملحق رقم (4):نسب أسرة بنو شبراط (شبريط).



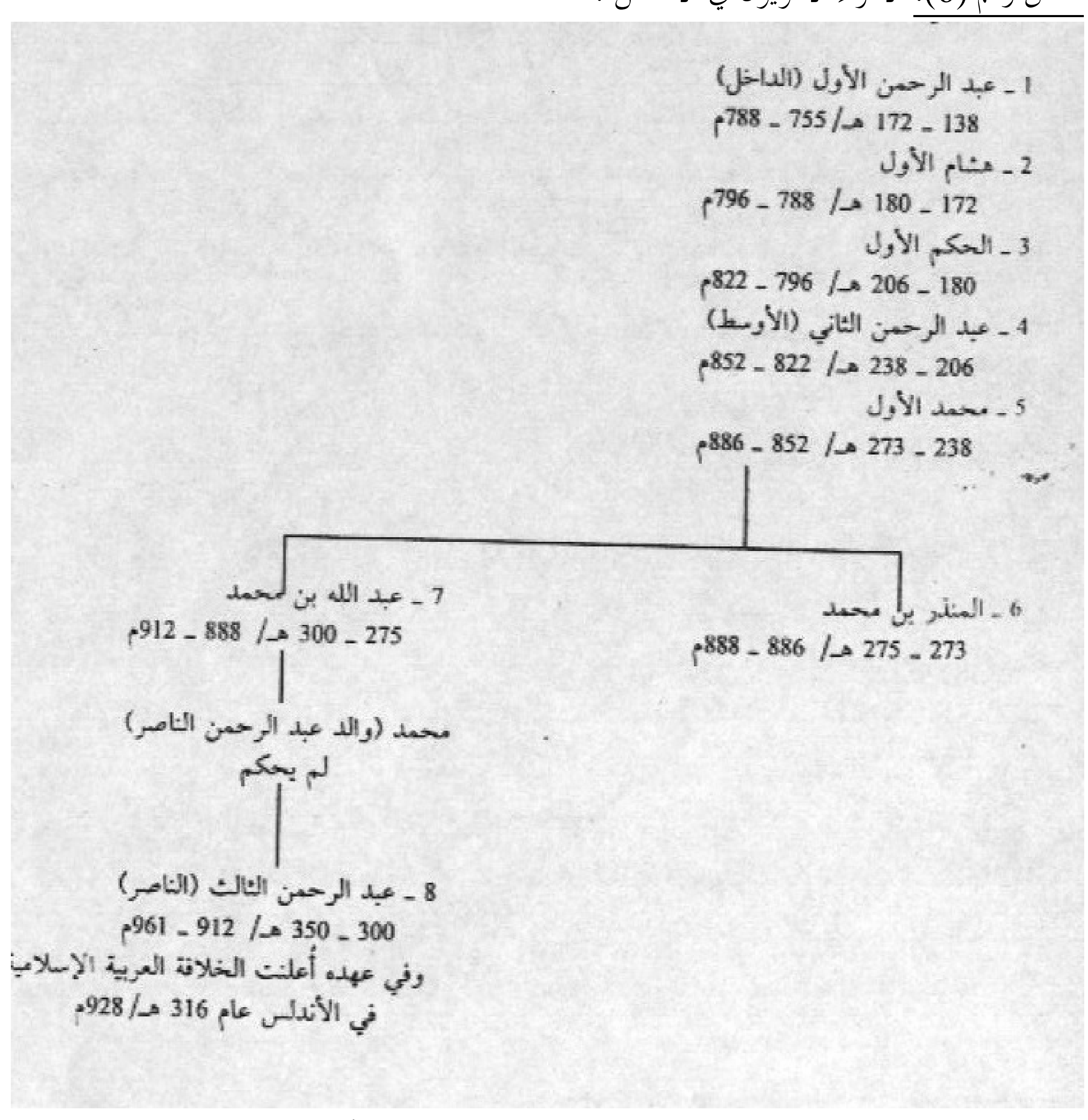
المرجع :خليل إبراهيم صالح السامرائي ،الثغر الأعلى الأندلسي.....،ص 488.

ملحق رقم (5): نسب أسرة بني عمروس .



المرجع : خليل إبراهيم صالح السامرائي ،الثغر الأعلى الأندلسي.......،ص 486.

ملحق رقم (6): الأمراء الأمويون في الأندلس .



المرجع :خليل إبراهيم صالح السامرائي ،تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس :ص107.

المصادر العربية:

1- **القرآن الكريم** ، رواية أبي سعيد المصري الملقب بورش (ت 197هـ/812م) لقراءة نافع بن أبي نعيم المدني (ت169هـ/785م)، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط 1، بيروت، 2000/1421م.

2- إبن الحُسين مُسلم ابن الحجاج ابن مُسلم ابن ورد النيسابوري(ت261هـ) ،**صحيح مُسلم** ،ج 2 (ب د) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(ب ت ن)

3- إبن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغـرب وتاريخ مدينة فاس**،صور للطباعة والوراقة ،الرباط،1972م.

4- إبن الأبار أبو عبد الله بن عبد الله بن أبي بكـر القُضـاعي،**الحلـة السـيراء** ، تحقيـق:حسـين مؤنس،ط2،دار المعارف،القاهرة،.1985

5- إبن الخطيب لسان الدين السلماني ،**الإحاطة في أخبار غرناطة**،مـج1،تحقيـق: محمـد عبـد الله عنان،ط2،مكتبة الخانجي،القاهرة،1393هـ-1973م.

6- إبن الخطيب لسان الدين السلماني،تاريخ إسبانيا الإسلامية،أو كتاب:**أعمال الأعلام في من بويـع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام**،تحقيق:ليفي بروفنسال،ط2،دار المكشوف،بيروت 1956م .

7- إبن الفرضي أبوالوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأُزدي (ت403هـ)،**تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**، تحقيق:السيد عزت العطار الحسيني،ط2 ،مطبعة المدني .القاهرة،1408هـ-1988م

8- إبـن القوطيـة أبـو بكـر عبـد العزيـز محمـد (ت367هـ/977م) ،**تـاريخ افتتـاح الأنـدلس**،ط2،تحقيـق:إبـراهيم الأبيـاري،دار الكتـاب المصـري،القاهرة،دار الكتـاب اللبناني،بيروت،1410هـ/1989م.

9- إبن بسام أبو الحسن علي الشنتريني ، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق: إحسـان عبـاس ط1،دار الثقافة ، بيروت ، 1399هـ-1979م .

10- إبن بشكوال خلف بن عبد الملك الخزرجي(494—578هـ-1101- 1138م)،**الصـلة**، تحقيق:إبراهيم الأبياري،ط1،دار الكتاب المصري،القاهرة،دار الكتاب اللبنـاني،بيروت،1410هـ-1989م.

11- إبن حزم أبو محمد علي بن محمد بن سعيد الأندلسي (384هـ-456هـ)،**جمهـرة أنسـاب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون،ط5،دار المعارف،القاهرة،1982م.

12- إبن حزم أبو محمد علي بن محمد بن سعيد الأندلسي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م.

13- إبن حوقل أبو القاسم النصيبي.كتاب: **صُورة الأرض**،منشورات دار مكتبـة الحيـاة ، بـيروت 1979م.

14- إبن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ، **المقتبس من أخبار بلـد الأنـدلس**.القسـم الثالث،نشر الأب: مِلشور أُنطونية،مطبعة بولس كتنر الكتبي،باريس،1937م.

15- إبن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ،**المقتبس من أنباء أهل الأندلس**،القطعة الخامسة تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي.ط1،دار الثقافة،بيروت،.1965

16- إبن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ،**المقتبس من أنباء أهل الأندلس**،القطعة الثانيـة تحقيق : محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

17- إبن خلدون عبـدالرحمان (732-808هـ/1332-1406م) ، تـاريخ ابـن خلـدون المُسمى:**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،تحقيق وضبط:خليل شحادة،دار الفكر،بيروت،1421هـ/2000م.

18- إبن خلدون عبد الرحمان ، **مقدمة ابن خلدون**،تحقيق:خليل شحادة وسهيل زكـار،دار الفكـر للطباعة والنشر،بيروت،1421هـ-2001م.

19- إبن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-681هـ)،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق:إحسان عباس،دار صادر،بيروت،1968م.

20- إبن سعيد علي بن موسى المغربي،**المُغرب في حلى المَغرب**،ج1،تحقيق:شـوقي ضـيف،ط4،دار المعارف،القاهرة،1995م.

21- إبن سهل أبو الأصبغ عيسى بن عبد الله الأُسدي الجياني ،**ثلاث وثائق في محاربة البدع والأهواء في الأندلس**:مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى،تحقيق:محمد عبد الوهاب خلاف،ط1،المركز العربي الدولي للاعلام،القاهرة،1981م.

22- إبن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله ،**فتوح إفريقية والأندلس**،تحقيق:عبد الله أنيس الطباع،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1964م.

23- إبن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله ،**فتوح مصر والمغرب**،ج1،تحقيق:عبد المنعم عامر،الأمل للطباعة والنشر،القاهرة،2001م.

24- إبن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي،**العقد الفريد**، تحقيق:محمد مفيد قميحة،ط1،دار الكتب العلمية،1404هـ-1983م.

25- إبن عذارى المراكشي،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق:جورج س كولان و ليفي بروفنسال،ط2،دار الثقافة.بيروت،1410هـ-1980م.

26- إبن عسكر ابن عبد الله و أبو بكر بن خميس،**أعلام مالقة** ،تقديم و تخريج :عبد الله المرابط الترغي ط1،بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1420هـ/1999م.

27- إبن منظور، **لسان العرب** ، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، (ب د ط) ، دارالمعارف القاهرة ، (د ت ن) .

28- أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك الغرناطي، **الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة** تحقيق: محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج20، الإدارة العامة للنشاط الثقافي، مدريد، 1979-1980م.

29- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي،**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ط1،دار عالم الكتب بيروت،1409هـ/1989م.

30- الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، **معجم البلدان**،دار صادر، بيروت،1397هـ-1977م

31- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ،**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**،الدار المصرية للتاليف والترجمة،القاهرة،.1966

32- الحميدي أبو عبد الله محمد بن نصر فتوح بن عبد الله (ت488هـ)،**جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق:إبراهيم الابياري،ط3،دار الكتاب المصري،القاهرة،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1410هـ-1989م.

33- الحميري محمد بن عبد المنعم ،**الروض المعطار في خبر الأقطار**،تحقيق: إحسان عباس،ط2،مكتبـة لبنان ، بيروت ، 1984م

34- الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد (ت361هـ) ، **قضاة قرطبة وعلمـاء إفريقيـة** تحقيق : السيد عزت العطار الحسيني ، ط 2، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1415هـ- 1994م.

35- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ،**كتاب الجغرافيا**،تحقيق:محمد حاج صادق،مكتبة الثقافـة الدينية ، بورسعيد ، (ب س ن).

36- العذري أحمد بن عمر بن أنس العُذري المعروف بابن الدلائي،**نصوص عن الأندلس**من كتـاب: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبُستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق:عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد.(ب س ن)

37- المقري أحمد بن محمد التلمساني،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيـب**، تحقيـق:إحسـان عباس،دار صادر،بيروت،1408هـ-1988م.

38- النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين الأندلسي ، تاريخ قضاة الأندلس ، أو كتاب : **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفُتيا**،تحقيق:لجنة إحياء التراث العربي،ط5،دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1403هـ-1983م.

39- الوُنشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت914هـ) ، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب** ، تخريج : جماعة من الفقهاء ، بإشراف:محمـد حجـي،دار الغـرب الإسلامي ، بيروت ،1401 هـ-1981م .

40- مُؤلف مجهول،**أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذِكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بهـا بينهم**،تحقيق: إبراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بـيروت 1410هـ-1989م

41- مؤلف مجهول،**تاريخ الأندلس**،تحقيق:عبد القادر بوباية،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،2007م.

42- مؤلف مجهول ، **ذكر بلاد الأندلس** ، تحقيق : لويس مولينا ، مدريد ،1983م ، ص 56.

المراجع العربية والمترجمة

43- أبا الخيل محمد بن إبراهيم ، **الأندلس في الرُبع الأخير من القـرن الثالـث الهجـري(275-300هـ/888-912م)**، ط1،مطبعة الملك عبد العزيز،الرياض،1416هـ/1995م.

44- إبراهيم بيضون،**الدولة العربية في اسبانيا**،من الفتح حتى سقوط الخلافة(92-422هـــــ-711-1031م)،ط2،دار النهضة العربية،.بيروت،1980م.

45- أبو زيدون وديع ، **تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافــة** ،الأهليــة للنشــر والتوزيع،(ب د ن)،(ب ب ن)،(ب ت ن).

46- أبو مصطفى كمال السيد ،**بحوث في تاريخ و حضارة الأندلس في العصر الإســلامي**،مركــز الإسكندرية للكتاب،الإسكندرية،1997م.

47- إحسان عباس ،**تاريخ الأدب الأندلسي** :عصر الطوائف و المرابطين ،ط1،دار الشروق للنشر و التوزيع ،عمان ،الأردن ،1997م.

48- أحمد أمــين،**ظهــر الإســلام**،مــج2،ج1،الحيــاة العقليــة في الأنــدلس،ط5،دار الكتــاب العربي،بيروت،1388هـــ/1969م.

49- أحمد مصطفى أبو ضيف ، ،**القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافــة الامويــة(91-422هــ/710-1031م)**،(ب ط)،دار النشر المغربية،الدار البيضاء،1983م.

50- أحمد مصطفى أبو ضيف ، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوســيط (افريقيــة، المغــرب، الأندلس،صقلية)** ، من كتاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب 27-719هـــ/647-1319م.

51- أرسلان شكيب ،**تاريخ غزوات العــرب في فرنســا وسويســرا وإيطاليــا وجــزر البحــر المتوسط**،منشورات مكتبة الحياة،بيروت(ب ت ن).

52- البكر خالد بن عبد الكريم بن حمود ،**النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة (138-316هــ/755-928م)** ،مكتبة الملك فهد بن عبد العزيز ،الرياض ،1414هـــ/1993م.

53- التواتي عبد الكريم ، **مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس**،ط1،مكتبة الرشــاد،الدار البيضــاء 1967م.

54- الحسين قصي ،**موسوعة الحضارة الإسلامية** :العصر الأندلسي ،ط1،دار مكتبة الهلال ،بــيروت ،2005م.

55- السامرائي خليل إبراهيم صالح ،**الثغر الأعلى الأندلسي**:دراســة في أحوالــه السياســية(95-316هـــ/714-928م)،مطبعة أسعد،بغداد،1976م.

56- السامُرائي خليل إبراهيم صالح ،عبد الواحد طه ذنون طــه،**تــاريخ العــرب وحضــارتهم في الأندلس**،ط1، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، 2000م.

57- السيد عبد العزيز سالم ،**بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار** ،القســم الأول ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1411هـ/1991م.

58- السيد عبد العزيز سالم،**تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**:من الفتح حــتى ســقوط الخلافــة بقرطبة ، ط 2، المكتبة الإنجلو مصرية،مصر،1986م.

59- الصوفي خالد ، **تاريخ العرب في الأندلس من عبد الرحمان الداخل إلى عبد الرحمــان الناصــر (138-350هـ/775-966م)**، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، (ب س ن).

60- الطاهر أحمد مكي ،**دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة** ،ط3،دار المعارف ،القاهرة 1987م.

61- العبادي أحمد مختار , **في التاريخ العباسي والأندلسي** , دار النهضة العربية، بيروت، 1972م .

62- العبادي أحمد مختار ،**في تاريخ المغرب و الأندلس**،(ب ط)،مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية ب ت ن.

63- العسلي بسام ،**عبد الرحمان الناصر**،ط4،دار النفائس،بيروت،1415هـ/1985م.

64- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف , دراسات في تاريخ المغرب والأندلس , دار الفكر العربي القاهرة 1419هـ/1999م .

65- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف ،**تاريخ المغرب والأندلس**،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،1984م.

66- الفكيكي عبد الهادي ،**الشعوبية و القومية العربية** ،ب ط،دار الآداب ،بيروت ،1961م.

67- الفيومي محمد ابراهيم ،**تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب** ،ط 1،دار المعارف ، القاهرة ،.1992

68- آنخل جنثالث بالنثيا،**تاريخ الفكر الأندلسي**،نقله عن الاسبانية:حســين مؤنس،مكتبــة الثقافــة الدينية،القاهرة،1955م.

69- بروفنصال ليفي ،**حضارة العرب في الأندلس**،(ب ط) ، ترجمة ، ذوقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة (ب س ن)

70- بروكلمان كارل ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، تعريب:نبيه أمين فارس ، منير البعلبكــي ، ط5 دار العلم للملايين ، بيروت،1968م.

71- بوتشيش إبراهيم القادري ،**الإسلام السري في المغرب العربي** ،ط1،دار سينا للنشـــر القـــاهرة 1995م.

72- بيضون إبراهيم ،**الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس** :دراسة في آداب الســـلطة ، ب ط ،دار النهضة العربية و النشر ،بيروت ،1987م.

73- حبيبة علي ، **مع المسلمين في الأندلس**، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م.

74- حسن أحمد محمود،منى حسن محمود،**تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حـــتى ســـقوط الخلافة** ، ط1، القاهرة ، دار الفكر،1419هـ/1999م.

74- حمدي عبد المنعم محمد حسين ،**التاريخ السياسي لمدينة "اشبيلية" في العصر الأموي** ،مؤسســـة شباب جامعة ، الإسكندرية ،1407هـ/1987م.

75- حمدي عبد المنعم محمد حسين ،**ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمـــارة الأمويـــة (138-316هـ /756-928 م)** ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1993 م.

76- دويدار حسين يوسف ،**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-422هـــــ-755-1033م)** ط1، مطبعة الحسين الإسلامية ، مصر ، 1414هـ-1994م.

77- دياب محمد ، **تاريخ العرب في إسبانيا** ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر 1421هـ/2001م.

78- رينهرت دوزي , **المسلمون في الأندلس** , ترجمة : حسن حبشي , الهيئة المصرية العامة للكتـــاب مصر , 1994 م.

79- زاهية قدورة ،**الشعوبية و أثرها الاجتماعي و السياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباســـي الأول** ،ط1،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1972م.

80- زيتون محمد محمد ، **المسلمون في المغرب والأندلس** ، دار الكتب ، ب د ن ،1411 هـ-1990م

81- سامية مصطفى محمد مسعد،**التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأنـــدلس الإسلامية(93-422هـ)** ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ،1424 هـ/2004م.

82- سامية مصطفى محمد مسعد ، **العلاقات بين المغرب والأنـــدلس في عصـــر الخلافـــة،(300-399هـ/912-1008م)**،ط1،عين للدراسات واليحوث،مصر،200م.

83- ستانلي ليون بول ، **قصة العرب في اسبانيا** ، ترجمة : علي الجارم بك ، مطبعة المعارف مصر، (د ت ن) .

84- سحر السيد عبد العزيز سالم ،**تاريخ بطليوس الإسلامية و غرب الأندلس في العصر الإســلامي** التاريخ السياسي ،مؤسسة شباب الجامعة (ب ت ن).

85- سحر السيد عبد العزيز سالم،**بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري:أسرة من المولدين بمرســية في العصرالإسلامي** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1989م.

86- سحر السيد عبد العزيز سالم،**مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس في العصر الإسلامي** ، (ب ط)،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1990م.

87- شرف الدين محمد عبد الفتاح, **تاريخ السيادة الإسلامية على الأندلس** : من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة , مكتبة الآداب , القاهرة , 1411هـ/1990م.

88- طه رمضان عبد المحسن ،**الحروب الصليبية في الأندلس ، ميلادها و تطورها حتى أواخر القرن 10م مع دراسة نقدية لمصادرها العربية و الإسبانية** ،المكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،2001م.

89- عنان محمد عبد الله ،**تاريخ العرب في اسبانيا** ،من الفتح إلى ملـــوك الطوائـــف ، ط1، مطبعـــة الصباح مصر ،1924م.

90- عنان محمد عبد الله ،**دولة الإسلام في الأندلس** ، العصر الأول:القسم الأول ، من الفتح إلى بداية عهد الناصر ،ط3،دار سحنون للنشر والتوزيع،1411هـ-1990م.

91- عناني محمد زكريا ، **تاريخ الأدب الأندلسي** ،ب ط ،دار المعرفة الجامعة ،الإسكندرية ،1999.

92- فيلالي عبد العزيز ، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب** ،ط2،دار الفجر للنشر و التوزيع ،القاهرة ،1999م.

93- مؤنس حسين ،**شيوخ العصر في الأندلس**،ط2،دار الرشاد ،القاهرة ،1417هـ/1997م.

94- مورينو مانويل جوميث ،**الفن الإسلامي في إسبانيا**،ترجمة: لطفي عبد البديع،السيد عبد العزيـــز سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1977م.

95- نصر الله سعدون ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1، دار النهضـــة العربيـــة، بـــيروت، 1998م.

96- هيكل أحمد ،الأدب الأندلسي :من الفتح إلى سقوط الخلافة ،ط7،دار المعارف مصر ،1979م.

المقالات العربية والمترجمة

97- الشعراوي أحمد إبراهيم ،**هياج الربض:ثورة شعبية على الحكم الأموي بالأندلس**،ندوة بحـــوث الأندلس ،الدرس و التاريخ ،جامعة الإسكندرية ،تقديم :عبد المحسن التركي ،ب ط ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،1415هـــ/1995م.

98- العبادي أحمد مختار ،**الأعياد في مملكة غرناطة**،مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريـــد،مج 15 وزارة التعليم العالي ، مدريد ،1970.

99- العبادي احمد مختار ،**صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمســيحيين في العصور الوسطى**،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،مج26،منشورات المعهد المصري ، مدريـــد ،1993م

100- بروفنصال ليفي وآخرون،**التمرد والثورة في الأندلس:بداية الانشقاقات لابن مروان الجليقي في إقليم ماردة**،ترجمة:عبد الفتاح عوض ،فصول في تاريخ الأندلس ، ط1،عين للدراسات و البحـــوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر ،2001 م.

101- دندش عصمت ،**علاقة الأندلس بمملكة "قشتالة" من خلال الأقليات من أهل الذمة إلى القرن السابع الهجري** ،محمد حمام ، مجلة الغرب الإسلامي و الغرب المسيحي ، ط1، منشورات كلية الآداب الرباط ،1995م.

102- سحر السيد عبد العزيز ســـالم،**الجوانـــب الايجابيـــة والســـلبية في الـــزواج المخـــتلط في الأندلس**:(دراسة سياسية ،أدبية ، اجتماعية)،مجلة الغرب_الإسلامي والغرب المسيحي خـــلال القـــرون الوسطى ، ط1، تنسيق:محمد حمام ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،1995م.

103- شلميطا بدور،**صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي** ، ترجمة:مصطفى الرقي،مجلة الحضارة العربية في الأندلس،ج2،ط1،تحرير:سلمى الخضراء الجيوسي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1998م.

104- طه ذنون عبد الواحد ،**تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصـــر الأموي** ، مجلة المورد ، مج17 ، العدد الأول، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1408ه/1988م

105- غيشار بيير ،**التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة:من الفتح إلى نهاية حكم الموحـــدين**،ترجمـــة مصطفى الرقي ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2 ، ط1 ، تحرير:ســـلمى الخضـــراء الجيوسي مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1998 م.

106- فييرُو ماريا إيزابيل ،**الزندقة و البدع في الأندلس** ، ترجمة :يعقوب دواني ، مجلة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،ج 2، ط1 ، تحرير:سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربيـــة بيروت ، 1998م.

107- مكي محمود علي ،**التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف** ،صـــحيفة المعهـــد المصـــري للدراسات الإسلامية ، مج 2، ع1+2 ، مطبعة المعهد المصري مدريد ،1954م .

108- مكي محمود علي ،**الخوارج في الأندلس**،مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العـــدد1، مطبعـــة كريماديس المملكة المغربية ،1956 م .

المراجع الأجنبية:

باللغة الفرنسية:

109- Americo Castro**, réalité de l'Espagne**, histoire et valeurs, traduit. Mexico Porrua Hermanos, imprimerie Floche, France, 1963.

111- Christophe Picard,**l'océan atlantique Musulmane**,de la conquête Arabe a l'époque al Mohade.navigation et mise en valeur des cotes d'Alandalus et du Maghreb occidental - (Portugal, Espagne, Maroc), édition Maisonneuve, Paris, 1997.

112- Claudio Sanchez Albornoz, **l'Espagne Musulmane**, traduction: Claude Faraggi , Opu Publusud, 1985.

113- Clifford Edmund Bosworth, **les dynasties Musulmanes** ,traduit de l'Onglois Par yues Thoraval, university press, Sindbad, 1996.

114- Dominique et Janine Sourdel**. dictionnaire historique de l'Islam**. 1er édition presses universitaires, France, Octobre1996.

115- Gabriel Martinez-Gros, **identité Andalouse**, Sindbad acte sud ,1997.

116- Henri Terrasse, Islam d'Espagne : une rencontre de l'orient et de l'occident, libraire Plon, Paris, 1958.

117- Lévi Provençal**, histoire de L'Espagne Musulmane**.Tome:1 la Conquête et l'émirat Hispano -Umaiyade ,(710-912). Maisonneuve et Larousse .Paris. 1999

118- Lévi. Provençal. **L'Espagne Musulmane au Xème siècle**. institutions et vie sociale, Larousse, Paris, 1932.

119- Pierre Guichard**,structures sociales orientales et occidentales dans l'EspagneM usulmane**. imprimerie darantiere mouton, Paris, 1977.

119- Robert mantran. **l'expansion Musulmane**. 7-11siècle, 5ème édition. presses universitaires, France, 1995.

باللغة الاسبانية:

120- Moraita Miguel.**historia de Espana**:de sde los tiempos antehistoricos hosta nuestros diasbiblioteca ilustrada ,Marid ,1886.

121- Pidal Ramon Menendez.**Espana Musulmana**,Tomo v,hasta la Caida del califato de Cordoba (711-1031 de j c),traduccion y advertencia preliminar :Emelio Garcia Gomez,Espasa-Calpe,Madrid,1965

باللغة الانجليزية:

122- James .T.Monroe , **The Shu'ubiyya in Al-andalus**: The Risala of Ibn Garcia and five refutationsm press-Berkeley, London, 1970.

الفهـــــــارس

فهرس الأعــــلام

-أ-

–غ–

–ف–

–ق–

–ك–

–ل–

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس القبائل والجماعات والفرق:

-ن-

-هـ-

-ي-

فهرس الآيات و الأحاديث

رقم الآية	نص الآية	السورة	الصفحة
160	«إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهْ...»	آل عمران	78
13	«يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنَا جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلْ»	الحجرات	108

رقم الحديث	نص الحديث	الصفحة
2699	«أَيُّهَا النَّاسْ إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الجَاهِلِيَــة وَ فَخْرَهَـــا بالآبَاءْ ،كُلُكُمْ لآدَمْ وَ آدَمْ مِنْ تُرَابْ ، لَيْسَ لِعَرَبِي عَلَى عَجَمِي فَضْل إلا بِالتَقْوَى»	108

فهرس الأشعـــار

أول البيت	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لا خير في الدنيا	الملامس	الطويل	الأمير عبد الرحمان الأول	2	26
إذا لما بدت	طروبا	المنسرح	الأمير عبد الرحمان الأوسط	2	27
بكى جبلا	الغلف	الطويل	عباس بن فرناس	2	36
بابن الخلائف	النصر	السريع	عباس بن فرناس	3	37
ألا إن إبراهيم	ساحل	الطويل	إبن عبد ربه	2	101
لقد سل	المفاصل	الطويل	سعيد بن جودي	2	115
يا أيها العرب	سهر	البسيط	محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي	6	115
فكما طلت	طل	الوافر	عبد الرحمان بن أحمد العبلي	1	116
فصرنا عليهم	القساطل	الطويل	سعيد بن جودي	2	123
منازلهم منهم	الزعازع	الطويل	عبد الرحمان بن أحمد العبلي	2	127
و لي قولة	صديق	الطويل	إبن عبد ربه	7	137
يقول	وابل	الطويل	سعيد بن جودي	7	138
منازلهم	الزعازع	الطويل	عبد الرحمان بن أحمد العبلي	3	139
هو الفتح	صلح	الطويل	إبن عبد ربه	26	140
الحق أبلج	الداج	الكامل	إبن عبد ربه	16	141
أخل لحظ	و أحبل	الطويل	سعيد بن عمر المكي	4	142
على من لحضه	سيفين	البسيط	عبد الله بن يحيى بن إدريس	10	143

الموضــــــــــــوع	الصفحة
الفصـــــــل الثاني:أهم الأوضاع السياسية في الأندلس في عهد الأمير محمد و ابنه المنذر (238-275هــ/852-912م)	

الموضـــــــــوع	الصفحة

| الموضـــــــــوع | الصفحة |